

الغزو والفكري والاتجاهات المعاصرة
وموقف الإسلام منها (٤)

الشيوخية

وموقف الإسلام منها

بقلم
د. حمود بن الأحمد الرجبي
الأستاذ بجامعة الإسلامية في المدينة المنورة

مكتبة العلوم وأبحاث

الغزو والفكري والاتجاهات المعاصرة
وموقف الإسلام منها (٤)

الشيوخية

وموقف الإسلام منها

بقلم
د. حمود بن الأحمد الرجبي
الأستاذ بجامعة الإسلامية في المدينة المنورة

مكتبة العلوم وأبحاث

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى
م ٢٠٣ - ١٤٢٤

الناشر
مكتبة العلوم وأحكام
هـ ١٩٤٦ - ١٤٥٢٧٢
المدينة المنورة - صرب ٦٨٨
المملكة العربية السعودية

الشُّيُوخَاتِ

وَمَوْقِفُ الْإِسْلَامِ مِنْهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَسْتَهْدِيهُ، وَنَعُوذُ
بِاللَّهِ مِنْ شَرُورِ أَنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلٌّ
لَّهُ، وَمِنْ يَضْلِلُ فَلَا هَادِي لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْالِيمِهِ وَلَا تَمْوِنُ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾^(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ آتَقُوا رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نُقَيْنٍ وَجَدَوْهُ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي نَسَأَلَوْنَ يِهِ وَالْأَرْحَامَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آتَقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^(٣) ٧٠ يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا﴾^(٤) ٧١.

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) النساء: ١.

(٣) الأحزاب: ٧٠ - ٧١.

(٤) هذه تسمى خطبة الحاجة وتشرع بين يدي كل خطبة، وهي مأثورة عن =

أما بعد:

فإنَّ الصراع بين الحق والباطل، صراعٌ قديم، وهو من سنن الله في خلقه. إلا أنَّ العاقبة الحميضة دائمًا تكون إلى جانب الحق. وما الشعارات والأوهام التي يضعها الكفر حول الإلحاد ونشر الفوضى والرذيلة في المجتمعات إلاًّ ادعاءات زائفة لا تثبت أمام الحق «كَشَجَرَةٍ حَيَّةٍ أَجْتَثَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ»^(١).

والحقُّ لا ينصره إلاًّ من يعرف الخير ويعمل به ويدعو إليه، ويعرف الشر ويجتنبه، ويحذر منه.

وهذا البحث الذي أتناوله عن الشيوعية هو بيانٌ لهذا النوع من الباطل الذي فرضه دعاته على بعض الشعوب بالحديد والنار أكثر من سبعين عاماً، واستطاعوا أن يخدعوا بها جموعاً غفيرة بالشعارات المزيفة والمزخرفة والبيانات الكاذبة.

وكانت نهاية هذا الباطل المصطنع الإفلاس والانهيار والسقوط، وما ذلك إلاًّ لبطلان الأسس والمبادئ التي قامت عليها الشيوعية وتناقضها مع الفطرة البشرية السليمة.

قال تعالى: «فَإِنَّمَا الْزَّبَدَ فِيذَهَبٌ جُفَاهُ وَإِنَّمَا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فِيَقْتُلُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ»^(٢).

= النبي ﷺ، أصلها في صحيح مسلم ٥٩٢/٢ - ٥٩٣، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، والترمذى (٤١٣/٣)، كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، وسنن ابن ماجه (٦٠٩/١)، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني (٣/٢).

(١) إبراهيم: ٢٦.

(٢) الرعد: ١٧.

لكل هذا أقول: إنَّ الإسلام الذي أكرم الله به هذه الأمة هو البديل وحده لإنقاذ البشرية جموعه مما تعانيه من مشكلات وويلات، وهو البديل وحده عن ثُرَّهات الشرق الشيوعي الملحد، وأباطيل الغرب الرأسمالي، وكل قوانين البشر التي لا تستند على قواعد الإسلام.

ولذا فإنني أدعو بصدق وإخلاص الأمة الإسلامية العربية وغير العربية إلى تطبيق الإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة وفق كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وعلى منهج السلف الصالح من هذه الأمة في كلّ شؤون حياتهم.

وأدعو العالم أجمع إلى الدخول في الإسلام الذي جاء رحمة للعالمين جميعاً كما قال تعالى: ﴿فَلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(٢).

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَبَعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾^(٥).

(١) الأعراف: ١٥٨.

(٢) سبا: ٢٨.

(٣) الأنبياء: ١٠٧.

(٤) آل عمران: ١٩.

(٥) آل عمران: ٨٥.

وفي الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنَّ
النبي ﷺ قال: «... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ويعث
إلى الناس عامة»^(١).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع
بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن
بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»^(٢)، إلى غير ذلك
من الآيات والأحاديث الكثيرة التي وردت في هذا المعنى.

هذا، وإنَّ تطبيق الشريعة الإسلامية في المملكة العربية
السعودية في العصر الحديث لهو خير شاهد على أنَّ الإسلام هو
الدين الصالح لكل زمان ومكان ومجتمع، وأنَّه الكفيل وحده
بسعادة البشرية لما فيه من الحلول الشافية، والمُثل العليا لكل ما
تعانبه من مشكلات وأزمات، ولما يحققه من الأمن والاستقرار
والطمأنينة.

ولا عجب في ذلك فإنَّ الدين الذي ارتضاه الخالق سبحانه
وتعالى لعباده وهو أعلم بما يصلح لهم في دنياهم وأخرتهم.

أسأل الله تعالى لولاة أمر هذه البلاد التوفيق والتأييد والثبات
وأنْ يصرف عنهم شر أعدائهم أينما كانوا، كما أسأله جلت قدرته

(١) صحيح البخاري مع الفتح، (٤٣٦/١)، كتاب التيمم، باب (١)، حديث
٣٣٥، وصحيح مسلم، (٣٧٠/١ - ٣٧١)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة
حديث (٣).

(٢) صحيح مسلم (٣٤/١)، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا
محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته حديث (٢٤٠).

أنَّ يحمي هذه البلاد الطيبة وسائر بلاد المسلمين من كل سوء ومكره، وأنَّ يوفق ولاة المسلمين في كل مكان إلى تحكيم كتابه والعمل بسنة رسوله محمد - ﷺ - إِنَّهُ ولِي ذلِكُ القادر عليه.

ونظراً لكوني قد تناولت موضوع الرأسمالية و موقف الإسلام منها في بحث مستقل بيَّنت فيه بعض عيوبها وأثارها السيئة؛ فقد تناولت في هذا البحث موضوع الشيوعية وسميتها: «الشيوعية و موقف الإسلام منها».

خطة البحث:

وقد جعلت البحث في مقدمة وعشرة فصول وخاتمة.
وقد اشتملت المقدمة على أهمية الموضوع، والخطة ومنهجي في البحث.

الفصل الأول: التعريف بالنظم الاشتراكية ونشأتها:

و فيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الاشتراكية.

المبحث الثاني: الفرق بين الاشتراكية والشيوعية.

المبحث الثالث: حقيقة الشيوعية وأهدافها.

المبحث الرابع: نشأة المذاهب الاشتراكية وتطورها.

و فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نبذة عن الفكر الاشتراكي قبل القرن التاسع عشر.

المطلب الثاني: الاشتراكية الماركسية الحديثة.

ويشتمل على:

١ - أسباب ظهور الشيوعية الحديثة في أوروبا

٢ - أسباب ظهور الشيوعية في روسيا.

٣ - الثورات والمنظمات الشيوعية في غير روسيا.

المطلب الثالث: أسباب انتقال الشيوعية إلى بعض البلاد الإسلامية.

المبحث الخامس: أهم المبادئ والتطبيقات الاشتراكية

و فيه مطالبات:

المطلب الأول: أهم المبادئ الاشتراكية.

المطلب الثاني: أهم التطبيقات الاشتراكية.

المبحث السادس: أنواع المذاهب الاشتراكية ونقدتها

و فيه ثلاثة مطالبات:

المطلب الأول: أنواع المذاهب الاشتراكية.

المطلب الثاني: نقد المذاهب الاشتراكية.

المطلب الثالث: لا اشتراكية في الإسلام.

الفصل الثاني: التعريف بالماركسية ومصادرها.

و فيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالماركسية.

المبحث الثاني: نبذة عن حياة مؤسسها.

المبحث الثالث: الماركسية والشيوعية.

المبحث الرابع: مصادر الفكر الماركسي.

المبحث الخامس: أسس المذاهب الماركسي.

الفصل الثالث: في القول بالمادة ونقدہ.

وفي ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف المادة.

المبحث الثاني: نقد القول بالمادة.

المبحث الثالث: أدلة المؤمنين بالله تعالى على وجوده ووحدانيته.

الفصل الرابع: في الجدل «الديالكتيكي» ونقدہ.

وفي ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الجدل «الديالكتيكي».

المبحث الثاني: صيغ قوانين الجدل عند ماركس.

المبحث الثالث: نقد قوانين الجدل «الديالكتيكي».

الفصل الخامس: المادية التاريخية ونقدہ.

وفي ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالمادية التاريخية.

المبحث الثاني: العصور التي مرّ بها التاريخ البشري في رأي المادية التاريخية.

المبحث الثالث: نقد المادية التاريخية.

الفصل السادس: الصراع بين الطبقات ونقده.

وفيه مباحثان:

المبحث الأول: تعريف الصراع بين الطبقات.

المبحث الثاني: نقد الصراع بين الطبقات.

الفصل السابع: النظام الاقتصادي الشيوعي.

وفيه مباحثان:

المبحث الأول: أهم مبادئ الاقتصاد الشيوعي.

المبحث الثاني: النظريات الاقتصادية الشيوعية الماركسيّة ونقدّها.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نظرية نزع الملكية الخاصة ونقدّها.

المطلب الثاني: نظرية قيمة العمل ونقدّها.

المطلب الثالث: نظرية فائض القيمة ونقدّها.

ويشتمل على ما يلي:

١ - تعريف نظرية فائض القيمة.

٢ - التنتائج المترتبة على نظرية فائض القيمة.

٣ - نقد نظرية فائض القيمة.

الفصل الثامن: موقف الشيوعية من الدين والأخلاق والأسرة والحرية ونقدّه.

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: موقف الشيوعية الماركسية من الدين ونقده.

المبحث الثاني: بعض مفتريات الشيوعية على الدين والرد عليها.

المبحث الثالث: موقف الشيوعية الماركسية من الألحاد ونقده.

المبحث الرابع: موقف الشيوعية الماركسية من الأسرة ونقده.

المبحث الخامس: موقف الشيوعية الماركسية من الحرية ونقده.

الفصل التاسع: سقوط الشيوعية وافتضاح أكاذيبها.
و فيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: كذب تكهنات الماركسية.

المبحث الثاني: التراجعات والترميمات في النظام الماركسي

المبحث الثالث: سقوط الشيوعية ومستقبل الإسلام.

الفصل العاشر: موقف الإسلام من الشيوعية.

و فيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإسلام ضد المبادئ الشيوعية.

المبحث الثاني: أهم معالم النظام الاقتصادي في الإسلام.

ويشتمل على ما يلي:

- ١ - الملكية الخاصة في الإسلام.
- ٢ - حث الإسلام على العمل.
- ٣ - ضمان حد الكفاية لكل فرد في المجتمع المسلم.
- ٤ - التنمية الاقتصادية في الإسلام.
- ٥ - الزكاة في الإسلام.
- ٦ - الميراث في الإسلام.
- ٧ - ترشيد الاستهلاك والإنفاق في الإسلام.

المبحث الثالث: أهم وسائل التكافل الاجتماعي في الإسلام.

ويشتمل على ما يلي:

- ١ - النذور.
- ٢ - الكفارات.
- ٣ - الإنفاق على الزوجة والأبناء.. المحتجين من الأقارب وغيرهم.
- ٤ - الأضاحي.
- ٥ - زكاة الفطر.
- ٦ - الأوقاف.
- ٧ - الوصايا.
- ٨ - الضيافة.

٩ - العارية.

١٠ - الإيثار.

١١ - الصدقات.

١٢ - القرض الحسن للمحتاج.

١٣ - المنية.

١٤ - الهدايا والهبات.

وأما الخاتمة: فقد أوجزت فيها أهم نتائج البحث.

منهجي في البحث:

وكان منهجي في البحث كالتالي:

١ - عزوّت الآيات الكريمة إلى سورها مع ترقيمها.

٢ - خرّجت الأحاديث والأثار التي وردت في البحث، وذلك بعزوّها إلى مصادرها من كتب الصحاح والسنن، قدر الطاقة، مبيّناً في الهاامش الجزء والصفحة، ثم الكتاب فالباب، فرقم الحديث غالباً.

٣ - شرحت معاني الكلمات الغريبة - في نظري --

٤ - عزوّت ما تناولته في البحث من معلومات إلى المصادر والمراجع التي رجعت إليها في هذا الشأن.

الفهارس:

وقد ألحقت بهذا البحث خمسة فهارس:

الفهرس الأول: للآيات القرآنية الكريمة.

الفهرس الثاني: للأحاديث النبوية والآثار.

الفهرس الثالث: للكلمات الغريبة.

الفهرس الرابع: للمصادر والمراجع.

الفهرس الخامس: للموضوعات.

هذا، وإنني قد بذلت جهدي وطاقتني في تحري الدقة، والرجوع إلى كل ما أمكنني الرجوع إليه من المصادر والمراجع التي تتعلق بهذا الموضوع ليخرج البحث في صورة مقبولة.

فإن كان هذا العمل صواباً فهو من الله تعالى وحده، وإن كان غير ذلك فمن نفسي، وحسبي أنني بذلت جهدي وطاقتني في السعي إلى الحصول على الأفضل، ولكن طبيعة البشر النقص والتقصير، والكمال لله تعالى وحده.

وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن أكون قد وُفّقت فيما كتبت، وأن يتتجاوز عنِّي فيما قصرت فيه، إنه ولئِ ذلك القادر عليه والحمد لله رب العالمين. وصلَّى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الفصل الأول

التعريف بالنظم الاشتراكية ونشأتها



المبحث الأول

تعريف الاشتراكية

كلمة اشتراكية في بداية أمرها تعني قضية النظم الاجتماعية المختلفة، التي كانت شعوب أوروبا تناضل من أجلها في مواجهة الاضطرابات الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية^(١).

والاشتراكية: الكلمة عامة وغامضة، استُخدمت بمعاني ومفاهيم كثيرة، حتى أنَّ بلغت معانٍها المائتين في بريطانيا وحدها، هذا، عدا المفاهيم السائدة عنها في ألمانيا، وإيطاليا والدول العربية.

ويبينما يرى أنصارها أنَّ الاشتراكية هي أكثر التنظيمات الاجتماعية جداراً واحتكاماً إلى العقل لاستخدامها الموارد الإنسانية والمادية أحسن استخدام، ويُدعون أنَّ تقدُّم البشرية مرهونٌ بها. يرى كثيرون أنَّ الاشتراكية هي الشيوعية ولكن بأسلوب آخر حيث تعتمد في تنفيذ مخططاتها على الترغيب لا الترهيب الذي تعتمد عليه الشيوعية^(٢).

(١) موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ١٠٣.

(٢) انظر: انهيار الشيوعية، ص ٢٩، التضليل الاشتراكي، ص ١٢.

وتحدد الماركسية معنى الاشتراكية عملياً بأنها القضاء على استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، والقضاء في نفس الوقت على طبقات المجتمع المتاخرة^(١).

وقد عرّفت الاشتراكية في بعض مؤتمراتها الرسمية بما يأتي:

«هي الاتفاق والعمل الدولي بين العمال، وتنظيم الكتلة العاملة سياسياً واقتصادياً إلى حزب طائفي لانتزاع السلطة، وتوحيد وسائل الإنتاج والمقايضة (جعلها عامة مشتركة)».

أو بعبارة أخرى: تحويل المجتمع الرأسمالي إلى مجتمع اشتراكي أو شيوعي^(٢).

إلى غير ذلك من التعريفات الأخرى.

والواقع أنَّ هذه التعريفات ليست دقيقة لمعنى الاشتراكية لوجود الاستغلال والظلم للفرد من قبل الدولة أو الحزب كما سيأتي في مبادئها وتطبيقاتها وأهدافها ودروعها.

ويمكن القول بأنَّ الاشتراكية هي مذهب وضعى فلسفى اقتصادى وسياسي وفكري يقوم على أساس الجماعة وطمس معالم الملكية الفردية أو الملكية الخاصة.

ولمَّا كان الجدل حول تعريف الاشتراكية وتحديد غاياتها كثيراً لا سبيل إلى استقصائه في هذا المقام... إلاَّ إنَّ جميع

(١) انظر: أصول الفلسفة الماركسية (١١٨/٢).

(٢) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة لمحمد عبدالله عنان، ص ١٧٣.

المذاهب والمدارس الاشتراكية على اختلاف نزعاتها ووسائلها تدعي أنها ترمي إلى تحقيق الأمور التالية:

- ١ - المساواة الاقتصادية بين جميع الأفراد بلا تمييز في القومية أو الجنس أو السن.
- ٢ - محظوظ استغلال الفرد أو الجماعة أو الدولة للفرد.
- ٣ - إلغاء الملكية الفردية بما عليها وما فيها من كنوز وأرزاق، ويدخل في ذلك الأبنية العامة والمصانع وألات الإنتاج.
- ٤ - منح الحق لكل إنسان، أن يستخدم كل وسائل الإنتاج علمية كانت أو فنية، وأن يتتفق بجميع الأنظمة الاجتماعية، وأن يشترك في جميع أعمال المجتمع.
- ٥ - قيام الدولة الاشتراكية ذاتها لتحول إدارة الجهد والإنتاج الفردية إلى إدارة موحدة وتصبح الدولة هي المالكة الوحيدة لجميع الثروات ووسائل الإنتاج وجميع المرافق الاقتصادية الأخرى وتتولى استثمارها^(١).



(١) انظر: تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة لمحمد عبدالله عنان، ص ١٧٤، والمذاهب الاجتماعية الحديثة للمؤلف، ص ٥١.



المبحث الثاني

الفرق بين الاشتراكية والشيوعية

هل هناك فرق بين الاشتراكية والشيوعية أم أنهما متشابهان ومتقاربان؟

الواقع أنَّ الاشتراكية ترمي في النهاية إلى الشيوع، وإنْ كان يوجد ثمة فرق من الناحية العلمية، ذلك أنَّ الشيوعية ترى أنَّ جميع الثروات الاجتماعية مجموع يستهلك الفرد منه بقدر ما يسد جميع حاجاته وليس فقط بقدر ما يناسب خدماته، على أنَّ هذا الحق في الاستهلاك يتوقف عند الشيوعيين على واجب الإنتاج والعمل، فمن لا يعمل لا يأكل على قولهم، . . . وذلك ما يعبر عنه «من كلٌ طبقاً لكتفيته، ولكلٌ طبقاً لحاجته».

أما الاشتراكية فتتفق مع الشيوعية في وجوب إنشاء المجموع العام من الثروات، ولكنها تختلفها في طريقة التوزيع فتسمح لكل فرد من الثمرات العامة بما يناسب عمله وجهوده لا بما يناسب حاجته^(١).

(١) انظر: المذاهب الاجتماعية لعبدالله عنان، ص٦٥، وتاريخ الجمعيات السرية للمؤلف، ص ١٨٠ وانهيار الشيوعية، ص ٢٢٧.

(ولذلك، فإنَّ مبدأ الاشتراكية على كل فرد أنَّ يؤدي حسب طاقاته وأنَّ ينال حسب عمله)^(١).

(ولكنْ إذا لم يصبح العمل بالنسبة للإنسان حاجة طبيعية كحاجته إلى التنفس والمشي، فإنَّ أحسن وسيلة لتشجيع التقدم وتحصص العمال هي: أنَّ ينال كُلُّ فرد حسب نوع العمل الذي يؤديه)^(٢).

ولكنَّ الفرد في الاشتراكية لا يأخذ نتيجة عمله كاملاً، وذلك لأجل الاحتفاظ بقسط منها لأجل تنمية الإنتاج، وتتجدد الآلات البالية. أما وسائل الاستهلاك فلا بدَّ من الاحتفاظ بقسم منها لتغطية مصاريف الإدارة والمدارس والمستوصفات وغيرها.

وفي المجتمع الاشتراكي يعطى كل فرد حسب عمله بصورة غير متساوية بين الأفراد، بعد أنَّ يؤمن لكل فرد أسباب معيشته^(٣).

والمساواة بين الأفراد معدومة في الاشتراكية؛ ذلك لأنَّهم يعترفون بأنَّ نزعة المساواة التي تقوم على قياس الناس بنفس المقياس مستحبة اجتماعياً لأنَّ هناك تفاوتاً طبيعياً بين الناس سببه كفاءتهم البيولوجية^(٤) والنفسية. أما التفاوت الذي يسعى الشيوعيون لإزالته فهو التفاوت الذي ينشأ من وجود الطبقات،

(١) انظر: أصول الفلسفة الماركسية (١٤٥/٢)، موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٢٠٩.

(٢) موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٢١٠.

(٣) انظر: المرجع السابق، والصفحة.

(٤) البيولوجية: علم الكائنات الحية. الموسوعة العربية الميسرة (٤٧٦/١).

والعمل سيد الجميع والإنسان يأخذ حسب العمل الذي يؤديه، لذلك لا يوجد هناك محظوظون ولا مستغلون^(١).

ولا بدّ هنا من بيان الفروق الدقيقة بين المصطلحين.

ذلك لأنّ أتباع ماركس وتلامذته قد اختلفوا حول بعض المسائل التطبيقية والأساليب التي يمكن الوصول بها إلى تحقيق الماركسيّة، فعقدوا المؤتمر الشيوعي الثاني ١٩٠٣م والذي اختلف فيه (لينين) مع (برنشتدين) فيما إذا كان من الأفضل المحافظة على الأخلاق الماركسيّة نحو العمل على تحقيقها وهي أخلاق العنف وعدم المهادنة والثورات الدموية والخيانة من أجل تحطيم الرأسمالية، أو يمكن اتباع أسلوب أخف وطأة وهو الأسلوب الديمقراطي طالما أنّ انهيار الرأسمالية حتمي كما يدعى ماركس.

وأصرّ لينين على منهج العنف الماركسي وتبعه كثيرون، بينما أيّد (برنشتدين) المنهج الديمقراطي وأتبعه عدد قليل، لذلك عرف حزب لينين باسم (البلشفزم)^(٢).

وأصبح المؤيدون له يعرفون باسم البلاشفة الذين نسبت الثورة الروسية إليهم «الثورة البلشفية» وتسمى اشتراكيتهم باسم الاشتراكية العلمية^(٣)، كما سيأتي؛ بينما سمي حزب برنشتدين باسم الحزب الاشتراكي الديمقراطي الاصطلاحي ومنه ظهرت

(١) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٤٤٢.

(٢) كلمة روسية معناها الكثرة - أي حزب - الأغلبية و مقابلها (المتشفيكي) أي الأقلية.

(٣) انظر: تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، ص ١٧٩ - ١٨٠، وانهيار الشيوعية، ص ٢٩.

الأحزاب الاشتراكية الغربية في ألمانيا وإيطاليا وإنجلترا، وأخيراً الاشتراكية العربية في بعض دول العالم العربي وكلها تقوم على الأسس التالية:

(مع بعض الفوارق الطفيفة في الجزئيات وأسلوب التطبيق):

١ - عدم معاداة الدين مع إبعاده عن مجال التطبيق على الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

٢ - حق الأفراد في ملكية المال والمساهمة في مشاريع الدولة مع تحديد دخل الفرد وفرض الضرائب التصاعدية كما هو الحال في ظل الاشتراكية الفاية في إنجلترا.

٣ - امتلاك الدولة لمصادر الطاقة وسائر مصادر الإنتاج الأساسية.

٤ - تجنب العنف والصراعات الطبقية والاعتماد على أساليب الإقناع والديمقراطية.

٥ - إفساح المجال لجميع الطبقات في المجتمع^(١).

والاشتراكية العربية: هي تلفيق من الشيوعية والماركسيّة والاشتراكية الغربية، مع تغليف كل ذلك بما يسمى الإيمان بالتراث الديني العربي والقومية العربية، مع عدم المجاهرة بالعداء للدين.

أما الاشتراكية العلمية: فهي تلفيق من الشيوعية الماركسيّة

(١) انظر: مشكلات الحكم والتوجيه، لمحمد البهي، ص ١٩٦، القاهرة سنة ١٩٦٥م، انهيار الشيوعية د/ سعد الدين السيد صالح، ص ٢٩ - ٣٠

في التطبيق المرحلي الهدف إلى غاية موحدة. وقد سموها بهذا الاسم إمعاناً في التضليل وتمسحاً بالعلم في محاولة لترويجها، وللتمييز بينها وبين الاشتراكيات الطوباوية^(١) التي دعا إليها بعض الفلاسفة السابقين في صور خواطر... وسيتضح لنا فيما بعد أنَّ الاشتراكية العلمية لم تكن في الواقع كذلك، وإنما قامت على أساس من الجهل بحقيقة العوامل المفسرة للتاريخ، ومن ثمَّ فلا صلة لها بالعلم الصحيح.

إذن، فمفهوم الاشتراكية حين يأتينا من المعسكر الشرقي روسيا والصين ودول أوروبا الشرقية، أو من بعض دولاته الخاصة في العالم العربي، المراد منه الشيوعية الماركسية. أما مصطلح الاشتراكية الإسلامية فهو مصطلح مغرض ابتدعه بعض الكتاب في محاولة للتقرير بين الإسلام وبين الأنظمة الشيوعية، كما وقع بعضهم في نفس الخطأ حين أطلق مصطلح «ديمقراطية الإسلام»^(٢).

«ومن ثمَّ فإنه في مرحلة التطبيق الاشتراكي لا بدَّ أنْ تظل الدولة قائمة على التوزيع، لتعطي كل إنسان نصيبه من الإنتاج

(١) الاشتراكيات الطوباوية هي: التي دعا إليها بعض الفلاسفة السابقين في صورة خواطر، ولم يقدروا لها ولم يربطوا بينها وبين عوامل الإنتاج، وهي اشتراكيات بدائية، وكانت تنتقد المجتمع الرأسمالي وتشجبه، وتحكم بإزالته، ولكن لا تعرف كيف تكتشف قوانين تطوره. ويطلق الكتاب على هذه الأفكار بالاشراكية الخيالية. انظر: انهيار الشيوعية، د/ سعد الدين السيد صالح، ص ٣١، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، د/ جماعة الخولي، ص ١٦١، تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، محمد عبدالله عنان، ص ١٧٢.

(٢) انهيار الشيوعية، د/ سعد الدين صالح، ص ٣٠ - ٣١.

بحسب كمية الإنتاج الموجودة بالفعل، كما تشرف الدولة على الإنتاج لتضمن قيام كل إنسان بالجهد المطلوب منه. ولكن حيث تتحقق الشيوعية يتحقق ذلك المبدأ فيبذل كل إنسان ما في طاقته من الجهد من تلقاء نفسه، ويأخذ ما يحتاج إليه من الإنتاج، مكتفياً من تلقاء نفسه بلا رقيب»^(١).

وأنا أقول: إنَّ هذا المبدأ تعسُّفٌ من الشيوعيين، وإنَّ هذا الأمر غير قابل للتحقيق، فهل كان الناس ملائكة حتى نفترض أنهم يمكن أنْ يعودوا إلى تلك الصفة في يومِ من الأيام؟!.

أوَ ليسوا هم الذين يقولون إنه منذ اكتشاف الزراعة جنح الناس إلى الملكية الفردية، وظهر الطمع والجشع، واختلف وضع الناس في المجتمع، وانتهت المساواة والتعاون والود والإخاء، وحلَّ محلها الصراع؟!

فما الذي تغيَّر في طبائع الناس حتى يجيء عليهم يوم لا حكومة فيه ولا رقابة ثم يبذل كل منهم طاقته في العمل ثم لا يأخذ إلَّا بقدر حاجته.

نعم لقد مدح الله الأنصار وبينَ فضلهم وشرفهم وكرمهم بعدم حسد़هم وإيثارهم مع الحاجة. فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَرُّوا
الَّذَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِرَ يُجْبِونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحْدُثُونَ فِي
صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أَوْتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ يِهِمْ
خَصَّاصَةً . . .﴾^(٢).

(١) مذاهب معاصرة لمحمد قطب، ص ٤٢١.

(٢) الحشر: ٩.

ولسنا نقول إنَّ هذه الصورة لا يمكن أن تترکر في الناس، ولكننا نقول: إنَّ هذا لم يحدث إلَّا باتباعه مرضاة الله تعالى لقوة إيمانهم بعظيم الثواب، وليس ذلك مفروضاً عليهم بالحديد والنار كما فعلته الشيوعية الحمراء. والأمر الآخر: فقد كان إلى جوار هؤلاء الأنصار من قال الله تعالى فيهم: «هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَتَخَلُّ وَمَنْ يَتَبَخَّلُ فَإِنَّمَا يَتَخَلُّ عَنْ نَفْسِهِ»^(١).

والإسلام لا يفترض أنَّ كُلَّ الناس يصلون إلى القمة، وإن كان يدعوهم إلى الصعود إليها، قال تعالى: «وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِمَّا عَكِلُوا»^(٢).

وقال سبحانه: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»^(٣).



(١) محمد: ٣٨.

(٢) الأنعام: ١٣٢.

(٣) الزلزلة: ٧ - ٨.



المبحث الثالث

حقيقة الشيوعية وأهدافها

الشيوعية خطة يهودية غاشمة، أَسَّها ورَوَّجَها وأقامها اليهود بقصد إنهاء البشرية وتحطيمها معنوياً واقتصادياً وأخلاقياً وسياسياً، ليتسنى لليهود إقامة دولتهم المنتظرة بزعمهم وهي (مملكة إسرائيل الكبرى).

ولا يزال اليهود في مؤتمراتهم ونشراتهم ومحافلهم وبروتوكولاتهم يعتزون مغتبطين بتأسيس الشيوعية وقيامها وانتشارها، لأنها مرحلة من مراحل وصولهم إلى مآربهم على أكتاف الأمم والشعوب^(١). لا تتحقق لهم ذلك بحول الله وقوته.

ولدى البحث عن الغاية الحقيقة لزعماء الحركة الشيوعية تبيّن أنها هي الوصول إلى السلطة والاستئثار بالحكم.. مهما تستروا بشعارات أخرى.

هذا ما تبيّن لكل الباحثين، وتكتشف للجميع بعد وصول

(١) الموجز في الأديان، ص ٩٢.

هؤلاء إلى الحكم. يقول «دجилас» في كتابه «الطبقة الجديدة»: (ولكن علينا أن نوضح هنا أنَّ السلطة كانت منذ الأساس وما زالت غاية الزعماء الشيوعيين، بالرغم من ادعائهم بأنهم يستخدمون السلطة كوسيلة لتحقيق غاية مثالية بدون أن يعلموا عما في دخائل نفوسهم، من أنَّ السلطة هي غاية نهائية بالنسبة إليهم)^(١).

ومن أهدافهم القضاء على الأديان - غير الدين اليهودي .
ويحاربون الملكية الفردية ويقولون بشيوعية الأموال وإلغاء الإرث .

وشعارهم: (نؤمن بثلاثة: ماركس ولينين وستالين، ونكفر بثلاثة: الله، الدين، الملكية الخاصة) عليهم من الله ما يستحقون .

وهم ينكرون الأسس الأخلاقية، ويقولون بأنَّ الأخلاق نسبة وهي انعكاس لآلية الإنتاج .

وتنكر الماركسيَّة الروابط الأسرية وترى أنَّ فيها دعامة للمجتمع البرجوازي وبالتالي لا بدَّ أنَّ تحل محلها الفوضى الجنسية^(٢) .

والشيوعيون الماركسيون لا يحجمون عن أي عمل مهما كانت بشاعته في سبيل غايتهم، وهي أنَّ يصبح العالم شيوعياً تحت سيطرتهم .

(١) الكيد الأحمر، ص ٢١.

(٢) الموسوعة العيسرة، ص ٣١٠.

يقول لينين: (إنَّ هلاك ثلاثة أرباع العالم ليس بشيء إنما الشيء الهام هو أنْ يصبح الرابع الباقى شيوعياً^(١)).

وهذه القاعدة طبَّقوها في روسيا أيام الثورة وبعدها، وكذلك في الصين وغيرها حيث أبيدت ملايين من البشر، كما أنَّ اكتساحهم الفاشل لأفغانستان مؤخراً بعد أنَّ اكتسحوا البلدان الإسلامية الأخرى، مثل بخارى وسمرقند وبلاط الشيشان والشركس، إنما ينضوي تحت تلك القاعدة الإجرامية . . .



(١) المرجع السابق، ص ٣١١. وانظر: أخطار الغزو الفكري، ص ٢٥٢ وما بعدها.



المبحث الرابع

نشأة المذاهب الاشتراكية وتطورها

المطلب الأول:

**أ - نبذة عن الفكر الاشتراكي
قبل القرن التاسع عشر**

إذا نظرنا إلى تاريخ نشأة المذاهب الاشتراكية، نستطيع القول بأنه لم توجد مذاهب أو مدارس اشتراكية بالمعنى الفني للكلمة قبل القرن التاسع عشر الميلادي، وإنْ كانت وجدت أفكار اشتراكية من قبل ترجع جذورها إلى ما يأتي :

- ١ - جمهورية أفلاطون (٤٢٩ - ٣٤٧ ق. م.) التي دعا فيها إلى شيوعية الأموال والنساء بين الطبقات العليا في المجتمع ثم عدل عن هذه الشيوعية في كتابه «القوانين» الذي كتبه في آخر حياته^(١).
- ٢ - وفي القرن الخامس الميلادي ظهرت في فارس دعوة

(١) انظر : الإسلام ومشكلات العصر، مصطفى الرافعي، ص ٦٤، والموسوعة العربية الميسرة (١٨١/١).

شيوعية قام بها مزدك (٤٨٧م) الذي أدعى أن الله تعالى جعل الأرزاق في الأرض ليقسمها العباد فيما بينهم ولكن الناس تظالموا فيها، ومن هنا دعا إلى شيوعية المال والنساء حتى اختلطت الأنساب وفسد المجتمع وعمت الفوضى إلى أن قام علاء فارس بقتل مزدك والقضاء على فنته^(١).

٣ - وفي القرن الرابع الهجري: قام القرامطة - الخارجون عن الإسلام - في «البحرين» وقد أسسوا دولة لهم على أساس من مبادئ الشيوعية في الإباحية والتحلل الخلقي، وإلغاء العقائد والملكية الفردية. ولا ينسى التاريخ ما أحدثه القرامطة بالمسجد الحرام حيث نزعوا الحجر الأسود وردموا بئر زمزم بجثث الحجيج المسلمين^(٢).

بعد ذلك ظهرت كثيرون من المؤلفات لفلسفات تحذّلوا عن إمكانية قيام مجتمعات تقوم على أساس اشتراكية شيوعية ومنهم:

٤ - الكاتب الإنجليزي توماس مور الإنجليزي (١٤٨٠ - ١٥٣٥م) الذي كتب قصته الخيالية «اليوتوبيا»، التي أقامها على أساس إلغاء الملكية الفردية وإقامة الملكية الشيوعية بدلها.

٥ - وعلى نفس المنهج كتب «كامبانلا» (١٦٣٠م) «مدينة

(١) انظر: تاريخ الطبرى، (٩٢/٢)، والملل والنحل للشهرستاني، (٢٤٩/١)، عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين للبلهـى، (٤٢٠/٢).

(٢) انظر: تاريخ الطبرى ٢٣/١٠، ٧٥، وانظر: أخبار القرامطة في الجزء السادس من الكامل في التاريخ لابن الأثير، ص ٩٢، ٩٩، ١٠٤، ١٠٨، ١١٢، ١٧٥، ١٧٧، ١٩١، ٢٠٣.

الشمس» وقد ضمنها شيوعية في الأموال وشيوعية في النساء^(١).

٦ - ويُعتبر الفيلسوف الفرنسي «أوجست كونت» (١٧٩٨ - ١٨٥٧م) المؤسس الفلسفي للشيوعية في العصر الحديث، حيث اتجه في فلسفته إلى القضاء على النزعة الفردية الذاتية وإقامة النزعة الإنسانية العامة التي تجعل الفرد ترساً في آلة المجتمع، كما اعتبر كونت الملكية مجرد وظيفة لخدمة المجتمع لا لخدمة أصحاب الملكيات الخاصة^(٢).

٧ - ثم جاء من بعده فيلسوف فرنسي آخر هو «لويس بلان»، الذي قرر أنَّ الحلَّ الوحيد لمشكلة استغلال العمال هو أنْ تملك الدولة جميع الموارد فتوفر عملاً لكل مواطن وتوزع الناتج على الجميع بالقسطاس^(٣).

٨ - كما أنَّ أفكار فولتير، وجان جاك رسو عن الدين تُعدُّ المنبع الأساسي الذي اعتمد عليه كارل ماركس؛ ذلك أنَّ فولتير يزعم أنَّ البشرية قد عاشت قرونًا متطاولة في حياة مادية خالصة قوامها الحرج والنحت والبناء قبل أنْ تفكَّر في قضایا الدين والروحانيات، وذهب إلى أنَّ فكرة التأله إنما اخترعها دهاء ماكرون من الكهنة والقساوسة الذين وجدوا من يصدقهم.

كما ذهب جان جاك رسو إلى أنَّ الدين ونظم الأخلاق والمجتمع هي مجرد اختراع من ملَّاك الأرض الذين حدا بهم

(١) انظر: المذاهب الاشتراكية، أحمد جامع، ص ٢٠ - ٣٠، هذه هي الاشتراكية. عبدالرحمن حماد، ص ١٣ وما بعدها.

(٢) انظر: فلسفة كونت، ليفي بريل، ص ٣١٥، القاهرة.

(٣) تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ص ٣٣.

جشعهم وحرصهم والحفاظ على ملكيتهم إلى أن يأتروا بينهم على وضع تلك النظم والقوانين ليخدعوا بها الناس ويضلوا بها الفقراء^(١).

ويطلق الكتاب على مثل هذه الأفكار الاشتراكية اسم الاشتراكية الخيالية تفريقاً بينها وبين الاشتراكية الحديثة التي ظهرت بعد ذلك والتي حملت طابعاً اقتصادياً^(٢).

المطلب الثاني:
ب - الشيوعية الماركسية الحديثة

أما الشيوعية الماركسية الحديثة والتي نحن بقصد الكلام عنها فقد أعلنها كارل ماركس بمعاونة زميله فريدرick إنجلز سنة ١٨٤٨م ثورة شيوعية ضد الرأسمالية الغربية ضد الكنيسة المتحكمة في رقاب العباد، ولكنها كانت ثورة طاغية عاتية، بل هي أشد وأنكى. وكانت دعوتهما بمثابة إطفاء الحرائق بالوقود، حيث زادت الطين بلة، والنار اشتعلت بفكرتهما الخبيثة الملحدة.

وسنتناول الحديث عن الشيوعية الماركسية في النقاط التالية :

١ - أسباب ظهور الشيوعية الحديثة في أوروبا:

-
- (١) الدين والبناء العائلي، د/ نبيل السعالوطى، ص ٦٢، جدة سنة ١٩٨١م.
(٢) الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها، د/ جمعة الخولي، ص ١٦١.

وظهرت الماركسية أول ما ظهرت... في أوروبا في القرن التاسع عشر وكان كل من الدين، والاقتصاد، والفلسفة هناك يمهد لها:

أ - أما الدين فقد قاست أوروبا الكثير مما آل إليه أمر دينها.. هذه حقيقة لا بدّ من الاعتراف بها... وفي الوقت الذي بدأت تتفتح فيه على العلم وتأخذ بأسبابه.. وفي الوقت الذي اتصلت فيه بالشرق الإسلامي - بأكثر من طريق - وعرفت عقيدته السهلة وشرعيته السمححة.. تفتحت آذانها وعيونها على دين معقد يصادم العقل ويرهقه.. فمن قائل بأقانيم ثلاثة (الأب والابن وروح القدس)؛ ومن قائل (إن الله هو المسيح بن مريم).

وكل ذلك تحريف لدين المسيح عليه السلام وخروج عليه. فكيف لأنباء (عصر النهضة) أن يسيغوا ويقبلوا ذلك (الخلط والخطب)؟!

وكيف بمن سمعوا شيئاً عن عقيدة الإسلام «لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا»^(١).

«فَلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ ۝ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كَفُوا أَحَدٌ ۝»^(٢).

كيف بمن سمع بهذه البساطة أن يسيغ ذلك التعقيد؟

ثم، كيف مع ذلك التعقيد.. بما انحدر إليه رجال الدين:

(١) الأنبياء: ٢٢.

(٢) الإخلاص.

صكوك الغفران.. قرارات الحرمان^(١)، كرسي الاعتراف^(٢) وأخيراً تلك الوصمة التي لا تنسى... اضطهاد العلم والعلماء وتفكيرهم وسوقهم إلى محاكم التفتيش.

ثم بأن تكون الردة عن ذلك الدين إلى دين ماركس.

ب - وأما الاقتصاد في القرن التاسع عشر فقد كانت الرأسمالية في عنفوانها، أصحاب المزارع الكبيرة يمارسون الإقطاع، وأصحاب المصانع - بعد الثورة الصناعية - يمارسون إقطاعاً من نوع آخر.

قلة تملك وتكدس الثروات، وتعيش حياة الترف والرخاء،

(١) وذلك أنه إذا أراد البابا أن يبني كنيسة أو يجمع مالاً لشيء ما، طبع صكوك الغفران ووزعها على أتباعه ليبيعوها للناس كالذين يبيعون أسلهم الشركات... وبالصط فراغ ترك ليكتب به اسم الذي سيففر ذنبه، والعجب أن هذا الصك يغفر لمشتريه ما تقدم من الذنوب وما تأخر، فهو عبارة عن أخذ إذن بارتكاب كل الجرائم بعد أن ضمنت الجنة لهذا المحظوظ، ثم ضرب بسيف الحرمان من يزعمون أن الغفرانات غير مفيدة، أو ينكرون على الكنيسة سلطان منحها، غير أنه قد رغب في أن يستعمل هذا السلطان باعتدال واحتراز حسب العادة المحفوظة قديماً، والمثبتة في الكنيسة، لثلا يمس التهذيب الكنسي تراث بفرط التساهل. انظر: المسيحية، لأحمد شلبي، ٢٥٤، والنصرانية، لأبي زهرة، ٢٠٣.

(٢) ولم تقف قضية غفران الذنوب عند هذه الصكوك، بل سرعان ما دخلها عنصر جديد فاضح ذلك ما يسمى (كرسي الاعتراف)، فكان على المذنب أن يعترف بذنبه، في خلوة مع قسيمه، ليستطيع هذا القسيس أن يغفر له ذنبه، وفي خلوات الاعتراف حدثت أشياء يقشعر لها الوجدان.

انظر: المسيحية، لأحمد شلبي، ٢٥٥، والنصرانية لأبي زهرة، ٢٠٣.

وملايين محرومة، تعيش حياة البؤس والشقاء، وتشهد من قريب من يرفلون في عرق جبينهم.

والتطرف يفضي إلى تطرف... . بعد ذلك، فليس غريباً أن تسمع الطبقة الكادحة لذلك النداء الخادع (يا صعاليك العالم، اتحدوا فأمامكم عالم تغنمونه وليس عندكم من شيء تفقدونه غير القيود والأغلال).

وليس غريباً أن يصدقوا نظرية (فائض القيمة وإلغاء الملكية الفردية) وشيوعية المال وأسطورة: «من كل حسب طاقته. ولكل حسب حاجته».

ج - وأما الفلسفة السائدة في القرن التاسع عشر:

فهي ما يمكن أن يسمى بالفلسفة المثالية^(١) والتي كانت ميراثاً كبيراً منذ أفلاطون إلى فيورباخ. وقد أغرت في التحليل في الخيال وأغرت كذلك في الخوض فيما ليس لها فيه علم، مثل كثير من الإلهيات، فكانت الفلسفة المادية القائمة على (الحس) رد فعل لتلك الفلسفة المثالية المغرقة في الخيال^(٢).

إلا أنَّ الشيوعية التي قام بها كارل ماركس وصديقه فريدرיך إنجلز في أوروبا بقى دعوه نظرية، حتى قامت الثورة الشيوعية في روسيا سنة ١٩١٧م بقيادة لينين اليهودي وبتمويل وتحطيط محكم من الحركة الصهيونية، التي فكرت ودبَّرت

(١) المثالية هي المذهب القائل بأنَّ حقيقة الكون أفكار وصور عقلية وأنَّ العقل هو مصدر المعرفة. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، (١٦٤٥/٢).

(٢) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص ١٠٧ وما بعدها.

وقدّرت للحركة الشيوعية كيفية النشأة، وأسلوب العمل، ومنهج الانتشار ..

ذلك لأنَّ الهدف الأساسي للحركة الصهيونية هو السيطرة على العالم كله وحكمه حكماً - بعد مراحل من الحكم الخفي - بواسطة حكومة يهودية يرأسها ملك من جنس صهيون كما تنطق بذلك البروتوكولات السرية لليهود.

٢ - أسباب ظهور الشيوعية في روسيا:

إنَّ تركيز أنظار اليهود على روسيا كان لاعتبارات ولأهداف منها:

١ - لأنَّ اليهود كان لهم دولة قرب بحر الخزر ما بين القرن التاسع والعشر الميلادي، إلاَّ لأنَّ روسيا حطمتها وأزالتها من الوجود، وهذا هو سبب وجودهم بكثرة في روسيا وأوروبا الشرقية.

٢ - تحطيم القيصرية الروسية التي تمثل المحافظة على الكنيسة الأرثوذكسية بعد أنْ حطموا الكنيسة الكاثوليكية في غرب أوروبا.

٣ - لأنَّ هناك أعداداً كثيرة من اليهود كانت تقيم في روسيا وقد قاموا بمحاولات سابقة لقتل قيسar روسيا.

٤ - لأنَّ روسيا الدولة الوحيدة التي لم يستطع اليهود السيطرة عليها في ظل القيصرية الأرثوذكسية، وإنما تعرض اليهود فيها للقتل والتشريد بسبب تصرفاتهم الدينية ومؤامراتهم المتعددة لقتل القيصر الروسي.

٥ - أنَّ إقامة الثورة الشيوعية في روسيا يمثل نوعاً من الصراع الظاهري بين شرق أوروبا وغربها، ويساعد اليهود على تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ بين الشرق والغرب.

ذلك أنَّ الحركة الصهيونية خلقت نوعاً من العداء الظاهري بين الشيوعية وبين الرأسمالية، وجعلت إحداهما مناقضة للأخرى لكي تضع العالم كله بين فكيها، فمن لا يرد أنْ ينطوي تحت جناح الغرب الرأسمالي فليلجأ إلى الشرق الشيوعي، والكل في النهاية تحت سلطانها، والكل متافق في الهدف وهو القضاء على الإسلام كمقدمة للسيطرة على دول العالم الإسلامي، والوصول إلى الهدف النهائي^(١).

لا استطاعوا إلى ذلك بحول الله وقوته ثم بيقظة المسلمين.

٣ - الثورات والمنظمات الشيوعية في غير روسيا:

يرى المتابعون أنَّ كل الأحزاب الشيوعية في العالم وكل الثورات الشيوعية كانت صناعة يهودية، وكان تنفيذها على أيدي قيادات يهودية في ألمانيا، تشيكوسلوفاكيا، المجر، رومانيا، يوغسلافيا، بولونيا، الصين، بولندا، ألبانيا، كوبا وغيرها.

ومن المعلوم أنَّ الحزب الشيوعي قد استولى على السلطة في بلدان أوروبا الشرقية بقوة الجيش الأحمر الروسي لا بثورات محلية داخلية^(٢).

(١) انظر: السرطان الأحمر، ص ٣٧ وما بعدها، وانهيار الشيوعية، ص ٥٨ - ٥٩.

(٢) انظر: الكيد الأحمر، ص ١١٤ - ١١٢ باختصار، وانظر: في هذا الشيوعية منشأ وسلكاً، ص ٣٦ وما بعدها. والسرطان الأحمر، ص ٥٤ وما بعدها.

وقد أكدت بحوث المتبعين في الستينات أنَّ أصول وزراء المعارف في جميع بلدان أوروبا الشرقية هم من اليهود بغير استثناء . . .

كما أصبح من الأمور البديهية لدى جميع الباحثين أنَّ المنظمات الشيوعية في العالم مرتبطة جميعها بلا استثناء بالمصانع اليهودية العالمية .

ويذهب الباحثون حينما يجدون أنَّ الآلية اليهودية هي المحرِّكة والموجِّهة والعاقدة للصلات، والبادلة للأموال، والجامعة لمختلف الأوصال، وأما العناصر غير اليهودية فجنود تنفيذ وإن وصلت إلى مراكز قيادية مرموقة في الأحزاب الشيوعية أو في الدولة الشيوعية .

المطلب الثالث: أسباب انتقال الشيوعية إلى بعض البلاد الإسلامية

مع أنه كان من المفترض أن تكون البلاد العربية وسائر الشعوب الإسلامية أبعد ما يكون عن التأثر بالحركات اليهودية الشيوعية، باعتبار الحصانة الإسلامية الجذرية ضد المبادئ الشيوعية وفي مقدمتها الإلحاد، وباعتبار آلامهم من قضية فلسطين، إلا أننا نجد مع ذلك أنَّ الأحزاب الشيوعية فيها قد كانت طلائعها وقياداتها الأولى يهودية بحثة ما في ذلك ريب، والسبب في ذلك أمران:

الأول: إسلام الشيوعيين الحقيقيين عن دينهم وأمتهם،

انسلاخاً كاملاً بمؤثرات الفلسفة المادية الإلحادية، والإباحية الشهوانية، وإثارة الأهواء والأحقاد والمطامع المعمنة للأفكار والبصائر.

الثاني: انخداع الشيوعيين البسطاء السذج بأكاذيب الإصلاح الاجتماعي، ورفع الظلم الظبيقي التي تطلقها شعارات الشيوعية ودعاتها آنذاك^(١).

وقد أشرف اليهود على تنظيم وتكوين الأحزاب الشيوعية في العالم العربي فهم قادتها ومخططوها، ففي سوريا ولبنان يوسف يزبك وفؤاد شمالي، وفي مصر جوزيف روزنبرغ، وفي العراق ساسون دلال وناجي شميل وصديق يهودا، وفي فلسطين والأردن روزشتاين وجاك شابيليف^(٢).

واليك أهم الأسباب التي مهدت لانتشار الشيوعية في بعض البلدان الإسلامية:

١ - الانحراف في فهم العقيدة الصحيحة وانتشار المفاهيم الفاسدة باسم الإسلام، حيث عمّت القصص الخرافية عن الأولياء في قبورهم بأنهم يشفون المرضى، وتظهر كراماتهم فيمن يؤذى أبناءهم؛ بالإضافة إلى ما يقوم به جهلة الصوفية من ابتداع طقوس بعيدة عن روح الإسلام، وأطلقوا عليها أسماء من عند أنفسهم على حساب الإسلام، وفرقوا بها جماعة المسلمين، ووزعوه

(١) انظر: الكيد الأحمر، ص ١١٤ - ١١٥.

(٢) من أراد التوسع في هذا فلينظر الكيد الأحمر، ص ١١٦ وما بعدها، الشيوعية ولidea الصهيونية، ص ٨٦٦ وما بعدها، السرطان الأحمر، ص ٥٧ وما بعدها، الشيوعية منشأ ومسلكاً، ص ٥٧ وما بعدها.

على تلك البدع وأعلنوا عن أنفسهم أهل الله وأحباؤه؛ ولهم صلاحية ليست للأنبياء والرسل، إذ في إمكانهم أن يأخذوا الدين وشرائطه عن الله مباشرة بغير واسطة جبريل، ودون حاجة إلى الرسول محمد ﷺ.

هذه الخرافات وغيرها من التردد على الدجالين والمشعوذين والسحرة استغلها الشيوعيون وصيروا سهامهم نحو الدين، والدين الإسلامي من هذا براء.

٢ - الاستعمار الغربي لأجزاء واسعة من العالم الإسلامي:

لقد عانى كثير من المسلمين وبلاد الاستعمار الغربي.. فامتتصنّ الغرب دماء المسلمين وسلب أوطانهم.. مما زرع الحقد والعداوة للغرب في قلب كل من يحس لهذا الدين بحرمة، ولم يجرِ الشباب المسلم مصائب الحكم الأحمر فارتدى في أحضان الشيوعية ظناً منه أنه الخلاص من أخطبوط الغرب القاتل. وخدع الشباب بنغمات تحرير الشعوب الضعيفة التي تتبعج بها موسكو آنذاك.

٣ - أجهزة التعليم والتوجيه التي ركز عليها الغرب في العالم الإسلامي:

إنَّ تركيز الإعلام الغربي على نشر الرذيلة وتفسخ الأخلاق وتشويه صورة الإسلام وعلمائه أقام حاجباً كثيفاً بين الجيل وبين من يقدمون له هذا الدين، فالتجأ الشباب إلى المبادئ والأيديولوجيات الهدامة ظناً منهم أنها تملأ فراغهم النفسي والفكري.

٤ - أضف إلى هذا وضع المناهج الدراسية العقيمة البالية التي لا تنتج إلاً الجهل بحقيقة الإسلام والجمود الفكري وبرود الهمة؛ فهذه المناهج حجبت الأجيال عن معرفة النور الذي أنزله رب العالمين، وأصبح للغة الأجنبية من الحصص أكثر من دين الله كما خطط دنلوب وكروم.

٥ - رفع شعارات القومية والعلمانية:

لقد تحمس كثير من الشباب وهرع للانضواء إلى ألوية شعارات القومية والحزبية والإقليمية ظناً منهم أنها تريد تخلصهم من الاستعمار الذي امتص دماءهم، وسرعان ما رفعت هذه الأحزاب عقيدتها، وكشفت عن أهدافها، ونشرت على أتباعها مناهجها أنها (علمانية) لا صلة لها بدين. ولكن النفس البشرية لا بدّ لها من عقيدة تحملها.. وهذا ما تفتقده الأحزاب القومية فعادت تملأ فراغها بالفلسفة الاشتراكية المادية والعقيدة الماركسية الإلحادية.

٦ - تهاون كثير من المسلمين بالبعثات إلى العالم الشرقي :

إنَّ كثيراً من المسلمين بعثوا بأبنائهم إلى البلاد الشيوعية الحمراء فيرجع أكثر هؤلاء بشهادة طب أو هندسة بعد أن فقدوا شهادة - لا إله إلا الله - وحملوا الأفكار الإلحادية الماركسية، وبالتالي يكون هؤلاء منظمين شيوعيين يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي أبنائهم وهم لا يعلمون.

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أنْ تبتل بالماء^(١)

(١) لم أقف على قائله.

إلى غير ذلك من الأسباب التي أَدَّت إلى انتشار الشيوعية
في ديار المسلمين^(١).



(١) انظر في هذا: أضواء على طريق الدعوة إلى الإسلام، د / محمد
أمان الجامي، ص ٢١١ وما بعدها، السرطان الأحمر ١٦٢ وما بعدها،
نقد أصول الشيوعية لصالح اللحدان، ص ٤٣، انهيار الشيوعية،
ص ٥٢ - ٥٣.

المبحث الخامس

أهم المبادئ والتطبيقات الاشتراكية

المطلب الأول:

أهم المبادئ الاشتراكية

إنَّ أهم المبادئ والأراء العامة التي جاء بها (كارل ماركس) و (فريدرick إنجلز) في «البيان الشيوعي» وفي الكتب المختلفة التي أصدرها هي :

١ - الدعوة إلى الإلحاد، فليس في الكون إله، وإنما هي المادة وحدها، على أنه لا يجب التصرير بذلك في بعض الظروف.

٢ - فسر الفلسفه العالم بطرق مختلفة، إلا أنَّ المهم هو أنْ نغيِّر هذا العالم . وتغيير هذا العالم يكون بالثورة، وبالصراع الطبقي .

٣ - التاريخ هو سلسلة تطور اجتماعي مستمر، ويجب تفسير التاريخ على أساس مادي اقتصادي بحت.

٤ - صراع الطبقات هو حتمي وطبيعي، ويجب نقله إلى الميادين كافة: في السياسة والفلسفة والقضاء، والقوات المسلحة، والدين.

٥ - نظام الإنتاج في المجتمع هو الذي يحدد الإطار الاجتماعي السياسي لهذا المجتمع.

٦ - الاشتراكية حلٌّ حتمي لمشاكل المجتمع الاقتصادية، ولا بدّ منه؛ فالملكية الفردية لوسائل الإنتاج - وهي الأرض ورأس المال والعمل - يجب أن تلغى ليصبح جماعية.

٧ - يجب القضاء على البرجوازية (الطبقة الوسطى)، وعلى الرأسمالية التي تصبح عند نقطة معينة من سيرها، عائقاً تحول دون التقدم البشري؛ ويجب أن تتسلم الحكومة (الطبقة العمالية الواحدة) وتقيم مجتمعًا جديداً.

٨ - عندما يقيم العمال حكومتهم (دكتاتورية العمال) يصبح الناس لأول مرة في التاريخ أحراراً، ويسود المجتمع السلام، فلا يهدّده الحرب، ولا الصراع الطبقي.

٩ - تعتبر الماركسية الأسرة دعامة المجتمع البرجوازي، وترى أنَّ الحبَّ الحرَّ أو الطليق ينبغي أنْ يحل محل الزواج الشرعي. ويقرر (إنجلز) أنَّ الأسرة هي وضعٌ من أوضاع مجتمع لا نضج فيه، ولا ينبغي استبقاء هذا الوضع إلَّا بالقدر الذي يلائم مصلحة الدولة^(١).

(١) انظر: التضليل الاشتراكي، ص ١٥ - ١٧، ومذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب، ص ٤١٤.

المطلب الثاني: أهم التطبيقات الاشتراكية

أما أهم التطبيقات الاشتراكية التي أوردها ماركس وإنجلز في «البيان الشيوعي» والتي ينبغي الوصول إليها بطريق الثورة وبطريق تحريك الصراع الطبقي فهي:

- ١ - تأميم^(١) الأرض وإلغاء الملكية الخاصة على كافة صورها وأشكالها.
- ٢ - تأميم وسائل النقل والمواصلات وجعلها في أيدي الدولة.
- ٣ - تأميم ملكية وسائل الإنتاج والمصانع، وتحويلها إلى ملكية الدولة، أو ما يسمى بالملكية العامة والشعبية.
- ٤ - إلغاء حق الإرث، وتحويل التراثات إلى ملكية الدولة.
- ٥ - مصادرة أموال المهاجرين والمتمردين.
- ٦ - تركيز الائتمان في أيدي الدولة عن طريق بنك واحد وطني برأسمال حكومي يحتكر عمليات الائتمان.
- ٧ - فرض ضريبة تصاعدية مرتفعة على الدخل.

وقد أطلق على اشتراكية ماركس اسم (الاشتراكية العلمية)

(١) التأميم: استيلاء الدولة على المشاريع الخاصة بحيث تصبح مملوكةً ملكيةً عامةً، ويتم في الغالب بناء على دفع تعويض لأصحابها. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، (٤٨٤/١).

وأصبح هذا الاسم يدل عليها دائماً تمييزاً لها من الاتجاهات الاشتراكية السابقة لها أو المعاصرة.

تلك هي أهم المبادئ والأراء التي جاء بها ماركس، وقد جاء لينين من بعد، وأضاف إلى هذه المبادئ والأراء تفسيرات واجتهادات جعلها ليننة مصقوله، بعد أن رأى أنَّ تطبيق الماركسيه حرفيًا أدى إلى كوارث في روسيا، فأتى (بالماركسيه اللينينية)^(١). وسيأتي مزيد إيضاح لهذا في النظام الاقتصادي الشيوعي.



(١) انظر: التضليل الاشتراكي، ص(١٧ - ١٨)، والإسلام والنظم المعاصرة لأبي الأعلى المودودي، ص(٧١)، وانهيار الشيوعية، ص(٢٠١ - ٢٠٢).

المبحث السادس

أنواع المذاهب الاشتراكية ونقدها

المطلب الأول:

أنواع المذاهب الاشتراكية

هناك اشتراكيات متعددة مثل اشتراكية بابوف وهي تختلف أكبر الاختلاف عن اشتراكية برودون، واشتراكية سان سيمون وبرودون تتميزان عن اشتراكية بلانكي، وهذه كلها لا تتماشى مع أفكار لويس بلان، وكاييه، وفوربيه، وبيكور، وإنك لن تجد داخل كل فرقة أو شعبة إلاً خصومات عنيفة تحفل بالأسى والمرارة، ولكن عاملاً مشتركاً يوحد بين هذه الاشتراكيات جميعها، وهدفاً واحداً ينظمها ويقرب بينها، وهو إلغاء الملكية الخاصة: مصدر كل ظلم وكل جور وحيف في المجتمع - على زعمهم - .
ونستطيع أن نكتفي هنا - من تلك الاشتراكيات المتعددة - بذكر أشهرها وأبرزها وهي :

١ - الاشتراكية الديمقراطية أو الدستورية، وهي التي تعتمد على الأساليب الديمقراطية أو الدستورية المعتادة في تحقيق

أهدافها، أي عن طريق البرلمانات والمجالس النيابية ونحوها.

وهذه مثل الاشتراكية الفاية التي ينتهجها حزب العمال في بريطانيا، كما تنتهجها السويد وغيرها من البلاد الأوروبية.

٢ - الاشتراكية الثورية، وهي التي تعتمد على الأساليب الثورية في تحقيق أهدافها الاقتصادية والاجتماعية، ولهذا يجذب إليها عادة زعماء الانقلابات العسكرية، فباسمها يصدرون قراراتهم، بلا حاجة إلى سلطة منتخبة، أو ممثلين شرعيين عن الأمة.

٣ - الاشتراكية الماركسية، المسمى باسم (الاشتراكية العلمية)، وهي مذهب كارل ماركس الذي يقوم على أساس من الفلسفة المادية الجدلية^(١). الأمر الذي سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

٤ - ومن أنواع الاشتراكيات الكثيرة:

الاشتراكية المسيحية وتستمد تعاليماً من آباء الكنيسة وتعلق أهمية على إنسانية العمل وعدالة التوزيع. ومن قادتها فردرريك موريس وشارلس كنجولي^(٢).

وهناك الاشتراكية الشعبية، واشتراكية الدولة، واشتراكية رأس المال، والاشتراكية التعاونية، والاشتراكية التيتوية، ثم الاشتراكية العربية^(٣).

(١) انظر: الحلول المستوردة ليوسف القرضاوي، ص ١٦٢.

(٢) انظر: الموسوعة العربية الميسرة، (١ / ١٦٥).

(٣) حكم الإسلام في الاشتراكية لعبد العزيز البدرى، ص ٦٦ - ٦٧.

المطلب الثاني: نقد النظم الاشتراكية

يظهر لنا مما سبق أنَّ النظم الاشتراكية تقوم على إلغاء الملكية الفردية، وتنكر الفوارق الفطرية بين الناس، وتهدف إلى تحقيق المساواة بين جميع الأفراد، وتتجاهل تفاوت البشر في القدرات والموهاب والامتيازات.

وفي ذلك قتل للموهاب والطاقات وجناية على المزايا الشخصية وإحالة دون تفتح العبريات الخاصة.

وهذا الاتجاه فيه إفراط شديد حيث يتصادم بعنف مع فطرة البشر، إذ إنهم ليسوا كلهم سواء... ففيهم القوي النشيط المكتسب، وفيهم الضعيف القاعد الخامل، وفيهم الذكي العبرى، وفيهم الغبي الأخرق؛ وغير ذلك من درجات متفاوتة في طبيعة المجتمع البشري.

كما أنَّ امتلاك الدولة لجميع الثروات ووسائل الإنتاج فيه ظلم لأصحاب الأموال الخاصة.

أما الإسلام فإنه ينظر إلى أنَّ القضاء على التفاوت بين الناس أمر غير ممكن، قال تعالى: ﴿أَمْرٌ يَقِيمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ تَخْنُونَ قَسَمَنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضِهِمْ دَرَجَاتٍ لِتَسْرِخُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(١) إلى غير ذلك مما سنقف عليه إن شاء الله تعالى عند نقد الصراع بين الطبقات.

(١) الزخرف: ٣٢

ومثلُ الجانب الاقتصادي الجوانب الأخرى: الدينية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية وغيرها؛ فالمذاهب الاشتراكية أو الشيوعية تقوم على الإلحاد، وعلى هدم الكيان الأسري، وعلى الانحراف ونشر الرذيلة بين المجتمعات، وعلى العنف والكبت والإرهاب، مما سيأتي بيانه وتفصيله إن شاء الله تعالى في الفصل الثامن.

ويقام حكومة السوفيت بدأت روسيا تجربتها الشيوعية، وللدلالة على هذا النظام استخدمت عدة مصطلحات تكاد تكون مترادة مثل.. البلشفية.. والسوفيتية.. والشيوعية.. والماركسية.

فالماركسيّة: كلمة تعبر عن مذهب يكشف عن المسار الذي سيسلكه النظام الرأسمالي حتى يقضي على نفسه، ويبيّن سمات المجتمع المقبل ويصفه بأنه مجتمع شيوعي.

والسوفيتية: كلمة تشير إلى تنظيم دستوري يساعد على توجيه جوع الشعب إلى تحقيق الشيوعية.

والبلشفية: كلمة - بعد أن كانت في أول أمرها تعني الأغلبية - عندما انقسم الحزب الاشتراكي الديمقراطي للعمال الروسي على نفسه سنة ١٩٠٣م؛ وكانت تقابل كلمة (منشفيك) التي تعني الأقلية، تطورت فأصبحت تعني الكراهية الموجهة ضد المجتمع البرجوازي وبصفة خاصة ضد الغرب الرأسمالي^(١).

(١) انظر: النظم الاشتراكية د / محمد أبو ريان، ص ١٤٢، الفكر المادي الحديث. د/ محمود عثمان، ص ٢٤٠ - ٢٤١.

المطلب الثالث: لا اشتراكية في الإسلام

الإسلام بريء من الاشتراكية، وبريء من الظلم والجور، وأخذ أموال الناس بغير حق، قال تعالى: ﴿يَتَأْيِهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ يَتَنَاهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِحْرِةً عَنْ تَرَاضِنِكُمْ﴾^(١).

ومن ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما^(٢) أنَّ رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر فقال: «يا أيها الناس أي يوم هذا» قالوا: يوم النحر. قال: «فأي بلد هذا» قالوا: بلد حرام. قال: «فأي شهر هذا» قالوا: شهر حرام. قال: «إنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا» فأعادها مراراً، ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغَ فَلِيَبْلُغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبُ، لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رُقَابَ بَعْضٍ»^(٣).

(١) النساء: ٢٩.

(٢) هو عبدالله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، دعا له الرسول ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ فَقِهْهُ فِي الدِّينِ وَعُلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»، كان يسمى حبر الأمة، مات بالطائف سنة ٦٨هـ، وله من العمر إحدى وسبعين سنة، انظر: الإصابة لابن حجر، ٣٣٠/٢، وتقريب التهذيب ١٧٨.

(٣) صحيح البخاري بشرح الفتح (١٥٧/١)، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: «رَبُّ مَبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»، رقم ٦٧.

وقال ﷺ: «اتقوا الظلم فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيمة»^(١).

والإسلام دين سماوي جاء لإحقاق الحق وإبطال الباطل بين الناس، قال تعالى: «وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا»^(٢).

والاشتراكية تتنافى مع الإسلام في العقيدة والشريعة، وفي الأحكام والمعاملات، وفي الأخلاق والنظام والاقتصاد، وتتناقض مع الفطرة البشرية السليمة.

والاشتراكية تنتهك الأعراض، وتستبيح الدماء، وتأخذ أموال الأثرياء ظلماً وعدواناً.

وأما الإسلام فإنه يدعو إلى التعاون والتضامن والتكافل بين أفراد المجتمع المسلم.

عن أبي موسى رضي الله عنه^(٣) قال: قال ﷺ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيْنَ إِذَا أَرْمَلُوا (أي فنى زادهم) فِي الْفَزُورِ أَوْ قَلَ طَعَام

(١) صحيح مسلم (٤/١٩٩٦)، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم رقم (٢٥٧٨)، ومسند الإمام أحمد، (٢/٩٢) عن جابر رضي الله عنه، وهو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، الأنصاري ثم السلمي، صحابي ابن صحابي غزا تسع عشرة غزوة، يُكنى أبا عبدالله وأبا عبد الرحمن وأبا محمد، أحد المكثرين عن النبي ﷺ، مات بالمدينة بعد السبعين، ويقال: عاش ٩٤ سنة، انظر: الإصابة، ١/٢١٣، وتحقيق التهذيب ٥٢.

(٢) الإسراء: ٨١.

(٣) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حفار، أبو موسى الأشعري، صحابي مشهور، أقره عمر ثم عثمان رضي الله عنهما، وهو أحد الحكمين بصفتين، مات سنة خمسين، وقيل بعدها، انظر: تحرير التهذيب، ١٨٥.

عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم»^(١).

قال النووي رحمه الله: وفي الحديث (فضيلة الإيثار والمواساة وفضيلة خلط الأزواب في السفر، وفضيلة جمعها في شيء عند قلتها في الحضر ثم يقسم، وليس المراد بها القسمة المعروفة في كتب الفقه بشروطها)^(٢).

وقال عليه السلام: «من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له»^(٣).

لذلك، فإنه من الخطأ الفادح أن يطلق على المجتمع الإسلامي بأنه مجتمع اشتراكي أو مجتمع رأسمالي أو مزيج منهما؛ وأن سمح بالملكية الخاصة والملكية العامة، فهو يحمي الملكية الشخصية ويحيطها بكل الضمانات الشرعية، وفي الوقت نفسه يحمي الملكية العامة، ويحارب الاستغلال غير المشروع،

(١) البخاري مع الفتح (١٢٨/٥)، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام...، رقم (٢٤٨٦)، ومسلم (١٩٤٥/٤)، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأشعريين...، رقم (٢٥٠٠).

(٢) شرح النووي على مسلم، (٦٢/١٦).

(٣) صحيح مسلم (١٣٥٤/١)، كتاب اللقطة، باب استحباب المواساة بفضل المال، رقم (١٧٢٨)، سنن أبي داود (٣٠٥/٢)، كتاب الزكاة، رقم (١٦٦٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وهو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري، أبو سعيد الخدري، له ولابيه صحبة، استُنصرَف بأحد ثم شهد ما بعدها، وروى الكثير، مات بالمدينة بعد سنّ الستين. تقريب التهذيب، ١١٩.

وهو يسير في ذلك على خطٍّ عادلٍ يحقق للمجتمع الحياة الكريمة الموفورة بالأمن والرخاء.

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون البشرية في هذه الحياة على درجات، أغنياء وفقراء، وبين ذلك، حتى يتساعدوا على الحياة الاجتماعية باحتياج بعضهم إلى بعض، وفي ذلك ابتلاء وامتحان من أجل أن يصبر الفقير ويشكر الغني، ويؤدي ما في ماله من حقوق.

وقد رفع الله تعالى بعض عباده على بعض، قال تعالى: «أَمْرُرْ يَقِيمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ فَسَنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ»^(١).

وقال تعالى: «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلِيفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا أَتَيْكُمْ»^(٢).

وقال تعالى: «وَاللَّهُ فَضَلَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِزْقِ»^(٣).

وزعماء الاشتراكية يقولون: نقسم بين العباد معيشتهم؛ باعتقاد منهم أنَّ قسمة الله تعالى ليست بعادلة.

«كَبَرَتْ كَلِمَةُ نَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا»^(٤)
 «أَمْ يَخْسِدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا أَتَيْنَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ»^(٥).

(١) الزخرف: ٣٢.

(٢) الأنعام: ١٦٥.

(٣) النحل: ٧١.

(٤) الكهف: ٥.

(٥) النساء: ٥٤.

والأدلة من الكتاب والشّرعة الدالة على بطلان جميع مبادئ الاشتراكية وبعدها عن الإسلام ومبادئه السامية كثيرة جداً مما سبق على بعض منها في ثنايا هذا البحث إن شاء الله تعالى.



الفصل الثاني

التعريف بالماركسيّة ومصادرها



المبحث الأول

التعريف بالماركسيّة

الماركسيّة هي منهج كارل ماركس ومذهبه، وهي مذهب فكري واقتصادي وسياسي واجتماعي يهودي إباهي، سُمي باسم صاحبه كارل ماركس. تقوم على الإلحاد، وإلغاء الملكية الفردية، وإلغاء التوارث، واشراك الناس كلهم في الإنتاج على حد سواء.

وقد أطلق على هذا المذهب اسم (الاشتراكية العلمية) تمييزاً له عن الأفكار الاشتراكية الأخرى التي أطلق عليها اسم الاشتراكية الخيالية - كما تقدم -^(١).



(١) انظر: تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، ص ١٨٤، ١٨٥، ١٨٥،
الموسوعة العربية الميسرة ١٦١٦/٢، التضليل الاشتراكي، ص ١٣، ١٤،
كواشف زيف، ٤٣٩، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٩٠.

المبحث الثاني

نبذة عن حياة مؤسسها

هو كارل ماركس، ألماني الجنسية من أصل يهودي، ولد سنة ١٨١٨ في بلدة «تريف» بألمانيا، وكان أبوه محامياً في ألمانيا، فصدر قرار بمنعه من المحاماة بسبب يهوديته فاعتنق النصرانية نفاقاً، وعمد أبناءه الثمانية. وكان كارل عند ذلك في السادسة من عمره، ثم درس الفلسفة في جامعة «ليننا» بألمانيا، ثم انصرف إلى الاقتصاد والفلسفة الاجتماعية، وتأثر بآراء «هيجل» التي يعود إليها فضل تكوينه الفكري، ورفضت جامعة بون أن يكون محاضراً فيها، فسبب ذلك له عقدة نفسية، فاتجه إلى الصحافة، وكان كسولاً، أثانياً، يطلب المال من أبيه دون أن يعمل، وسمته أمه «الطفيلي»، واشتهر بكذبه وعدم وفائه بعهوده، وبالطعن دائماً على أساتذته وأصدقائه، ثم أجبر على الرحيل من ألمانيا بسبب إلحاده ونشاطه الثوري، وبسبب ما كتبه عن الفلسفة المادية الاشتراكية، فسافر إلى باريس والتقي بعدد من الثوريين والعماليين، وهناك تعرّف على فردرريك إنجلز الألماني الأصل الذي أصبح صديقاً له، واتفقا في أهدافهما وأرائهما، فكلاهما يريد تطوير فلسفة «هيجل» الجدلية لتصبح تحليلاً اشتراكياً

للمجتمع الرأسمالي، وقد ألف كل منهما مؤلفات تظهر آراءه، وهي آراء لا تختلف.

وقد وضع ماركس آراءه عن «المادية التاريخية» وحلل التكوين الاقتصادي للمجتمع في كتابه «رأس المال»، واتصل وصديقه إنجلز بالجمعيات السرية التي كونها الاشتراكيون والشيوعيون في باريس، وألفا «عصبة الشيوعيين» هناك، وأصدرا «البيان الشيوعي» المشهور سنة ١٨٤٧م، وضمّناه آراءهما، المعروف باسم «البيان الشيوعي» أو «مانيفستو الشيوعية».

ومن أساتذته الكبار الذين أثروا فيه: اليهودي موسى هس رائد الصهيونية. ومن مؤلفاته «المسألة اليهودية»، وقد تعرّض من أجل بعض ما كتبه لهجوم اليهود والمسيحيين عليه، لكن رائد الصهيونية موسى هس دافع عنه، منبئاً على أنَّ التراث اليهودي موجود في صلب مذهبة.

وقد ساعد إنجلز على نشر آراء ماركس ومقالاته ومؤلفاته بعد وفاته في إنجلترا سنة ١٨٨٣م^(١).

وندّع كون الرجل من أصل يهودي وإنْ كان لذلك الأصل تأثيره... بما عُرف من الطبيعة اليهودية من حقد والتواء وبما عُرف منها من تقديس للمادة، قال تعالى: ﴿وَلَنَجِدَهُمْ أَخْرَصَ النَّاسَ عَلَى حَيَاةٍ...﴾^(٢).

(١) انظر في هذا: تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، ص ١٨٤ - ١٨٧، الموسوعة العربية الميسرة ١٦١٥/٢ - ١٦١٦، التضليل الاشتراكي، ص ١٣، ١٤، وكواشف زيف ٤٣٩، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ٩٠.

(٢) البقرة: ٩٦.

ولا شك في أنَّ للوراثة أثراً، نُغْرِضُ عن ذلك حتى لا نُحاجُ بأننا نُحملُ الرجلَ أوزارَ - آبائه وأجداده - والله يقول: ﴿وَلَا نَزِرُ وَازِرٌ وَزَرَ أُخْرَى﴾^(١).

لكتنا نشير هنا إلى أشياء ثابتة في حياة كارل ماركس:

١ - ما وصفه به أبوه من طبيعة تميل إلى الهدم والتدمير والأناية.

٢ - ما قبله على نفسه أنْ يعيش بعد وفاة أبيه عالة على أمه وأخواته يأكل من نصيبيهن في الإرث بعد أنْ أكل نصيبيه، وذلك بدلاً من أن يعولهنَّ وهنَّ الإناث الضعيفات.

٣ - ما قبله على نفسه أنْ يعيش عالة على صديقه (فردريك إنجلز).

٤ - ما ارتكبه من غش واحتياط على بعض دور النشر؛ إذ باعها حق نشر بعض كتبه في الوقت الذي كان يبيعها إلى دور أخرى

٥ - موت ابنته متخرتين:

واحدة: ألينورا بعد أنْ عاشت في الحرام مع عشيق لها ثم اكتشفت سبق زواجه.

والثانية: لورا خوفاً من أنْ تدركها الشيخوخة. ونحن وإن كنا لم نأخذ كارل ماركس بذنب آبائه أو بناته، إلا أننا

(١) الإسراء: ١٥.

نتساءل كيف لم يستطع ذلك الفيلسوف العبرى . . . أن
يحسن تربية بناته^(١).



(١) انظر: الشيوعية والإنسانية في شريعة الإسلام للعقاد، ص ٢٩، وما
بعدها، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص ١١١، ١١٢،
بتصرف.



المبحث الثالث

الماركسيّة والشيوعيّة

تُعرَفُ الماركسيّة باسم الشيوعيّة وقد سماها بذلك ماركس وإنجلز في البيان الذي أصدراه عام ١٨٤٧م وضمناه آراءً هما، والمعروف باسم «البيان الشيوعي» أو «مانيفستو الشيوعي»^(١).

وقد مر معناه قبل ذلك.

وعلى ذلك، فالماركسيّة والشيوعيّة لفظان متراداً، وقد ميّز ماركس بين مراحلتين في الشيوعيّة: مرحلة الشيوعيّة الأولى «الاشتراكية»؛ ومرحلة الشيوعيّة العليا «العالميّة» أو الشيوعيّة الثانية.

لكنَّ لينين أسقط هذا التقسيم للشيوعيّة، واستعمل كلمة اشتراكية للدلالة على المرحلة الأولى، وكلمة شيوعية للدلالة على المرحلة الثانية.

ومنذ ذلك الحين شاع استعمال الاشتراكية في جميع

(١) التضليل الاشتراكي، ص. ١٥.

الأوساط الشيوعية، فالشيوعي المخلص يرى أنَّ الشيوعية هي شكل المجتمع الذي يلي الشكل الاشتراكي، وهذا الشكل الشيوعي هو الذي سيبلغه الجنس البشري بعد أنْ يتخلص نهائياً من رواسب الطبقات والصراع الطبقي. ويحتفظ الشيوعيون بالتمييز بين الاشتراكية والشيوعية وسيتحول النظام الاشتراكي في نظرهم بالتدريج إلى النظام الشيوعي الكامل^(١).



(١) النظم الاشتراكية د. محمد أبو ريان، ص ١٤٢، الفكر المادي الحديث، ص ٢٤٠.



المبحث الرابع

مصادر الفكر الماركسي

يعود تأثير الماركسية بجملة من الأفكار والنظريات الفلسفية من أهمها:

- ١ - الفكر اليهودي: إذ لم تستطع الشيوعية إخفاء تواثتها مع اليهود وعملها لتحقيق أهدافهم؛ فقد صدر منذ الأسبوع الأول للثورة قرار ذو شقين بحق اليهود:
 - ١ - يعتبر عداء اليهود عداء للجنس السامي يعاقب عليه القانون.
 - ب - الاعتراف بحق اليهود في إنشاء وطن قومي في فلسطين؛ كما يصرح كارل ماركس بأنه اتصل بفيلسوف الصهيونية وواضع أساسهما النظري وهو «موشيه هيس» أستاذ هرتزل الزعيم اليهودي الشهير. كما أنَّ جد ماركس هو الحاخام اليهودي المشهور في الأوساط اليهودية (مردخي ماركس)^(١).

(١) انظر: المذاهب المعاصرة د. عبد الرحمن عميرة، ص ١١٥، الموسوعة العيسرة، ص ٣٢١.

٢ - فلسفة هيجل (١٧٧٠ - ١٨٣١م) وهو ألماني الجنسية
وموجز فلسفته:

- أ - أنه من الذين يقولون بالنقيض في مجال الفكر،
أي أنَّ كل فكرة تتضمن نقيضها.
- ب - أنه من الذين يقولون بخلق العالم.
- ج - أنه يقول بأولية الروح على الطبيعة.
- د - يقول: إنَّ العقل المطلق وهو الله، موجود أزلٍ قبل
خلق الطبيعة وقبل خلق العقل المجرد (الإنساني).

ومن العقل المطلق انبثقت الطبيعة، وهي تغاير
العقل المطلق معايرة تامة، من حيث أنَّ الطبيعة
محددة ومقيدة ومتفرقة، بينما العقل المطلق وحدة
واحدة مطلقة من كل قيد.

وبوجود الطبيعة انتقلت الفكرة من العقل المطلق
إلى ما هو مقيد، ومن هنا اجتمع المتناقضان
(المطلق والمقيد)، إلاً أنَّ المطلق يسعى إلى
استعادة وحدته الأولى، ولا تحصل هذه الوحدة
إلاً في العقل المجرد (الإنساني).

ورمز هيجل للعقل المطلق بالدعوى، وللطبيعة
بمقابل الدعوى، وللعقل المجرد بالجامع بين
الدعوى ومقابلها.

وهذا العقل المجرد يتمثل في القانون والأخلاق
والفن والدين والدولة والجماعة والفلسفة^(١).

(١) انظر: حوار مع الشيوخين، ص ١٣١ ، الموسوعة العربية الميسرة (٢/١٩٢٤).

٣ - فلسفه فيورباخ (١٨٠٤ - ١٨٧٢م)، ألماني الجنسية ويرى في فلسفته وماديته ما يلي:

أ - أنَّ قول هيجل يسبق وجود الفكر المطلق (الله) لوجود العالم إنَّ هو إلَّا أوهام..

ب - أنَّ العالم الذي نعرفه عن طريق حواسنا.. هو الحقيقة الوحيدة.

ج - أنَّ شعورنا وتفكيرنا مهما بدا أنهما فوق المحسوسات إنَّ هما إلَّا من نتاج المادة وعضو من أعضاء الجسم؛ بل العقل نفسه لا يعدو كونه أعلى وأرقى ما تنتجه المادة وتولده^(١).

على الرغم من أنَّ فيورباخ من تلامذة هيجل إلَّا أنه خالفه واتجه بالديالكتيكية إلى الناحية المادية الصرفة.

والواقع أنه من فلسفه هيجل وماديه فيورباخ أخذ كارل ماركس وصديقه إنجلز فلسفتهما وأفكارهما التي أقامها على المادية الجدلية والمادية التاريخية، وصاغا منها فلسفه المذهب الشيوعي بعد أن أدخلوا عليه بعض التعديلات^(٢).

(١) انظر: لودفيج فيورباخ ونتاج الفلسفة الألمانية لإنجلز، ص ٤٧، والموسوعة العربية الميسرة ١٣٣٩/٢، موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٦١٠، ١٠٠.

(٢) الاتجاهات الفكرية المعاصرة، د. جمعة الخولي، ص ١٧٢.

٤ - فلسفة أووجست كونت (١٧٩٨ - ١٨٥٧م) وهو فيلسوف فرنسي، يُعتبر مؤسس الفلسفة الوضعية التي ترفض البحث عن الحقيقة الأولية للوجود، وتعتمد على نتائج العلوم الطبيعية الحديثة^(١).

٥ - فلسفة باكونين مخائيل (١٨١٤ - ١٨٧٦م) وهو روسي فوضوي، يرى أن الحرية والعدالة لا تتحققان إلاً بالقضاء على الدولة والملكية الفردية، وكان ينادي بالعنف في سبيل الوصول إلى أهدافه^(٢).

وببناء على هذا التصور الفلسفـي للماركسية أقام كارل ماركس حتمياته التي تتلخص في ما يلي:

- ١ - ديكاتورية الطبقة العاملة.
- ٢ - إيجاد المجتمع الإنساني عديم الطبقات.
- ٣ - ظهور الدولة التي لا تعرف رجل الشرطة.
- ٤ - التبشير بالحكومة العالمية.



(١) الموسوعة العربية الميسرة (١٥١٧/٢)، موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٩٩، ٦٠٨.

(٢) انظر: الموسوعة العربية الميسرة (٣١٥/١).

(٣) المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، د. عبد الرحمن عميرة، ص ١١٥.



المبحث الخامس

أسس المذهب الماركسي

يتناول مذهب (كارل ماركس) الشامل الذي طرحته ما يلي:

- ١ - إنكار وجود الله تعالى، واعتبار المادة أزلية أبدية، وهي كل شيء في الوجود.
- ٢ - تفسير حركة المادة وتغيراتها بما يسمى بـ (المادية الجدلية)^(١).
- ٣ - التفسير المادي للتاريخ الإنساني، ويتلخص بادعائه أنَّ التاريخ الإنساني خاضع أيضاً لنظام «المادية الجدلية» الذي زعم أنَّ طبيعة المادة والحياة التي هي نتاج المادة، بحسب زعمه، خاضعة له^(٢).

(١) انظر: بيان ذلك في، ص ٧٧، وما بعدها.

(٢) انظر: بيان ذلك في، ص ٧٧، وما بعدها، وص ١٢٩ وما بعدها.

٤ - الاشتراكية العلمية أو الشيوعية وهي المذهب الاقتصادي الذي يقوم على إلغاء الملكية الفردية وإلغاء كاملاً في نهاية التطبيقات الاشتراكية، وجعل الدولة الممثلة للمجتمع هي المالكة لكل شيء، والقاعدة الاقتصادية التي تُطبّق على المجتمع هي: «من كل حسب استطاعته ولكل حسب حاجته».

٥ - السبيل لإقامة الدولة الشيوعية هو سبيل الثورة المدمرة، والوقوف ضد أي إصلاح اقتصادي أو اجتماعي قبل إقامتها.

٦ - النظام الاجتماعي في الدولة الشيوعية نظام تطلق فيه الحريات الشخصية على أوسع مدى، بشرط أن لا تمس المبادئ الشيوعية أو نظام دولتها، وأوامرها. وحينما تصل الدولة الشيوعية إلى غايتها المرسومة لها، وتلغى الأسرة، وتكون العلاقات والممارسات الجنسية مشاعاً، فكل الرجال لكل النساء، أما الذرية فهي للدولة الشيوعية.

٧ - الأخلاق والقيم التقليدية المتعارف عليها بين الناس تُلغى، وتقوم بدلها أخلاق الطاعة للدولة الشيوعية، وتنفيذ أوامرها وبرامجها، وكل ما يحقق المجتمع الشيوعي مهما كان منافيًّا للأخلاق.

٨ - النظام السياسي والإداري الذي تقوم عليه الدولة الشيوعية هو الديكتاتورية الاستبدادية الصارمة، التي تتولاها قيادة جماعية، تقع في رأس هرم الحزب الشيوعي، وتسمى

«ديكتاتورية طبقة البروليتاريا»^{(١)(٢)}



(١) بروليتاريا: في النظرية الاشتراكية: طبقة العمال الخاضعين للاستغلال، الذين يعيشون من أجورهم، ويعتمدون في وجودهم على عملهم، وفي روما القديمة كان البروليتاري هو المواطن الذي لا يملك شيئاً، وليس له دخل مضمون... . وعند كارل ماركس أن انهيار النظام الإقطاعي خلق طبقة جديدة مُقدمة من الفلاحين والأتباع، أصبح أفرادها مرغمين على بيع عملهم تلقاء أجور في المراكز الصناعية الجديدة. وتقول النظرية الماركسيّة التي فصلها وتوسّع فيها لينين: إن البروليتاريا يجب أن تنتزع السلطة من الطبقة الرأسمالية، وبعد فترة من حكم البروليتاريا المطلق «ديكتاتورية البروليتاريا» يجب أن تنشئ مجتمعًا لا طبقياً. انظر: الموسوعة العربية الميسرة ٣٦٢/١.

(٢) انظر: كوافنز زيف للميداني ٤٤٠، ٤٤١، مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب، ص ٤١٤.

الفصل الثالث
القول بالمادة ونقده



المبحث الأول:

تعريف المادة

(المادة في اللغة: كل شيء يكون مددًا لغيره، ومادةُ الشيءُ أصلُهُ وعنصره التي يتراكب منها، حسيّة كانت أو معنوية كمادة البناء ومادة البحث)^(١).

(وتعرف المادة بأنها: كل ما يشمل حيزاً من الفراغ، وله وزن ومرونة، وعزم وقصور،... وللمادة ثلاث حالات طبيعية هي: الصلابة، والسائلة، والغازية... وكانت المادة قديماً تُعد أنها تتكون من أربعة عناصر فقط هي: النار، والماء، والتراب، والهواء.

أما الآن: فعدد المواد الرئيسية يبلغ (١٠٢) مادةً أو عنصراً، ويمكن تحويل أي مادة إلى أخرى عند إحداث تغيير في تركيب ذراتها داخل الجزء، وتنقسم المواد إلى مواد حية ومواد جمادية^(٢).

(١) المعجم الوسيط ٨٥٨/٢.

(٢) الموسوعة العربية الميسرة ١٦١١/٢.

وتعتقد الشيوعية أنَّ المادة هي أصل الأشياء، وأنَّ العالم كله مادي محض، وجميع ما فيه صورة من صور المادة، فالكون والإنسان والحياة مادة، وهي في حالة حركة دائمة، وتطور مستمر، ومن تطورها كان وجود الأشياء، كما تعتقد أنَّ المادة وجدت أولاً، وأنَّ الفكر وُجِدَ تاليًا، ولكنه تطور كما تتطور المادة، فأصبح مادة في أعلى درجات تنظيمها الذي يتمثل في مخ الإنسان^(١).

ويعتقد الماركسيون أنَّ المادة فيها من الصلاحية ما تتمكن به من تشكيل نفسها بحسب المؤثرات الخارجية والتكييف وفق حاجاتها.

«وبناء عليه، فالكون والإنسان والحياة هو عبارة عن مادة فقط، فهي تشكُّل أصل كل شيء لأنها أزلية أبدية. فالموارد هو المحسوس وما لا يحس لا وجود له.

وأما الأفكار والمشاعر والعقل فهي مجرد انعكاس للواقع المادي، ومجرد إفرازات للنشاط الوظيفي للدماغ الذي يفرز التفكير كما تفرز المعدة العصارات الهضمية.

ولذلك يقول ماركس: إنَّ حركة الفكر ليست إلاً انعكاساً لحركة المادة منقولة إلى دماغ الإنسان ومتدرجة فيه^(٢).

ويقول إنجليز: «أدرك أنَّ العالم الحسي الذي ندركه بواسطة إحساسنا هو الحقيقة الوحيدة، وأنَّ شعورنا وتفكيرنا مهما ظهرنا

(١) لودفيج فيورياخ وانتاج الفلسفة الألمانية، ص ٤٢.

(٢) انهيار الشيوعية، ص ١٠١.

أرفع من المحسوس يظلان من إنتاج المادة، من إنتاج عضو في الجسم هو الدماغ، فليست المادة نتاج العقل، بل العقل نفسه ليس إلاً النتاج الأعلى للمادة».

ويقول لينين: «المادة هي الشيء الأول، والإحساس والفكر والشعور هي المنتجات الأرقى للمادة المنظمة بشكل معين»^(١).

ويعرف لينين المادة بقوله: (هي مقوله فلسفية تخدم في تعين الواقع الموضوعي المعطى للإنسان، في إحساساته التي تنسخه، تصوره، تعكسه، والموجود بصورة مستقلة عن الإحساسات)^(٢).

وينتَّـث الماركسيـة على ذلك أنَّـ العالم الذي يحيط بنا لم يخلقـه أحد، وأنَّـ الطبيعة قديمة، وأنَّـ الكون هو الذي خلق ذاته . . . وكان المادي يخبط المائدة بيده أو يضرب الأرض بقدمـه ويقول لمن يجادله هذه هي الحقيقة التي أمسـها بيدي وقدمي أو أراها بعيـني وأسمـعها بأذني^(٣).

وينبني على كلامـهم أنَّـ المادة اكتسبـت صفة الأزلية والخلود، فليس لها بداية ولا نهاية، وهذه من صفات الخالق سبحانه وتعالـى. وليس هناك عالم غيبـي، لأنَّـ العالم محصورـ في ما تدركـه الحواسـ. «وهكذا تقومـ المادية في مفهومـها العامـ على أساسـ إنـكار كلـ ما ليسـ بمحسوسـ، ومحاـولة ردـ غيرـ المحسوسـ

(١) الاتجاهـات الفكريـة المعاصرـة، دـ. جمـعة الخوليـ، صـ ١٧٩.

(٢) موقفـ الإسلامـ من نظرـية مارـكسـ، صـ ١٢٣.

(٣) عقـائد المـفكـرين فيـ القرـن العـشـرين للـعقـادـ، صـ ٣٦ـ، بـيرـوتـ.

إلى المادة المحسوسة كما صنعت بالفكر والعقل والمشاعر^(١).

ونبئ خطا الشيوعيين في الآتي:

نشأت هذه الفلسفة في القرن التاسع عشر في ظل التعريف السطحي للمادة بأنها «كل ما تقع عليه الحواس»؛ ونجح الأتباع والتلاميذ في مطلع القرن العشرين في إعطاء الماركسية قدرأ من مصل الحياة بعد أن توالت الاكتشافات العلمية وتجاوزت ما تقع عليه الحواس إلى عالم الذرة... فأعادوا صياغة التعريف بأن المادة: «هي الوجود الموضوعي خارج الذهن».

والليك مروراً سريعاً على قصة تعريف المادة منذ القرن التاسع عشر حتى نهاية القرن العشرين:

قال أوستوالد بأنّ: «المادة صور من الطاقة فحسب».

وقال ليون: «المادة صور مختلفة من الطاقة».

وقال ج. ب. س. هالدين: «المادة مجرد ضرب خاص من الاضطراب التموجي».

وقال أدنجتون: «إنّ المادة مركبة من بروتونات وألكترونات أي شحنات موجبة وسالبة من الكهرباء. فاللوح هو في الحقيقة مكان فارغ مشتمل على شحنات كهربائية مبعثرة هنا وهناك».

وقال هوایتهید: «إنّ مفهوم الكتلة في طريقه إلى فقدان امتيازه الوحيد باعتباره المقدار الواحد الدائم في النهاية، فالكتلة الآن اسم لكمية من الطاقة في علاقاتها ببعض آثار الديناميكية».

(١) انهيار الشيوعية، ص ١٠٢.

ويقول لبيون: «إنَّ عناصر الذرات التي تنحل تفني تماماً، فهي تفقد كل صفة للمادة بما في ذلك الثقل وهو أكثر صفاتها.. ذلك أنَّ الميزان يعجز عن وزنها ولا شيء يستطيع أنْ يعيدها إلى حالة المادة، فقد اختفت في عظمة الأثير.. والحرارة والكهرباء والضوء تمثل آخر مراحل المادة قبل اختفائها في الأثير».

لكن ما هو الأثير؟ لا أحد يعرف..^(١).

إنَّ كُلَّ ما قيل عن عالم الروح وعالم الغيب أيسر فهماً وأقرب إلى الإدراك من هذا الأثير، حيث يقول العلماء إنه شيء لا لون له، ولا كثافة، ولا حركة، ولا تصدق عليه أية خاصية من خواص المادة^(٢).

وهناك تعريفات أخرى كثيرة للمادة تدور حول المعاني السابقة في تعريف المادة.



(١) حوار مع الشيوعيين في أقبية السجون، عبدالحليم خفاجي، ص ٧١، ٧٢.

(٢) الشيوعية والإنسانية للعقاد، ص ١١١.

المبحث الثاني

نقد القول بالمادة

من العرض السابق لتعريف المادة يتبيّن لنا أنَّ المسلمات العلمية التي أقام عليها الماركسيون ماديتهم، قد انهارت وأصبحت أفكاراً زائفة. وإليك أهم النتائج والدلالات والردود عن بحث القول بالمادة:

١ - إنَّ المادة لم تعد هي الشيء الوحيد الموجود. ولم تعد الذرة هي الوحدة الأولى لها. ولم يعد الموجود هو المحسوس فقط. ولم تعد المادية المطلقة هي النظرية النهائية في تفسير الوجود... ولم يعد المنهج التجريبي^(١) هو المنهج الوحيد للبحث والمعرفة...^(٢).

بل إننا رأينا من العرض السابق أنَّ المادة التي قال بها الماركسيون وبنوا عليها مذهبهم قد تغيَّر مفهومها تماماً، ولم يعد

(١) المنهج التجريبي هو المنهج المبني على المشاهدة والتجربة والاستنباط، مثل علوم الرياضيات والطب والكيمياء وعلوم الأحياء والفلك. انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها، ص ١٦.

(٢) انظر: انهيار الشيوعية، ص ١٠٧.

لها ذلك المفهوم السطحي الذي نشأت الماركسية في ظله؛ فالمادة في القرن العشرين قد تحولت إلى طاقة.

وقررت الحقائق العلمية أخيراً أنَّ الشيء الصالد الذي نلمسه فنراه ذا حجم ثابت ليس أكثر من شحنات كهربائية وإلكترونية.

وعلى ذلك فالعالم المادي المكون من جبال وأنهار وأرض وأشجار ونحو ذلك مما تشهد به حواسنا.. هو كتل من الإشعاعات الضوئية المتحركة^(١).

٢ - إنَّ المادة مخلوقة وليس خالقة، وإنها ليست أزلية أو قديمة بل هي مخلوقة ومصيرها إلى الفناء كما ثبت ذلك بالآيات القرآنية الواضحة، وأقوال العلماء، والواقع المشاهد من حولنا:

قال تعالى: ﴿أَللّٰهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْئًا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللّٰهَ فَالِّقُ الْحَيٌّ وَالنَّوْمُ يَخْرُجُ الْحَيٌّ مِّنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيٍّ ذَلِكُمُ اللّٰهُ فَإِنَّ تُؤْفِكُونَ﴾^(٣).

والقول بأزلية المادة وخلودها هو شرك بالله تعالى، لأنَّ الأزلية والخلود إنما هما لله تعالى وحده إلَّا ما استثناه الله

(١) انظر: قضية الألوهية بين العلم والفلسفة لعبدالكريم الخطيب، ص ٢٦٠، والاتجاهات الفكرية المعاصرة لجامعة الخولي، ص ١٨١.

(٢) الروم: ٥٤.

(٣) الأنعام: ٩٥.

تعالى لبعض مخلوقاته بقضائه ومشيئته، قال تعالى: ﴿هُوَ
الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِمْ﴾^(١).

وجميع أهل الأرض سيدهبون ويموتون أجمعون، وكذلك
أهل السموات إلا من شاء الله، ولا يبقى أحد سوى
وجهه الكريم^(٢) قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِي﴾^(٣) وَبَقَى
وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْحَلَلِ وَالْإِكْرَامِ^(٤).

وقد أكد العلم الحديث نهاية وفنا الماده بأدلة كثيرة منها
ما يلي :

أ - منها قانون تحطم الشموس وفحواء: أن ذرات
الشموس تتحطم في قلبها المرتفع الحرارة جداً،
ويواسطة هذا التحطيم الهائل المستمر تتولد هذه
الطاقة الحرارية التي لا مثيل لها، وكما هو معروف
فإنَّ الذرة عندما تتحطم تفقد جزءاً من كتلتها حيث
يتتحول هذا الجزء إلى طاقة؛ فكل يوم يمر بل كل
لحظة تمر على أي شمس فإنها تفقد جزءاً ولو
يسيراً من كتلتها ومعنى هذا بالضرورة أنه سيأتي
الوقت الذي تستنفذ الشموس كتلتها نهائياً^(٤).

ب - بل إنَّ علماء الكيمياء الجيولوجية قد هدموا نظرية
ماركس عن المادة بما هو أكثر من ذلك، حيث

(١) الحديد: ٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٢٩١.

(٣) الرحمن: ٢٦، ٢٧.

(٤) الاتجاهات الفكرية المعاصرة، د. جمعة الغولي، ص. ١٨٢.

يقول دونالد روبرت كار: «فإنَّ هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً ولو كان كذلك لما بقيت فيه أي عناصر إشعاعية»^(١).

٣ - إنَّ الإنسان ليس من صنع المادة لأنَّ المصنوع لا يحيط بصناعه، بل إنَّ الإنسان قد أحاط بصورة المادة، وخرج بها إلى دائرة أوسع منها هي دائرة الأثير، بل إلى عمليات رياضية فكرية في قدرة الإنسان أنْ يحتويها، وهذا لا يأتي إلا إذا كان في طبيعة الإنسان شيء يعلو على مكونات المادة، شيء مفارق لكل خصائصها المعروفة^(٢).

٤ - إنَّ الإنسان المادي الملحد لم يؤمن إلا بما تدركه حواسه، ونسى أنَّ الله تعالى أعظم من المادة، لأنَّه خالق المادة، وبالتالي فإنَّ الله تعالى أعظم في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله من جميع خلقه، فهو سبحانه لا ند له، ولا شبيه له، ولا مثيل له، ولا تدركه الأ بصار وهو يدرك الأ بصار، ولا نعلم عنه شيئاً إلا ما بلغنا به بواسطة رسالته وهو يعلم عنا كل شيء. وجعل إدراك وجود الله بالحواس البشرية شرطاً في الإيمان سبباً فاسداً لا ينطق به سوى مكابر أو جاهل، لأنه تصور خضوع الخالق لقوانين مخلوقاته.

إنَّ العديد من القوانين التي بنى عليها الإنسان المعاصر حضارته وإنجازاته العلمية لم نشاهدتها أو ندركها بحواسنا، وإنما نتعرف عليها بالاستنباط والاستدلال العقلي، وليس

(١) الله يتجلى في عصر العلم، ص ٦ وص ٨٥.

(٢) انظر: حوار مع الشيوخين، ص ٧٥.

بالتجربة العلمية، وذلك مثل قانون الجاذبية، وحركة الإلكترون في الذرة، لأننا نرى أثر الجاذبية ونحس به، ونحس بالكهرباء، وكذلك المغناطيس نرى جذبه للأجسام، فنحن لم ندرك هذه الأشياء بحواسنا، ولكننا مؤمنون ومتيقنون من وجودها.

وبالمثل - والله المثل الأعلى - فإنَّ الله تعالى لا يمكن رؤيته في هذه الدنيا بأبصارنا، بل بالوحي المتزل على رسله عليهم السلام، والاستنتاج العقلي والنفساني والفطري. والكون كتاب مقروء يدعونا للإيمان بخالقه وهو الله سبحانه وتعالى^(١).

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد^(٢) إنَّ من يقول: هذا كمن يقول: إنَّ السيارة هي التي تسوق الإنسان وتسخره لخدمة أغراضها الخاصة، وليس الإنسان هو الذي يسوق السيارة!!.

أليس هذا انحطاط بالإنسانية إلى أدنى الدرجات، أن يكون الإنسان العاقل المفكر هو ابن المادة الصماء التي لا تعقل ولا تفكر؟!^(٣).

(١) الإسلام يتصدى لأباطيل المستشرقين والملحدين لسامي شهاب، ص ٩٩ - ١٠٦، باختصار وتصرف.

(٢) نسب هذا البيت أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني، ٤/٣٥، إلى أبي العتاهية، وانظر: ديوان أبي العتاهية، ٦٢، ونسبة صاحب كتاب الوفيات، ٧/١٣٨ إلى أبي نواس.

(٣) انهيار الشيوعية، ص ١١٠، وانظر: عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين ١/١٧٨ وما بعدها.

قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنَ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(١).

إنَّ المخلوق ليس باستطاعته أنْ يخلق ولا ذباباً ولو اجتمع لذلك جميع المفكرين والمخترعين، بل هم أذل وأحقر من ذلك، قال تعالى: ﴿يَتَأْيِهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلُ فَاسْتَوْعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبُوهُ الْذُبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَقْدُوْهُ مِنْهُ ضَعْفُ الظَّالِمِ وَالْمَظْلُومِ ۝ مَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقُّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝﴾^(٢).

٥ - إنَّ الخلق ناشيء عن إرادة الله تعالى، وهذه الإرادة سبقت وجود المادة، وعلى هذا فالعلم الإلهي سابق في الوجود على المادة، والإنسان لا يفكر في هذا العالم المادي فقط، وإنما يصل إلى تجريدات ذهنية غير مادية. وخاصية التفكير في الإنسان ناشئة عن إرادة الله تعالى، ولكن لها كيفية محددة لا نعلم كيفية حدوثها، ولن يست مجرد نتيجة تلقائية لأنعكاس حركة المادة على المخ.

٦ - إنَّ الماركسيين لم يقدموا برهاناً صحيحاً على أنَّ الروح والفكر والإحساس ثمار أنتاجها المادة، وكل ما قدموه من برهان على هذه الدعوى حتى الآن هو أنَّ الحياة تنشأ عن الحرارة، والحرارة بدورها تنشأ عن الحركة، أي: الحرارة + حرارة = حياة.

(١) النحل: ١٧.

(٢) الحج: ٧٣، ٧٤.

فهل هذا صحيح؟ وهل هم بذلك يكونون قد عرفوا أمر
الحياة الأولى؟!

إنَّ الحقيقة التي أجمع عليها العلماء الآن - مسلمهم وكافرهم - أنَّ العلم لا يدرِي إلى اليوم شيئاً عن الحياة والروح، فهل تجمِعُ الحركة والحرارة تنتج حياة بهذه البساطة.

إنه بلا شك أنَّ كلاًً من الحركة والحرارة من أبرز خصائص الحياة، ولكن من المفروغ منه في قواعد المنطق أنَّ خواص شيء ما ليست تعبيراً عن الجوهر الذاتي الذي يقوم به، فالماء على سبيل المثال، في حالة الغليان يتصل بكلٍّ من الحركة والحرارة، ولكن من الواضح أنَّ جوهر الماء شيء آخر غير الحركة والحرارة وهكذا.

هذا وقد عقد ستة من أئمة علماء الحياة في الشرق والغرب مؤتمراً في نيويورك أملاً في الوصول إلى فهم شيء عن أصل الحياة ونشأتها على ظهر الأرض، أو إلى معرفة مدى إمكان إيجاد الحياة عن طريق التفاعل الكيميائي، وكان فيهم العالم الروسي ألكسندر إيفانوفيتش أوبارين أستاذ الكيمياء الحيوية في أكاديمية العلوم السوفيتية، وفي نهاية المؤتمر قرر المؤتمرون بالإجماع أنَّ أمر الحياة لا يزال مجهولاً، ولا مطمع أنَّ يصل إليه العلم يوماً ما وأنَّ هذا السر أبعد من أنَّ يكون مجرد بناء مواد عضوية معينة وظواهر طبيعية خاصة^(١).

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَسْأَلُوكَ عَنِ الرُّوحِ فَلِمَّا

(١) انظر: نقض أوهام العادية الجدلية، ص ٩٨، ٩٩.

مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوْتِشَدَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١﴾ .

إِذَا فِي إِنْهِ كَانَ عَلَى مَارْكِسِ وَهُوَ الَّذِي يَتَشَدَّقُ بِالنَّظَرِيَّةِ
الْعِلْمِيَّةِ إِلَّا يَقْطَعُ فِي شَأْنِ الْفَكْرِ وَالْعُقْلِ بِمَا ادْعَاهُ، لِأَنَّ الْعَالَمَ
الْحَقِيقِيَّ لَا يَدْعُونَ دُعْوَى إِلَّا بِدَلِيلِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَلَا تَقْنُطْ
مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ، عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ
مَسْتُوْلًا ﴿٢﴾ .



(١) الإِسْرَاء: ٨٥.

(٢) الإِسْرَاء: ٣٦.

المبحث الثالث

أدلة المؤمنين بالله تعالى على وجوده ووحدانيته تفضح أوهام الملحدين

يستدلّ المؤمنون بوجود الله تعالى بأدلة هي من القوة والكثرة بحالة لا تسمح لعاقلٍ أو ذي فكري منصفٍ أن يشكك فيها، وإليك أهمها:

١ - إخبار الله تعالى بنفسه عن وجوده وعن ربوبيته للخلق في كتابه الكريم، ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُفْشِي الْأَيَّالَ النَّهَارَ يَظْلِمُهُ حَيْثُ شَاءَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ يَأْتِيهِنَّ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

وقال في التذكير بالميثاق الذي أخذه على البشر وهم في أصلاب آبائهم بأن يؤمّنوا برربوبيته لهم، ويعبدوه ولا يشركوا به غيره: ﴿وَلَذَّا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشَهَدُهُمْ عَلَى

(١) الأعراف: ٥٤.

أَنفُسِهِمْ أَلْسُتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا يَلْيُ شَهَدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا
عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١﴾.

وكذلك إخبار الأنبياء والمرسلين بربوبيته تعالى وشهادتهم عليها وإقرارهم بها... وإيمان البلايين من العلماء والحكماء بربوبيته تعالى لهم، ولكل شيء، واعترافهم بها، واعتقادهم إياها اعتقاداً جازماً... وإيمان البلايين والعدد الذي لا يحصى من عقلاء البشر وصالحهم بربوبيته تعالى لجميع الخلق^(٢).

٢ - أدلة الفطرة:

قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه...»^(٣).

ثم يقول أبو هريرة - رضي الله عنه -: واقرأوا إن شئتم: «فِطَرَ اللَّهُ أَلَّيْ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ»^(٤).

وقد مثل شيخ الإسلام ابن تيمية - يرحمه الله - الفطرة مع الحق فقال: «ومثل الفطرة مع الحق مثل ضوء العين مع الشمس، وكل ذي عين لو ترك بغير حجاب لرأى الشمس، والاعتقادات الباطلة العارضة من: تهويد، وتنصر، وتمجس، مثل حجاب يحول بين البصر ورؤية الشمس، وكذلك كل ذي حس سليم

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) انظر: منهاج المسلم لأبي بكر الجزائري، ص ١٤، ١٥.

(٣) البخاري مع الفتح (٢١٩/٣)، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ رقم ١٣٥٨، ومسلم (٢٠٤٧/٤)، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة رقم (٢٦٥٨).

(٤) الروم: ٣٠.

يحب الحلو إلَّا أن يعرض في طبيعته فساد يحرفه حتى يجعل
الحلو في فمه مرأًّا^(١).

فلو خُلِّي المولود من غير معارض ومن غير مغِير لما كان
إلَّا مسلماً ولم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على
محبة ما يلائم بدنه من ارتفاع اللبن حتى يصرفه عنه صارف،
ومن ثم شُبِهَت الفطرة باللبن، فهي تستلزم معرفة الله ومحبته
وتوحيده^(٢).

وكل مولود يولد على معرفة الله والإقرار به، فلا تجد أحداً
إلَّا وهو يقر بأنَّ له صانعاً وإنْ سماه بغير اسمه أو عَبَدَ معه
غيره، وإنما يعدل من يعدل عن هذه الفطرة بسبب آفة من
الآفات، اتباعاً لشياطين الإنس، أو شياطين الجن^(٣).

٣ - ضرب البراهين والأدلة العقلية:

وتتمثل هذه البراهين فيما يأتي:

أ - التقسيم العقلي: وهو إما أن تُوجَدَ هذه المخلوقات
بنفسها صدفة من غير مُخْدِثٍ ولا خالق خلقها!!، وهذا محال
تجزُّم العقول ببطلانه ضرورة، وإنما أن تكون هذه المخلوقات هي
الخالقة لنفسها، وهذا محال - أيضاً - بضرورة العقل، لأنَّ الشيء
قبل وجوده معدوم، فكيف يكون خالقاً؟!.

(١) الفتاوى، ابن تيمية (٤/٢٤٧).

(٢) انظر: الفتاوى، ابن تيمية (٤/٢٤٩ - ٢٤٧)، فتح الباري (٣/٢٤٨ - ٢٥٠)، وشرح النووي على مسلم (١٦/٢٠٨).

(٣) انظر: العقيدة في الله، الدكتور سليمان الأشقر، ص ٦٥، ٦٦.

فإذا بطل هذان القسمان عقلاً وفطراً، وبَيَانَ استحالتهما، تعينَ القسم الثالث وهو أَنَّ هذه المخلوقات بأجمعها علوتها، وسفليتها، لا بَدًّ لها من محدث ينتهي إليه الخلق والملك والتدبير، وهو الله الخالق لكل شيء المتصرف في كل شيء المدبر للأمور كلها^(١).

قال تعالى: ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ عَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَلَقُونَ﴾ ^(٢٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ ^(٢٦) أَمْ عِنْدَهُمْ حَرَازَانُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُعَيْطُونَ ^(٢٧)﴾.

ب - ومن القواعد العقلية في هذا «العدم لا يخلق شيئاً»:

فالعدم الذي لا وجود له لا يستطيع أن يصنع شيئاً، لأنَّه غير موجود، وإذا تأمل العاقل في المخلوقات التي تولد في كل يوم، من إنسان وحيوان، وتفكر في كل ما يحدث في الكون من رياح وأمطار، وليل ونهار، وما يجري من حركات منتظمة للشمس والقمر والنجوم وغير ذلك مما يجري في الوجود في كل لحظة لجزم بِأَنَّ هذا كله ليس من صنع العدم، وإنما هو من صنع الخالق الموجود سبحانه وتعالى^(٣).

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم (٦٦/١)، ودرء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (١١٣/٣)، وعقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين (١٠٩/١)، ومناهج الجدل في القرآن، عواض الألunci، ص ١٣٠.

(٢) الطور: ٣٥ - ٣٧.

(٣) انظر: حاشية الأصول الثلاثة لمحمد بن عبد الوهاب، بقلم عبد الرحمن بن قاسم، ص ٢٩، والإيمان، الزنداني مع مجموعة من العلماء، ص ٣١، وكتاب التوحيد، الزنداني (٢١/١).

ج - الطبيعة الصماء لا تملك قدرة، وفائد الشيء لا يعطيه:

وبيان ذلك أنه من المعلوم عند جميع العقلاة أنَّ الذي لا يملك مالاً لا يسأل الناس منه المال، والجاهلُ لا يأتي منه العلم، لأنَّ فائد الشيء لا يعطيه.

فمن زعم أنَّ المادة أو الطبيعة خلقته أو خلقت شيئاً فقد خالف العقل، لأنَّ الكون يشهد أنَّ خالقه حليم عليم، خبير بصير، هادِ رازق، حافظ رحيم، والطبيعة أو المادة لا تملك مثقال ذرَّةٍ من ذلك.

د - الصدفة العميماء لا تملك حياة:

ومثل من يقول أو يعتقد أنَّ هذا النظام والإبداع والإتقان وجد بطريق الصدفة لا غير، كمثل من وضع حروف الهجاء: أ، ب، ت، . . . ، في صندوق، ثم جعل يحرُّكه طمعاً منه أنْ تتألف هذه الحروف من تلقاء نفسها، فيتراكبُ منها قصيدة بلية، أو كتاب دقيق في الهندسة، أليس ذلك من السفه البين، ونقص العقل؟!

فإنه لو داوم على تحريك هذا الصندوق السنين والدهور لم يحصل إلَّا على حروف!!

فهل يُصدِّق عاقل بهذه العملية؟!

إنَّ ذلك لا يمكن على الإطلاق، لأنَّه من قبيل المستحيل الذي لا تقبله العقول ولا تقره، فكيف يصدق عاقل أنَّ يكون الكون كله بما فيه من إبداع وتنظيم في كل ذرَّةٍ من ذراته وجد بطريق الصدفة؟^(١).

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١٢٩/٣)، وعقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري، ص ٣٤، ومناهج الجدل، ص ١٣٤، ١٣٥.

قال تعالى: ﴿أَفَاللَّهُ شَكٌ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١).

قال ابن كثير - رحمه الله -: (يخبر تعالى عما دار بين الكفار وبين رسليهم من المجادلة وذلك أنَّ أممهم لما واجهواهم بالشك فيما جاؤوه به من عبادة الله وحده لا شريك له، قال الرسل ﴿أَفَاللَّهُ شَكٌ﴾ وهذا يحمل شيئاً:

أحدهما: أفي وجوده شك، فإنَّ الفطر شاهدة بوجوده ومحبولة على الإقرار به، فإنَّ الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده، ولهذا قالت لهم الرسل ترشدهم إلى طريق معرفته بأنه (فاطر السموات والأرض) الذي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق، فإنَّ شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليهما فلا بد لهما من صانع، وهو الله لا إله إلاَّ هو خالق كل شيء وإلهه ومليكه.

والمعنى الثاني: في قولهم ﴿أَفَاللَّهُ شَكٌ﴾: أي أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك وهو الخالق لجميع الموجودات ولا يستحق العبادة إلاَّ هو وحده لا شريك له، فإنَّ غالب الأمم كانت مقرَّةً بالصانع، ولكن تعبد معه غيره من الوسائل التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى^(٢).

هـ - مبدأ السبيبة: وذلك أنَّ الواقع والعقول السليمة تشهد أنَّ الإنسان منذ فتح عينيه لم يشاهد أنَّ حادثاً حدث من غير

(١) إبراهيم: ١٠.

(٢) تفسير ابن كثير (٥٦٦/٢).

سبب، أو أنَّ شيئاً وجد من غير موجد، حتى أصبح هذا المعنى بحكم الواقع لا يتصور العقل خلافه، ولا يأبى إلا الإقرار به إلا عقل مفقود أو مريض، كشأن المعتوهين أو عقل قاصر كشأن الطفل الذي يكسر الإناء، ثم يقول: إنه انكسر بنفسه؟^(١).

ولذلك أدرك الأعرابي هذه السبيبية عندما سُئل: ما الدليل على وجود رب؟ فقال: إنَّ البعثة تدلُّ على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ليل داج، ونهار ساج، ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير^(٢).

و - ومن ذلك قاعدة: «التفكير في المصنوع يدل على بعض صفات الصانع» لأنَّ كلَّ شيء يوجد في المصنوع يدل على قدرة أو علم أو خبرة أو حكمة عند الصانع، ومن هنا فإنه يقال لمن أنكر وجود الخالق - تعالى -: تفكير في نفسك، وهي أقرب إليك: قال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا يُبَصِّرُونَ﴾^(٣).

انظر: مبدأ خلقك من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، فكسيت العظام لحماً، حتى صارت بشراً كامل الأعضاء الظاهرة والباطنة، أما بذلك هذا التفكير إلى الاعتراف بالرب القادر على

(١) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٢٨٤ وما بعدها، كواشف زيف، ص ٥٢٥.

(٢) انظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ص ١٦٣، وجواهر الأدب، أحمد الهاشمي، ١٩/٢، مناهج الجدل في القرآن، عواض الألمعي، ص ١٣١.

(٣) الذاريات: ٢١.

كل شيء، والمحيط علمه بكل شيء، الحكيم في كل ما خلقه وصنعه وأتقنه؟! قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمْ مَا تُمْنَوْنَ ٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ، أَمْ نَحْنُ الْخَلِقُونَ ٥٩﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَّمَةٍ ٦٠﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَبِ مَكِينٍ ٦١﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عَظِيمًا فَكَسَوْنَا الْعَظِيمَ لَهُمَا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خُلْقًا مَاخِرًّا فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَلِيقَاتِ ٦٢﴾^(٢).

لا شك أن العاقل المنصف إذا تفكر في ذلك دله وأوصله إلى الاعتراف بعظمته الخالق وقدرة القادر، وحكمة الحكيم، وخبرة الخبير، وعلم العليم.

وهذا الدليل العقلي تضطر فيه العقول الصحيحة إلى معرفة ربها وعبوديته^(٣).

٤ - الاستدلال بالأدلة الحسية التي يشاهدها الناس ويلمسونها بأنفسهم، وهي على نوعين:

الأول: إجابة الله تعالى للدعوات في جميع الأوقات، فكم خرج المؤمنون يطلبون - بقلوب وجلة تائبة - من ربهم أن يسقيهم الغيث، فكانت الإجابة على الفور في كثير من الأحيان، وكيف رأى المضطرون تفريجاً لحالة الكرب بدعائهم، قال تعالى: ﴿أَمَّا

(١) الواقع: ٥٨، ٥٩.

(٢) المؤمنون: ١٢ - ١٤.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٣٠٥/٧، والإيمان، الزنداني مع مجموعة من العلماء ص ٣٢، وعقيدة المسلمين (١٠٩/١).

يُحِبُّ الْمُضطَرُ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْتُشُ الشَّوَّةَ وَيَجْعَلُهُمْ خُلْفَةَ الْأَرْضِ
أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذَّكَرُونَ ﴿٦٦﴾ ^(١).

فمن الذي سمع دعاء المستغيثين فأجابهم، فأنشأ السحاب
 وأنزل المطر؟!

هل هو وثن لا يقدر على فعل شيء؟ أم طبيعة صماء لا
تملك إرادة ولا تدبر؟!

أم أنَّ العدم الذي أنشأ وصمم، وأوجد وكون، وقدر
وأتقن، وسمع فأجاب، وهو العدم الذي لا وجود له؟!!

والحقيقة أنَّ ذلك كله شاهد يتحدث إلى العقول البشرية أنَّ
لها رباً حكيمًا، قادرًا سميعًا، بصيراً مجيناً رازقاً... ^(٢).

الثاني: معجزات الأنبياء الحسية: وهي من أعظم البراهين
القاطعة على وجود مرسلهم، لأنها أمور خارجة عن نطاق
البشر، يجريها الله تعالى تأييداً لرسله، ونصرأ لهم، ومن أمثلة
ذلك آية موسى عليه السلام، حين أمره الله تعالى أن يضرب
بعصاه البحر فضربه فانفلق اثنى عشر طريقاً يابساً، والماء بينها
كالجبال.

قال تعالى: «فَأَوْحَيْنَا إِلَيْنَا مُؤْمِنَةً أَنَّ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ
فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالْطَّوِيرِ الْعَظِيمِ» ^(٣).

(١) النمل: ٦٢.

(٢) انظر: كتاب التوحيد، عبدالالمجيد الزنداني ٤٣/١، ٤٤.

(٣) الشعراء: ٦٣.

ومن آيات عيسى - عليه السلام - أنه كان يحيي الموتى ويخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال تعالى: ﴿وَأُخْرِجَ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١).

ومن آيات محمد ﷺ، انشقاق القمر، فقد طلبت قريش منه آية، فأشار إلى القمر، فانفلق فرقتين فرأه الناس حقيقة في عهده ﷺ، قال تعالى: ﴿أَفَتَرَبَّتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۚ وَإِنْ يَرَوْاْءَيْةً يُعَرِّضُواْ وَيَقُولُواْ يَسْحَرُ مُسْتَيْرٌ﴾^(٢).

٥ - الاستدلال بالأدلة الشرعية:

إنَّ طريق الهدایة الكاملة هو ما جاء عن الله - تعالى -، أو عن رسله، عليهم الصلاة والسلام، وهي تجمع بين الأدلة النقلية والعقلية، وهي من أعظم الأدلة التي تهدي إلى معرفة الله تعالى والإيمان به عزَّ وجلَّ، والكتب السماوية كلها تنطق بأنَّ الله تعالى هو الخالق لكل شيء، المستحق للعبادة وحده دون سواه، ويمكن أن نقتصر في الأدلة الشرعية التي تثبت وجود الله تعالى على ذكر طريقين:

الطريق الأول: توجيه الله تعالى الأنظار إلى ما في هذا الكون من مخلوقات عجيبة تبهر العقول، وهي تدل دلالة واضحة على كمال قدرته، وعظيم تدبيره، وإتقان صنعه، تتمثل في خلق الإنسان والعنابة به، وما في الكون من سماء، وأرض، وشمس، وقمر، وليل ونهار، ونجوم، وما

(١) آل عمران: ٤٩.

(٢) القمر: ١، ٢.

فيه من رياح وسحاب ومطر، وبحار وأنهار، وحر وبرد، وما في عالم الحيوان وعالم النبات وما في ذلك كله من آيات تدل على عظمة الخالق - سبحانه -، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِرَتِ الْأَيَّلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي يَنْهَا فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَنْجَى بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفٍ أَرِيحَ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَيَّلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾^(٢) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ^(٣) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ^(٤) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ^(٥) فَذَكَرَ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ^(٦).

والقرآن الكريم يزخر بالأدلة على هذا النوع.

الطريق الثاني: معجزات الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، وذلك أنَّ الله تعالى قد أيدهم، بالمعجزات الباهرة للعقل، والخارقة لسُنن الكون وقوانين الحياة - كما تقدم في الأدلة الحسية - ليستدلوا بها على صدق نبوتهم، وإثبات رسالتهم، فإذا ثبتت نبوة الرسل بقيام المعجزات عُلم أنَّ هناك مرسلًا أرسلهم، لأنَّ ثبوت الرسالة يستلزم ثبوت المرسل، والعلم بالإضافة يستلزم العلم بالمضارف إليه، فالمعجزات نفسها يعلم بها صدق الرسول المتضمن لإثبات من أرسله، والآيات الباهرات التي يستدل بها

(١) البقرة: ١٦٤.

(٢) الغاشية: ١٧ - ٢١.

على إثبات الخالق تدل على المعجزة كدلالتها وأعظم^(١).

إلى غير ذلك من الأدلة التي يستدل بها المؤمنون بوجود الله عز وجل كدليل الإتقان في الكون، ودليل العناية، ودليل الاختراع ودليل الكمال ودليل العدل^(٢).

وكلها تدحض افتراءات وأوهام الملحدين.

هذا وقد وقفت أخيراً على كتاب للعلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله تعالى رحمة واسعة - بعنوان «الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين»، أورد فيه رحمة الله تعالى ثلاثة وثمانين وجهاً في الرد على الملحدين. وقد جاء في التعريف بالكتاب المذكور: (هذا الكتاب عظيم ليس له مثيل

(١) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٣٧٧/١١، ٣٧٧ - ٢١/٣٦، ٢٣، ودرء تعارض العقل والنقل ٣٠٢/٧ - ٣٠٧، ٤١، ٤٠/٩، ٤٣، وانظر: عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين ٨٤/١، ١٠١، ١٠٨، ١٩٨ وما بعدها، وانظر: الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى لسعيد بن علي القحطاني ص ٣٤٣ وما بعدها، وقد استفدنا منه في هذا الموضوع حفظه الله ووفقه.

(٢) وخلاصة ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في إثبات وجود الله تعالى كالتالي:

- ١ - الاستدلال بأيات الله تعالى في الكون.
- ٢ - أدلة الفطرة، فإن الخلق مفطرون على الإقرار بالخالق.
- ٣ - الاستدلال على الله باله، فإنه عرفنا نفسه فعرفناه.
- ٤ - الاستدلال بمعجزات الرسل.
- ٥ - إجماع الأمم وأصحاب العقول والفطر السليمة.
- ٦ - المقاييس العقلية.

انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢١/٣٦ - ٢٣. وستجد جميع الحالات إلى الموضع التي ذكرها في فتاويه.

فيما نعلم في موضوعه، وحسنه، ووضوحيه، ومناسبته للوقت الحاضر، وال الحاجة والضرورة قد اشتلت إليه، لأنَّ تيار الإلحاد وطغيان المادة جرف جمهور الخلق، وهذا الكتاب قد نازل جميع طوائف الملحدين، وتحداهم، وأبطل أصولهم، وفندَ مآخذهم، وهدم قواعدهم وزلزل بنائهم، وبين مخالفتهم للعقل والفطرة والحكمة، كما خالفوا جميع الأديان الصحيحة، وتكلم معهم بكل طريق: فتارة يصور مقالاتهم تصويراً واضحاً واقعياً يعرف به كل عاقل بطلان أقوالهم بمجرد تصويرها على وجهها، وتارة يبطل الأصول التي بنوا عليها إلحادهم بالبراهين اليقينية، ويبين أنها أصول في غاية الضعف والأنهيار، وتارة يذكر ما يقابلها من الحق وأصوله، وبراهين الصدق واليقين التي يعرف بها أنَّ ما سواها باطل وضلال، وتارة يذكر تمويهات الملحدين وما زخرفوه من الألفاظ الخادعة لنصر باطلهم وترويجه بين ضعفاء البصائر أتباع كل ناعق، وتارة يشير إلى المسالك التي سلكها من خادع أو انخدع من المنافقين والملبسين، فهو سلاح للمؤمنين، وغذاء للموقنين، ودواء لمن قصده الحق من الحائزين، ونورٌ يهتدى به في م tahات الحيرة والضلال، وعلم يأوي إليه كل طالب حقٍّ في جميع الأحوال، ومع ذلك فقد سلك مع طوائفهم مسلك الإنفاق، وعرض الحقائق على العقول عرضاً واضحاً يقبله كل عاقل سليم الفطرة والنظر، فهو كتاب يصلح لجميع طبقات الناس على اختلاف مذاهبهم، فكل منه يستمد، وكل قارئ به ينتفع، ومخبر الكتاب والوقوف عليه يعني عن وصفه^(١).

(١) انظر: التعريف بكتاب الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين، الشيخ عبد الرحمن السعدي، تحقيق: إبراهيم الحازمي ص ١١، ١٢.

الفصل الرابع

الجدل «الديالكتيكي» ونقده

المبحث الأول

تعريف الجدل الديالكتيكي

الجدل: في اللغة: اللدد في الخصومة والقدرة عليها وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام^(١).

والجدل من شدة الفتيل، وجذلت الحبل أجدله جدلاً إذا شددت فتلها فتلاً محكماً^(٢).

وقد جاء ذكر الجدل في القرآن الكريم في عدة مواضع منها:

قوله تعالى: «وَحَدِّلْهُم بِإِلَيْيِ هِيَ أَحَسَنُ»^(٣). وقوله تعالى: «وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجَّ»^(٤). فقوله: «وَحَدِّلْهُم بِإِلَيْيِ هِيَ أَحَسَنُ»^(٥) أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجداول فليكن بالوجه الحسن ويرفق ولين وحسن خطاب^(٦)

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٤٣٣/١).

(٢) لسان العرب ١١/١٠٣.

(٣) النحل: ١٢٥.

(٤) البقرة: ١٩٧.

(٥) تفسير ابن كثير ٢/١٤١.

وقوله: «وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجَّ»: (أي ولا مخاصمة في الحج) ^(١).

والجدل في الاصطلاح: هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم ^(٢).

والديالكتيك: مأخوذة من الكلمة اليونانية «دياليغو» ومعنىها: المحادثة أو المجادلة والمناظرة.

وكان بعضُ الفلاسفة الأوَّلين يَغتَرُّونَ أَنَّ اكتشاف تناقضات الفكر والمصادفة بين الآراء، هما خيرٌ وسيلةً لاكتشاف الحقيقة، فهذا الأسلوب الديالكتيكي والتفكير الذي طبق فيما بعد على حوادث الطبيعة، أصبح الطريقة الديالكتيكية لمعرفة الطبيعة ^(٣).

وفي هذاخصوص (توضيح الماركسية أن: كل شيء يتضمن قوتين رئيسيتين متقابلتين: واحدة تسمى «الدعوى» والأخرى تسمى «مقابل الدعوى»، هاتان القوتان تهدم إدراهما الأخرى، وينشأ من الهدم حالةً جديدة تسمى «جامع الدعوى ومقابليها»، ثم يسقط هذا الجامع ويتحول إلى مقابله، وعندئذ نحصل على دعوى أخرى، وعلى مقابل الدعوى من جديد، ثم ينشأ من تقابلهما وتناقضهما جامع جديد وهكذا... في تسلسل لا نهاية له) ^(٤).

(١) نفس المرجع السابق ٢٤٦/١.

(٢) مناهج الجدل في القرآن، عواض الألمعي، ص ٢٠.

(٣) موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ١١٨.

(٤) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهبي، ص ٣٥٧.



المبحث الثاني قوانين الجدل

والمادة عند الماركسيين تخضع لقوانين عامة ثابتة تسمى قوانين الجدل يمكن تلخيصها في خمس نقاط:

الأول: قانون التناقض أو التضاد: وهو ظاهرة وجود الشيء ونقضه في وحدة واحدة تسمى وحدة الأضداد، سواء كان هذا الشيء طبيعياً أم ظاهرة اجتماعية، مثل السالب والموجب، الحرارة والبرودة، الذكورة والأنوثة، النور والظلام، الإلكترونيون والبروتون في الذرة، كرات الدم الحمراء والبيضاء في بلازما الدم وهكذا.

يقول الماركسيون: إنَّ هذه الأضداد لا بد من أنْ يحدث بينها صراع، وهذا الصراع لا يقضي على وحدة الشيء.. ولكنه يؤدي إلى أنْ يتغلب الطرف الذي يعبر عن التقدم على الطرف الآخر.. وعند ذلك يحدث التحول.

الثاني: قانون الحركة: قالوا: إنَّ كلَّ شيءٍ متحرك، وهذه الحركة نتيبة صراع الأضداد، وهي، تأتي من الداخل لا من الخارج، وقالوا: إنَّ الحركة صفة ملازمة للمادة، ولا يمكن فصل

الحركة عنها، وهذه الحركة موجودة منذ الأزل، والحركة عندهم شاملة لكل شيء، حيث لا يوجد في العالم ظاهرة واحدة لم تكن نتيجة لحركة المادة وتطورها، وهي تسير في خط لولبي، والجدل يكشف عن حركة التطور والتغيير في المادة وفي التفكير البشري.

الثالث: قانون التغير من الكمي إلى الكيفي أو التطور:

وهذا القانون هو الذي يكشف عن كيفية التحويل، وبيانه أنه إذا ما أضيف شرط خارجي إلى الحركة تبدأ ظاهرة التراكمات الكميه أو ما يسمى بالتغيير الكميه إلى أن يتكون ما يسمى بالكم الثوري، أي القدر الكافي من التراكمات لإحداث تغيير مفاجئ في الظاهرة المادية، فعندما يصل إلى ما يسمى بنقطة الصفر أو باللحظة الحرجة يحدث التغيير المفاجئ أو الثورة، فنحصل على حالة جديدة تصير إليها الظاهرة المادية وهو ما يسمى بالتغيير الكيفي أو النوعي، وهو مفهوم التطور، أي دوام الانتقال بالحركة من التغير الكميه إلى التغير الكيفي وهكذا إلى ما لا نهاية، فإذا أوقتنا على إناء به ماء كانت النار هي الشرط الخارجي الذي يدفع حركة جزيئات الماء حتى تصل إلى الكم الثوري وعند اللحظة الحرجة (١٠٠) درجة تنقلب بخاراً، أي تصير كيماً آخر، أي تتطور.

ويقول الماديون: إنَّ حركة التطور في الطبيعة هي: تطور ينتقل من تغيرات كمية ضئيلة وخفية إلى تغيرات كيفية ظاهرة وأساسية، وتحدث هذه التغيرات الكيفية في الطبيعة والمجتمع من حالة إلى أخرى فجأة، وعن طريق القفزات.

فالانتقال من الطبيعة الميتة إلى الطبيعة الحية، وكل تطور العالم الحيواني من نوع معين إلى آخر يتم أيضاً بطريق القفزات، وكذلك تم تحولات متشابهة في المجتمع البشري.

وقالوا: إنَّ هذه التغيرات الكيفية التي تتم عن طريق القفزات حتمية وضرورية، لأنَّ الديالكتيك الماركسي يرى حتمية الانهيار في كل شيء، ولا شيء مقدس أو مطلق أو نهائي في نظره، لأنه لا يوجد شيء يستطيع الصمود في وجه الديالكتيك الماركسي سوى المجرى المستمر للنشوء والزوال، والصعود من أدنى إلى أعلى.

الرابع: قانون الترابط: وبيانه أنَّ جميع الظواهر المادية متراقبة ومتصلة وغير منفصلة بعضها عن بعض، يؤثر الكل في الجزء، ويؤثرالجزء في الكل.

وهذا المنهج الجدلـي - كما هو عند الماركسية - كما ينطبق على المادة ينطبق أيضاً على الإنسان باعتباره ظاهرة مادية متطرفة حسب نظرية النشوء والارتقاء، كما ينطبق أيضاً على تاريخ المجتمعات الإنسانية باعتبارها ظاهرة مادية يمكن تقسيمها إلى عصور ومراحل مختلفة متطرفة من خلال ما يسمى بالتفصير المادي للتاريخ أو المادية التاريخية - كما سيأتي بيانه -.

ولزيادة الإيضاح إليك بعض الأمثلة للجدل «الديالكتيك»:

انبثق حبة الحنطة مثلاً في الأرض عن عوامل داخلية متوجهة نحو الإنبات هو الداعى، فإذا انعكس النبات الأخضر المتضاد نتيجة تلك العوامل فهو نقىض الداعى الأولى، ثم إذا

عاد النبات سبلاً متراكباً من الحنطة فذاك هو التركيب من الدعوى ونقيضها، ثم إنَّ حبات تلك السنبلة ما تثبت هي الأخرى أنَّ يتحول كلُّ منها إلى دعوى من جديد وهكذا..

وإليك مثلاً آخر أدقُّ تفهماً لهذه الفلسفة: إنه صراع الخلايا في جسم الإنسان أو الحيوان، فالخلية الواحدة تنبثق من داخلها عوامل تفتتها وفناها بعد حين، هذه هي الدعوى، ذلك لأنَّها تحمل بموجب ذلك عوامل ظهور خلية جديدة أخرى، وهذه العوامل إذ يبدأ ميلادها هي نفي الدعوى، فإذا انبثقت من تلك العوامل الخلية الجديدة التي تحل محل سابقتها فذلك هو التركيب الذي يسمونه بنفي النفي أو المركب من الدعوى ونقيضها.

الخامس: قانون سلب السلب أو نفي النفي أو التركيب:

وهذا القانون يبيِّن التطور في العالم المادي، وبيانه أنَّ الجديد ينسخ القديم وينفيه، وهذا ما يسمى «بالسلب» فإذا اكتمل هذا الجديد ووصل إلى درجة التغيير، تلاه جديدٌ آخر، وهذا الجديد الآخر يسمى «بسلب السلب». وذلك أنَّ الشيء يحمل في طياته نقيض تؤدي إلى الصراع الذي يؤدي إلى التطور، ويظلُّ الشيء يتغير تغيراً كمياً حتى إذا اكتمل تغييره تغير تغيراً كيفياً ويصبح شيئاً جديداً فقد سلب القديم حينئذ.

وهذا الجديد أيضاً يمرُّ بنفس الطريقة حتى يسلبه جديد آخر، وهذا الجديد الآخر يسمى بسلب السلب وهكذا.

وعندما يتمُّ التغيير سواءً كان سلباً أو سلباً للسلب فإنَّه لا يعني نسخ القديم بالكلية ولكنه يستبقي أفضل ما فيه، ويدمجه في

الجديد، ويرفعه إلى مستوى أعلى، لكي يتلاءم مع الطابع الجديد.

والتغير بهذا الشكل يستمر إلى ما لا نهاية، فكل جديد يسلبه جديد بعده ويعلو به إلى مرحلة من مراحل السمو وهكذا.

والتطویر يتم في خط لولبي وليس في خط مستقيم فتكرر المراحل مرة بعد مرة. والتطور اللولبي الذي يحدث نتيجة لقانون سلب السلب يطرد في العالم العضوي وفي الحياة الاجتماعية.

إذاً فالتطور الجديد يلغى النظام القديم، والجديد عندهم أحسن من القديم، وهو أمرٌ حتمي؛ ولكن مع ذلك، فإنَّ نفي النفي لا يلغى النظام القديم بكل محتوياته بل يحافظ على شيء إيجابي فيه^(۱).



(۱) انظر: الكلام حول هذه القوانيين في الكتب التالية:

حوار مع الشيوعيين ص ۱۸ - ۱۹، الفكر المادي الحديث وصلته بالاستعمار ص ۳۵۷ - ۳۵۸، نقض أوهام العادية الجدلية ص ۳۰ وما بعدها، موقف الإسلام من نظرية ماركس ص ۱۳۳ وما بعدها، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، جمعة الخولي، ص ۱۷۵ - ۱۷۶.

المبحث الثالث

نقد قوانين الجدل «الديالكتيكي»

أولاً: نقد قانون التناقض:

١ - لقد فات ماركس وأتباعه أنَّ الاختلاف لا يعني التناقض أبداً، لأنَّ وجود السالب والموجب مثلاً داخل في الذرة، وداخل في الكهرباء، وداخل في المغناطيس، بل وفي الإنسان وفي الحيوان وفي النبات، لا يعني التناقض أبداً، بل إنه يعني شيء آخر فات ماركس وأتباعه هو التكافل والتزاوج، فمن العنصرين تقوم الحياة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَنَا رَبُّنَا لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١).

قال ابن كثير - رحمه الله - : (أي جميع المخلوقات أزواج: سماء وأرض، وليل ونهار، وشمس وقمر، وبر وبحر، وضياء وظلام، وإيمان وكفر، وموت وحياة، وشقاء وسعادة، وجنة ونار، حتى الحيوانات والنباتات، ولهذا قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي لتعلموا أنَّ الخالق واحد لا شريك له)^(٢).

(١) الذاريات: ٤٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٢٥٤.

وفي الحديث عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أنَّ النبي ﷺ، مرّ بقوم يؤبرون - أي يلقوهن النخل - فقال: «لو لم تفعلوا لصلاح»، قال: فخرج شيئاً - وهو البسر الرديء الذي يبس وصار حشفاً - فمرّ بهم - أي النبي - ﷺ، فقال: «ما لنخلكم؟» قالوا: قلت كذا وكذا؟! قال: «أنتم أعلم بأمر دنياكم»^(١).

وقال تعالى: «وَأَرْسَلْنَا الْرِّيحَ لَوْقَعَ فَأَنْزَلَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُهُ وَمَا أَنْثَمْ لَمْ يَخْرِزِنَ (٢)».

قال ابن القيم - رحمه الله -: (ومن آياته الباهرة هذا الهواء اللطيف المحبوس بين السماء والأرض... فإذا شاء سبحانه وتعالى حرّكه بحركة الرحمة فجعله رحاء ورحمة وبشرى بين يدي رحمته ولاحقاً للسحاب يلقوه بحمل الماء كما يلقوه الذكر الأخرى بالحمل...)^(٣).

وهناك حقيقة أخرى ذات أهمية لم يكن يعرفها ماركس، وهي أنَّ عدد الإلكترونات في أية ذرة يساوي تماماً عدد البروتونات، أي أنَّ الشحنة السالبة في أية ذرة تساوي تماماً الشحنة الموجبة، ولذلك فالذرة من أية مادة في حالتها العادية وحدة متزنة مستقرة خالية من التناقض الباطني والصراع.

والتناقض والتناحر لا يتاتى إلا أن تخرج المادة عن نظامها الذي خلقها عليه خالقها، فالذرة لا تنفجر حتى يختل ترتيب

(١) صحيح مسلم ١٨٣٦/٤، كتاب الفضائل رقم ٢٣٦٣، وسنن ابن ماجه ٨٢٥/٢، كتاب الرهون رقم ٢٤٧٠، ٢٤٧١، ومسند أحمد ١٦٢/١.

(٢) الحجر: ٢٢.

(٣) مفتاح دار السعادة ٢٠٠/١ - ٢٠١.

الإلكترونات والبرتونات، ومثل الذرة.. كل مظاهر الكون والطبيعة لا تختل حتى تخرج عن نظامها المفطور أو مدارها المرسوم.

ومثل الطبيعة الإنسان لا تناقض فيه بين الذكر والأنثى.. بل تكامل وتزاوج. والتناقض والتنافر لا يكون إلاً أن يخرج الرجل عن طبيعته أو تخرج المرأة عن طبيعتها. ولا تناقض داخل الإنسان نفسه، لا تناقض بين روحه وجسده، بل كذلك تكامل وتزاوج ولا يأتي التناقض والتنافر حتى تطغى إحدى القوتين على الأخرى.

ولهذا قال ﷺ: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًا، فَاعْطُ كُلَّ ذِيْ حَقٍّ حَقَّهُ»^(١).

فالقول بقانون التناقض وصراع الأضداد خطأ من الناحية العلمية، لأنَّ ظواهر الوجود قائمة على التوازن والتكامل والتزاوج.

هذا هو الأصل والتناقض والتنافر إنما يحصل عند الإخلال بهذا التوازن. وهذا ما كان غائباً عن الماركسيين كما غابت عنهم حقائق كثيرة وتغيرت معلومات أكثر فلم تعد نظريتهم علمية ولا شبه علمية^(٢).

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٤/٢٠٩)، كتاب الصوم حديث رقم (١٩٦٨)، عن ابن أبي جحيفة رضي الله عنه، وهو وهب بن عبد الله ويقال له: وهب الخير، صحابي معروف، وصاحب علياً، ومات سنة ٧٤. انظر: تقرير التهذيب، ٣٧٢، ٣٩٨.

(٢) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة و موقف الإسلام منها الدكتور جمعة الخولي ص ١٧٦.

٢ - وقد كان مظنوناً طبقاً لقانون كولومب أنَّ أي جمع بين شيئاً لهما شحنة كهربائية إما أنْ يتناقراً إنْ كانت من نوع واحد أي موجتين أو سالبتين، وإنما أنْ يتلازماً إنْ كانتا مختلفتين لذلك كان السالب يعتبر نقضاً للموجب، إلى أنْ أثبت العلم في القرن العشرين أنَّ هناك مسافة يبطل عندها قانون كولومب هي جزء من ثلثين مليون جزء من السنتمتر وهو ما يعادل نصف قطر أكبر ذرة. وبذلك ثبت أنَّ ليس داخل الذرة جذب وتناقراً وأنَّه خلو من هذا التناقض.

٣ - وكان العلماء يعتقدون أنَّ الطبيعة قائمة على عنصرين هامين هما: الطاقة والمادة، واعتبروا المادة شيئاً خاماً ملمساً يمكن تمييزه بشيء اسمه الكتلة، واعتبروا الطاقة شيئاً نشطاً بدون كتلة.. وبذلك أصبح السكون نقىض الحركة، والمادة نقىض الطاقة، ثم أثبت العلم في القرن العشرين وحدة الطاقة والمادة، وأنَّ المادة ليست إلا طاقة مرکزة، وأنَّ الطاقة ليست إلا مادة تسير بسرعة الضوء، وبذلك زال ما كان نتصوره تناقضاً.

وكان السائل يعتبر نقىض الجامد، والأبيض نقىض الأسود، والحار نقىض البارد، وما يطفئ النار نقىض ما يذكيها.

ثم جاء العلم في القرن العشرين وأثبت أنَّ المادة تتتحول من السائل إلى الجامد وبالعكس، وأنَّ كل نوع من المادة يتتحول إلى نوع ثان^(١).

(١) حوار مع الشيوخين، ص ١٣٤ - ١٣٧.

ثانياً: نقد قانون الحركة:

وأما عن قانون الحركة:

فنقول لهم: بأنه ما دامت المادة حادثة فإنَّ الحركة مخلوقة وليس أزلية أبدية كما تزعمون، وسواء كانت الحركة من داخل المادة أو من خارجها فإنَّ ذلك لا ينفي قدرة الله في تدبيرها وقصدها، فإنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي أكسب المادة خاصية الحركة، بل إنَّ العلماء المسلمين اتخذوا من الحركة دليلاً على أنَّ الكون مخلوق، ورددوا أمر الحركة إلى الله سبحانه وتعالى الذي أودع في هذا الكون خصائص الحركة والتغيير، والقادر على تغييره بأية صورة متى شاء سبحانه، ومع ذلك فإنَّ علمهم هذا لم يقدُّمُهم إلى إنكار وجود الله سبحانه وتعالى، وذلك لأنَّ الإيمان بالله تعالى في حس العالم المسلم لا يقوده إلى نتائج خاطئة، وإنما يأتي الخطأ من قصور معلومات الإنسان^(١).

ثالثاً: نقد قانون الانتقال من التغير الكمي إلى التغير

الكيفي أو قانون «التطور»:

وأما عن نقد قانون التغير أو التطور فأقول:

١ - إنَّ القرآن الكريم قد أكَّد نهاية الأرض وما عليها من حياة، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ ٢٦ وَبَقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ٢﴾^(٢).

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى -: (يخبر تعالى أنَّ

(١) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٣١٣ - ٣١٤ بتصريف.

(٢) الرحمن: ٢٦ - ٢٧.

جميع أهل الأرض سيدهبون ويموتون أجمعون، وكذلك أهل السموات إلا من شاء الله، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم، فإنَّ الرب تعالى وقدس لا يموت بل هو الحي الذي لا يموت أبداً^(١).

وقد جاءت الدلائل العلمية موافقة لما أكده القرآن الكريم من نهاية الأرض وما عليها من حياة؛ كما ذكرنا ذلك عند مناقشة التائج والدلائل عن بحث القول بالمادة.

فالماركسيون ليسوا على استعداد لبحث هذه القضية لأنهم لو بحثوها جدياً وأمنوا بفناء المادة ونهاية الحياة على الأرض لقادهم هذا الإيمان إلى الاعتراف بخالق الكون، وهذا ما لا يريده الماركسيون وأتباعهم؛ لأنَّ دعوتهم ما قامت إلا على أساس إنكار خالق هذا الكون ومحاربة دينه وجنته في الأرض^(٢).

٢ - ثم إنَّ التغير أو التطور الذي يحصل في الأشياء ليس تغيراً أو تطوراً من أدنى إلى أعلى ومن سيئ إلى حسن، بل هو تغير فحسب، فقد يكون التغير إلى حال أحسن، وقد يكون إلى حال أسوأ.

وإليك الأمثلة على ذلك:

١ - تعفن الخبز على سبيل المثال انتقال من حال حسنة إلى حال سيئة.

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٩١).

(٢) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٣١٧ وما بعدها.

٢ - انتقال الإنسان من الشباب إلى الهرم.

فالتحير موجود في الكائنات الحية وغيرها، ولكنه مجرد انتقال من حال إلى حال، بغض النظر عن الانتقال إلى الحسن أو إلى السُّيُّعَ.

ودليل الماء الذي ساقه فريديريك إنجلز للتدليل على هذه النظرية يكذبها، لأنَّ الماء عندما يتتحول إلى بخار يمكن أنْ يكتسب وبرد وبذلك يرجع إلى كيفيته الأولى، أي إلى الماء؛ وهذا ليس تغييراً صاعداً ولا إلى أحسن بل رجوع إلى الصورة الأصلية.

فالصعود والنزول ليس خاصية للحركة ولا للتغير، لذلك كان القول بأنَّ التغير يكون دائماً صاعداً قولًا خطأً ومخالفاً لواقع الحركة ولوّاقع التغير^(١).

٣ - لو عقدنا مقارنة بين جيل أصحاب الرسول ﷺ والجيل الأوروبي المعاصر لوجدنا البون شاسعاً للغاية.

لقد سطَّر جيل أصحاب محمد ﷺ أروع الأمثلة في العقيدة، وفي العدل، وفي السياسة، وفي الأخلاق، والمعاملات، وفي الخوف من الله والتوكُّل عليه، وفي علاقة الرجل مع أهله وخدمه، ومع المجتمع الذي يعيش فيه، ضربوا الأمثلة في شتى مجالات الحياة لأنَّ الإيمان بالله إذا وقر في نفس الإنسان فإنه يسعى إلى عمل كل ما يرضي به ربِّه ومولاه، ويبتعد عن كل ما يخالف أوامر الذي خلقه فسواء... ولم يقتصر الأمر

(١) انظر: نقض الاشتراكية الماركسية، ص ٨٩ - ٩١، موقف الإسلام من نظرية ماركس ص ٣٢٠، انهيار الشيوعية أمام الإسلام، ص ٩١.

على الخلفاء الراشدين وبقية أصحاب رسول الله ﷺ، بل إنَّ الإيمان الذي وقر في نفوس أتباع هذا الدين أخرج منهم رجالاً كانوا مثلاً في العظمة وعزَّة النفس، أقاموا العدل في ربوع الأرض وجعلوا حياتهم كلها لله رب العالمين. والأمثلة على ذلك كثيرة جداً وليس هذا مكان عرضها.

والذي أودُّ أنْ أفت الانتباه إليه هو أنَّ الجريمة فيهم كانت شبه معروفة.

ويعود سبب ذلك إلى الإيمان العظيم الذي يردع النفس عن ارتكاب المنكر قبل أن تردعها هيبة القانون.

بينما إذا انتقلنا إلى المجتمعات الغربية المعاصرة نجد أنَّ حقيقة دعوى الشيوعيين التي تزعم بناءً على قانون التطور وأنَّ كل جيل أفضل من الجيل السابق، خرافَة لا دليل عليها.

فقد انتشر السلبُ والنهبُ، والاحتيال والاختلاس، والسخرية والإسراف، والدناءة وقلة الذوق، وتعاطي المخدرات، وحوادث الانتحار تزداد كل يوم، وجرائم الأطفال الجانحين تسجلُ ارتفاعاً ملحوظاً، حتى في أرقى دول العالم تقدماً.

أما إذا انتقلنا إلى المجتمع الشيوعي - سابقاً - فإننا نجد أنَّ جرائمَه أكثر من أنْ تحصى، فالحزب الشيوعي الذي يتحكم في أقوات الناس، ويملك أكبر فرصة للتحكم في أخلاقهم، ويعتمِد أنَّ يصوغ البشر في قوالب معينة نتيجتها إفساد الإنسانية وتحطيمها...^(١).

(١) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٣٢٢ وما بعدها بتصريف.

والواقع أنَّ جلَّ الأمراض التي تعانيها المجتمعات البشرية - إنْ لم تكن كلُّها - إنما هي بسبب البعد عن منهج الله الذي يمنع الناس من الوقوع في الرذائل والمعاصي والجرائم.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ حِشْتَكُم بِالْحَقِّ وَلَنِكَنَ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَدِيرُهُونَ﴾^(١).

رابعاً: نقد قانون الترابط:

وأما عن قانون الترابط فإننا نقول للماركسيين:

إنه لا يمكن لأي إنسان أنْ يفهم حوادث الكون وأشياءه، منفصلة بعضها عن بعض، ومنقطعة عن أسبابها، لأنَّ الترابط بين هذه الأشياء قضية مسلمة، وليس من مبتكرات الفكر الماركسي الجدلية، بل هو مما أدركه الإنسان قديماً منذ أنْ نظر إلى الكون وإلى نفسه، ووجد أنَّ غذاءه مرتبط بالأرض، وأنَّ نبات الأرض مرتبط بالشمس، وأنَّ الكواكب والنجوم متراقبة . . .

وفكرة الترابط في الكون، وما يشتمل عليه هذا الترابط من أسباب ومسيرات وعلل ومعلومات قد هدى أهل الفكر الحصيف والنظر الثاقب إلى إدراك السبب الأول في وجود هذه الكائنات الحادثة وهو رب الخالق سبحانه وتعالى.

فإله سبحانه وتعالى هو الذي أنشأ الكون ابتداءً، وهو الذي يحدث فيه بمشيئته كلَّ تغيير جديد وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الخاصية بقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ﴾^(٢).

(١) الزخرف: ٧٨.

(٢) القمر: ٤٩.

وقوله تعالى: «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشُفَعَةٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»^(١)، وغير هذا كثير في القرآن الكريم.

ومن هنا فإن الاعتقاد بترابط أجزاء الكون المادي واعتباره كلاً متصلةً ليس وفقاً على المفهوم المادي للكون، بل إن هذا المفهوم من البدهيات في الأديان الصحيحة وبخاصة في الدين الإسلامي. أما عن تفاصيل الترابط بين أجزاء الكون المادي فهذا أمر يعود إلى المكتشفات العلمية، والإسلام يدعو إلى تأييد العلم وكشفاته الحقيقة، لأن الكون المادي سخره الله تعالى للإنسان، وعقله لا يتعدى في الاكتشافات حدود الكون المادي، لأن البحث خارج حدود هذا الكون ليس من اختصاص العقل الإنساني، وإنما هو من اختصاص الوحي الذي ينزل بأمر الله وبهدى بهديه^(٢).

خامساً: نقد قانون نفي النفي:

والإشكال الآتى نقض وتهشيم قانون نفي النفي من خلال عرض النقاط التالية:

١ - من المعلوم في نظام الجدلية، أن انتقال الشيء من حالة إلى أخرى ينبغي أن يكون اتجاهها نحو الأفضل... ومن المعروف أن ما تكون من طبقات الأرض، إنما تكون نتيجة البرودة التي آلت إليها حال تلك الطبقات، بفعل العوامل الخارجية، وليس من شك في أن هذه البرودة التي أعقبت الحالة

(١) التحل: ٤٠

(٢) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٣١٠ - ٣٢١ بتصريف يسيراً.

الحرارية التي كانت تتصرف بها الأرض أو أجزاء منها، إنما هي انحدار في الطاقة وتراجع، وليس هذه البرودة المتعاقبة في حقيقة الأمر إلا دليلاً على صيرورة الأرض أخيراً إلى الدمار والفناء.

٢ - لا ريب أنَّ كلَّ ما يطرأُ على الأرض من التبدلات المذكورة إنما يحدث بسبب المؤثرات الخارجية المختلفة كما يعترفُ بذلك دعاة المادة الجدلية، بينما يقرر أئمَّة المادة الديالكتيكية أنَّ حركة المادة نحو تطورها المتتصاعد إنما يكون بتأثير الأضداد الكامنة في داخلها..

فكيف يمكننا أن نتصور - مع ذلك - بأنَّ هذا الذي طرأ على الأرض من التبدلات الخاصة للمؤثرات الخارجية، إنما تم تحت سلطان الديالكتيك الذي يدفع نحو الأرقى والأتم؟ . . .

وعلينا والحالَة هذه أن نتساءل بموضوعية ونزاهة وتجرد: هل يمكن للعوامل الخارجية المختلفة أن تلتقي دائمًا على تنسيق جهودها، للسير بالأشياء التي تؤثِّر فيها نحو سُلُّم لولبي متتصاعد، يحتفظ من نفسه بالقديم الذي يمكن أن يكون نواة لطور جديد أفضل؟ فإذا فرضنا أنَّ في الناس من يقول: نعم، فإنَّ علينا أن نتساءل: كيف، وبأي قانون؟ ومهما كان الجواب، فإنَّ الواقع المشاهد من آثار هذه العوامل، يدحضُ كل تنسيق مزعوم؛ إذ نحن نشاهد بأمَّ أعيننا بعثرة النتائج المتحركة من كل تقييد بسبيلٍ ما، سواء أكان صالحًا أم فاسداً.

٣ - إنَّ تربة الأرض التي يتعامل معها الإنسان تنقسم إلى أربعة أقسام، قسم منها صالح للاستنبات وهو القسم الطيني، وأما

الأقسام الثلاثة الأخرى وهي: الرملي، والجيري، وذو البقايا النباتية غير صالحة في الجملة لأي زراعة أو استنبات، وما قد يصلح منها لذلك لا بد أن يخضع لشروط صناعية فنية ومناخية قاسية. إذاً فنفي النفي لم يتحقق من وراء الأطوار التي قطعت الأرض أشواطها إلى اليوم إلا في جزء يسير متفرق وسط مساحات شاسعة من الأراضي والجبال التي لا تصلح لشيء مما وصفه إنجلز. فلماذا تختلف عن سائر تلك المساحات الأخرى؟؟

أين هو نفي النفي في سلسلة جبال النار الشاسعة الواسعة، التي لا تفيد منها اليابان بشيء؟ وأين هو نفي النفي في تلك المساحات الجيرية الواسعة والجبال الجرداء التي تملاً بقاع الدنيا؟ وهكذا فإننا لا نجد... أيٌّ مثالٍ يسعف دعوة المادية الجدلية في استخراج تصوراتهم الذهنية عن نفي النفي إلى ساحة الواقع التجريبي المحسوس، وكلُّ الذي استنجدوا به من الأمثلة، لا يخرج عن تكلفات وحدائق ينأى عنها كلُّ من الذوق والفكر السليم^(١).

وبهذا يتبيّن لنا أنَّ أيّاً من قوانين الجدل الماركسية لا يعتمد على أيٌّ أصل علمي على الإطلاق.



(١) انظر: نقض أوهام المادية الجدلية باختصار وتصريف، ص ٨٧ - ٩١.

الفصل الخامس
المادية التاريخية ونقدها

المبحث الأول

التعريف بالمادية التاريخية

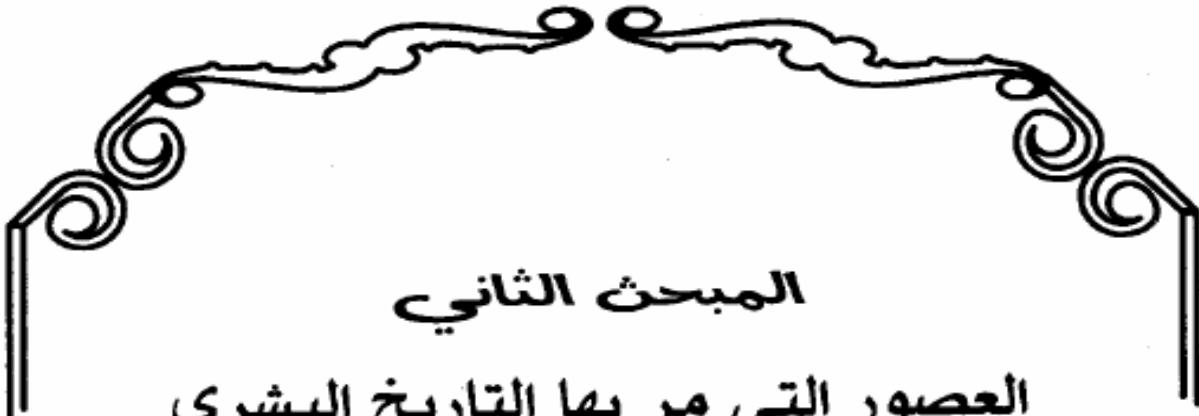
وهي عبارةٌ عن تطبيق قواعد المادية الجدلية على المجتمعات الإنسانية، أي تحليل الحوادث التاريخية بواسطة تطبيق مبادئ البحث الجدلية القائم على مبدأ النقيض، فكأنَّ الإنسانية ليست سوى مجموعة أعمال أو أحداث بشرية قامت بدوافع مادية بحثة.. وكأنَّ نمو هذه الأحداث التاريخية وتطورها يكمن في القوى المادية وحدتها لأنها هي التي لها قيمتها في العمل والجماعة، وهذه القوى كما يقول كارل ماركس هي القوى الاقتصادية التي استخدمها ليدلل بها على انهيار وسقوط المجتمعات التي سبقت الشيوعية، وتطبيق ذلك على قانون الجدل السابق يصاغ كالتالي :

المجتمع الذي كان يقوده ملوك أوروبا سقط وتحول إلى الجانب المقابل له، هذا الجانب المقابل له طرفان: هما: حكام الملك من جانب، والعبيد والفقراء من الرعية من جانب آخر، ثم من هذين الفريقين المتقابلين تكون الجامع بين الشيء ومقابله وهو المجتمع الإقطاعي؛ إذ إنَّ حكام الملك أصبحوا أصحاب

الأراضي، والفقراء أصبحوا هم المستأجرين لها، ومن الكفاح في المجتمع الإقطاعي بين المالك وال فلاحين نشأت الرأسمالية الصناعية، وبذلك سقط الإقطاع في القوة المقابلة وهي الرأسمالية. وترى الماركسية أنَّ الرأسمالية وفيها طرفاً متقابلان - أصحاب مال وعمال - سيسقط أحدُ طرفيها في القوة المقابلة لها وهي قوة العمال والمجتمع الجديد، هو المجتمع الاشتراكي ذو الطبقة الواحدة^(١).



(١) الفكر الإسلامي الحديث، د/محمد البهبي، ص ٣٥٧ - ٣٥٨.



المبحث الثاني

العصور التي مر بها التاريخ البشري في رأي الماديين التاريخية

يقول الماركسيون الماديون: إنَّ التاريخ البشري مر بالعصور الآتية:

- ١ - مرحلة المشاعية البدائية: وفيها كان الإنسان يعيش على سطح الأرض كما تعيش الحيوانات والوحش، بلا بيت، ولا أسرة، ولا مجتمع من أي نوع كان، ولا نظام ولا قانون. فكل شيء كان مشاعاً بين الناس وهو عصر الرعي والصيد.
- ٢ - مرحلة الرق: وظهرت هذه المرحلة على أثر انهيار نظام الملكية الجماعية، نتيجة لتطور القوى المنتجة، وظهور الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، وكانت الأرض هي الأساس المادي لذلك العصر، وفيه نشأت الملكية الزراعية، وفيه تكونت القبيلة بتأثير تدجين الحيوان، ونشأت بعض العلاقات الاجتماعية، والصناعات اليدوية البدائية وفي هذه المرحلة انقسم الناس إلى أسياد وعبد.
- ٣ - مرحلة الإقطاع: ويوجد بين نظام هذه المرحلة والتي قبلها تشابه من حيث كونهما يعتمدان على الأرض، والعلاقة

الإنتاجية فيها هي بين الإقطاعيين ورقيق الأرض، وكلتا المرحلتين كانتا تعتمدان على أدوات إنتاج ضعيفة، ويتميز النظام الإقطاعي بأنَّ علاقات الإنتاج فيه قائمة على ملكية الأرض كوسيلة رئيسية للإنتاج، وقيام ارتباط الفلاحين بالإقطاعيين داخل حدود معينة، وكانت معاملة الفلاح قاسية جداً، فقد كان محروماً من كثير من الحقوق، وكان مجبراً على العمل مجاناً معظم أيام الأسبوع، وكان لا يستطيع ترك السيادة الإقطاعية، وكثيراً ما تمرد الفلاحون على الوضع السُّيُّ، ولكن محاولاتهم باهتة بالفشل لقوة الإقطاعي، ولعدم تنظيم الفلاحين وتحديد أهدافهم.

وكانت الطبقة المسيطرة هي طبقة المُلَّاك ورجال الدين، فقد كانت الكنيسة في ذلك الوقت أكبر الإقطاعيين، تستغل الناس باسم الدين.

وفي هذه المرحلة نشأت العائلة بتأثير الزراعة، وتنامت العلاقات الاجتماعية والصناعات اليدوية، وفي هذه المرحلة ظهرت القرى والمدن، وبظهورها وُضِعَت القوانين التي تنظم علاقة الإنسان بالأرض، وعلاقة الإنسان بالإنسان، كما ظهرت الحكومات والسلطات المحلية الإقطاعية. وبذلك انقسم المجتمع إلى أسياد وأقنان، وقالوا بأنَّ الدين ظهر في هذه المرحلة لتسويغ الإقطاع وترويض الجماهير به.

وكانت الواجبات التي كان يقوم بها رقيق الأرض للملك عدا خضوعه المطلق لسيده وارتباطه المحكم بإقطاعيته صورة قائمة كانت ترزع تحت نير ظلمها الطبقات الفقيرة في أوروبا وذلك نتيجة لغياب شرع الله عن التطبيق.

٤ - مرحلة الرأسمالية: وكان الانتقال من الإقطاع إلى

الرأسمالية نتيجة لاكتشاف الآلة بما يسمى في أوروبا الثورة أو الانقلاب الصناعي، وتحوّل طبقة الفلاحين إلى طبقة البروليتاريا الصناعية، وصارت الآلة فيه هي وسيلة الإنتاج الرئيسية والعلاقة الإنتاجية بين العمال والرأسماليين، وفي الصراع الناشب بين هاتين الطبقيتين تتكثّل طبقة العمال ضد طبقة الرأسمالية، وتستخدم كل طبقة كافة الأسلحة المادية والمعنوية في صراعها الدموي مع الطبقة الأخرى، ولكن الصراع سينتهي - كما تقول الماركسية - بانتصار حتمي لطبقة العمال الأكثر عدداً وأسوأ حالاً، وتفتح الطريق إلى مجتمع جديد خال من الطبقة والاستغلال.

وفي هذه المرحلة نشأت الأسرة، والقومية، والحكومات المركزية، والقوانين التي تنظم الإنسان بالآلة والإنتاج.

٥ - مرحلة الاشتراكية: وفيها تُلغى ملكية وسائل الإنتاج الزراعي والصناعي (الأرض والمصانع) الخاصة، وتزول الطبقة، بحيث يمتلك الفلاحون الأرض، ويمتلك العمال المصانع، وتصبح الأرض لمن يفلحها، والسلعة لمن ينتجها، وفي هذه المرحلة يحكم بدiktatorية الطبقة العاملة وشعار هذه المرحلة: «من كلّ حسب طاقته، ولكلّ حسب عمله».

٦ - مرحلة الشيوعية: وفيها، بحسب تقدير كارل ماركس، تزول الحكومة، وتتلاشى الأسرة، وتنحلُّ القوميات والأديان ويكون شعار هذه المرحلة: «من كلّ حسب طاقته، ولكلّ حسب حاجته»^(١).

(١) انظر في هذا: حوار مع الشيوعيين، ص ٢١ وما بعدها، اليهود في المعسكر الشرقي، ص ١٠٩ - ١١٠، موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٣٩٥ وما بعدها.



المبحث الثالث

نقد المادية التاريخية

يمكن نقد القول بالمادية التاريخية في ما يأتي :

١ - حسب قانون التطور واحتفاء القديم ونشوء الجديد، وأنَّ الشيوعية ستحل محلَّ الرأسمالية، فإنَّ الشيوعية - أيضاً - سوف تنهار، ويسقط مجتمعها في مجتمع مقابل لها، ويحلُّ نظام آخر محلها، وبذلك تسقط فكرة عمومية قوانين الجدل وحتميتها، فهل توقع ذلك زعماء الماركسية وقالوا به، أم أنهم طبقو ذلك على غيرهم ونسوا أنفسهم؟ إن كانوا نسوه دلَّ ذلك على فساد نظريتهم، وإن كانوا أقروا به دلَّ على خطأ نبوءتهم وتكهنهم.

وهذا ما حدث بالفعل، فقد سقطت الشيوعية في الاتحاد السوفيتي - سابقاً - وفي دول شرق أوروبا، وهي في طريقها إلى الزوال إنْ شاء الله تعالى.

٢ - تذكر الماركسية في تطور المجتمعات من المشاعية البدائية إلى الملكية إلى الإقطاع... إلخ، أنَّ الإقطاع انبثق عن نظام المشاعية البدائية أو الملكية الجماعية، وأنَّ البرجوازية المتحالفة مع الطبقة الكادحة انبثقت عن نظام البرجوازية.

وأنَّ ذلك كله تمَّ بفعل قوانين الجدل، وأنَّ كُلَّ مرحلة سابقة كانت تحملُ في بطنها بذور الثورة عليها من المرحلة التي تليها.

فهل هذه المقولات صحيحة؟ لا.. وإليك شواهد التاريخ: لقد كان الإقطاع متفشياً في الأرض قبل ظهور الإسلام، في اليونان والرومان وبلاد فارس وفي الجزيرة العربية، فكيف حلَّ مشكلته المتفاقمة؟

أ - فأما الإقطاع الذي كان متفاقماً عند قدماء اليونان فإنَّ الحلَّ للمشكلة لم ينبع من أحشاء الإقطاع ذاته، ولم نجد أثر البرجوازية^(١) تحالفت مع الدهماء من الناس، بل نهض مصلحون يمثلون الطبقة الحاكمة في أكثر الأحيان، كان في مقدمتهم «ليكور غوس» في القرن التاسع قبل الميلاد الذي أعاد «أسبطة» من ذروة الإقطاع وأقام لوناً جديداً من التكافل والتضامن الاجتماعي، دون أنْ تضطرَّ حتميةُ صراع الطبقات إلى الاستعانة بتحالف البرجوازيين مع البروليتاريا ثم الاستعانة بمرحلة الرأسمالية المتفاقمة.

ب - أما الإقطاع عند الرومان فقد تفاقم هو الآخر تفاصماً شرساً خطيراً، حتى أندى بالإفساد والدمار، ولم تتحقق تحرصات الماركسيين بإيجاد الحل حسبما تقرره المادية التاريخية ويتحالفا

(١) البرجوازية: طبقة نشأت في عصر النهضة الأوروبية بين الأشراف والزراع، وأصبحت دعامة النظام النابي، ثم صارت في القرن التاسع عشر الطبقة التي تملك وسائل الإنتاج في النظام الرأسمالي، وقابلت بهذا طبقة العمال.. المعجم الوسيط ٤٧/١.

البرجوازيون مع الدهماء، بل العجب أن تحالفت البرجوازية مع الإقطاع ذاته لدك صرح الدولة الرومانية.

ج - والإقطاع الذي كان سائداً عند الفرس لم تحل مشكلته على الرغم من تفاقمها بحلول البرجوازية المتحالفه مع الدهماء محله. بل ظلّ الأمر هكذا إلى أن جاء الحل عن طريق الفتح الإسلامي، ولا يوجد في كتب التاريخ ومراجعه المختلفة أن المسلمين الذي جاؤوا وافتتحوا بلاد الفرس، كانوا يمثلون تحالف البرجوازية مع البروليتاريا بل الموجود في بطون التاريخ يتناقض مع هذا الكلام ..

ترى أكان «ربعي بن عامر» الذي أرسله سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه - مفاوضاً إلى قائد الجيش الفارسي، بطلب من القائد نفسه برجوازياً أو بروليتارياً، عندما رمى مظاهر الترف التي أغرق بها رستم سرادقه بنظره ازدراء، ثم قال له: لقد جتنا لنخرج من شاء منكم من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد الذي لا شريك له، فإن استجبتم تركناكم وأرضكم وأموالكم^(١).

وهل كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الذي يرعى هذا الفتح في بلاد العراق ويرعى نظيره في بلاد الشام برجوازياً أو بروليتارياً؟ إنَّ الجواب الحاسم على هذا السؤال يتجلّى عندما قدمَ عمر إلى الشام بعد الفتح واستقبله على مشارفها أبو عبيدة بن الجراح فرأه كما هو بمرقعته^(٢) ومظهره الذي لم يغير منه شيئاً،

(١) تاريخ الطبرى (٥٢٠/٣)، حوادث السنة الرابعة عشرة، والبداية والنهاية، ابن كثير (٣٩٧).

(٢) رقع الثوب: ألمح خرقه، وترقيع الثوب: أن ترتفع في مواضع، والمراد خياطته وترميته. انظر: اللسان (١٣١/٨).

فهمس في أذنه: يا أمير المؤمنين، أباطرة الشام يستقبلونك الآن، فلو غيرت من هذه الهيئة أمامهم. فأجابه عمر بقوله: «فلو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما طلبنا العز بغيره أذلنا الله»^(١).

د - ولقد تم الفتح الإسلامي في الجزيرة العربية دون أن يمهد له بإقطاع متفاقم أو برأسمالية جشعة، كل ما هنالك قوافل تجارية تأتي وتذهب فتعيش على أرباحها القبائل، وأموال لبعض الأغنياء إلى جانب التجارة في القروض الربوية.

٣ - من العرض السابق للمراحل التاريخية التي قررتها الماركسية، نجد أنها قررت أنَّ نظام الملكية في الحياة البدائية قائماً على الملكية الجماعية. فلو ترك أمر الجزيرة العربية إذاً، إلى المنهاج الذي ينص عليه قانون المادية التاريخية لكان من الواجب ألا يحدث فيها أيُّ تغيير إلى أنْ يتفاقم الإقطاع ويستشرى فساده واستغلاله، حتى ينهض البرجوازيون عندئذٍ مع حلفائهم البروليتاريين للقضاء على الإقطاع وإصلاح الأمور والسير بعجلة الوضع الاقتصادي والاجتماعي إلى حين من الزمن.

ولكن الذي حدث أنْ بُعِثَ خاتم المرسلين نبينا محمد ﷺ في الجزيرة العربية رسولاً من الله إلى العالمين فغيَّر حال الجزيرة العربية ظهراً على عقب، وجعل أهلها جنوداً من نوع عجيب، في طريق الفتح الإسلامي الذي لا يزال الأوروبيون من علماء التاريخ يعدونه لغزاً من الغاز التاريخ الإنساني، فكيف تم تطبيق

(١) حلية الأولياء، للحافظ أبي نعيم ٤٧/١، ومختصر منهاج الفاصلين، الإمام ابن قدامة المقدسي، ص ٢٤٤، والبداية والنهاية، ابن كثير ٦٠٧.

هذا الذي حدث في الجزيرة على منهج الصراع الطبقي في ما تنص عليه المادية التاريخية؟!

أين هي مقدمة الإقطاع المتحكم المتفاهم الذي كان يجب أن يمهّد لما حدث؟

وأين هو تحالف البرجوازية مع الدهماء، للقيام بدور الانتقال من عهد الإقطاع إلى العهد الذي يليه طبقاً للمنهج المرسوم؟ بل أين هي رائحة الدافع الاقتصادي في قصة الفتح الإسلامي في الجزيرة العربية وما حولها من الأول إلى الآخر؟

لقد هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، ولحق به كل أصحابه المؤمنون، وتجرّد أكثرهم عن الأرض التي كانوا يملكونها والأموال التي كانوا يحوزونها ولم يصلوا إلى المدينة إلا وقد جرّدتهم المشركون من كل شيء، وقد كان عزاً لهم في ذلك أنهم لم يفقدوا نبيهم ودينه الذي آمنوا به، أفهذا ما يفعله البرجوازيون أو البروليتاريون؟!

وعلى أعقاب الفتح الإسلامي الذي تم، وبعد أن تكامل بنيان المجتمع الإسلامي وانتقل عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى، لم يكن قد جمع هذا الرسول من نشب الدنيا^(١) وحصيلة «الإنتاج» شيئاً، وتوفي - عليه الصلاة والسلام - وليس في داره بيضاء ولا صفراء^(٢)، فـأين هو أثر الدافع الاقتصادي في حياته ﷺ^(٣).

(١) النشب: المال والعقارات، انظر: المجمع الوسيط، (٩٢١/٢).

(٢) أي ليس فيه ذهب ولا فضة، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (١٧٢/١).

(٣) انظر: نقض أوهام المادية الجدلية، ص ٢٣٥ - ٢٤٠.

٤ - ينص كارل ماركس ورفاقه أنَّ الدافع الأول في حياة الإنسان السلوكية هو الدافع الاقتصادي فقط، وأنَّ البحث عن الطعام والشراب والمأوى هي الدوافع التي كانت تستأثر بفكرة واهتمامه منذ فجر حياة الإنسان الاجتماعية، وهذه النظرة تجعل طابع حياة الإنسان حياة البهائم تماماً، لا يعلو أحدُهمَا على الآخر بشيء مع أنَّ الملاحظ أنَّ الإنسان له نزوع إلى الترقى والصعود عن طريق استعداده الروحي والمعنوي في كثير من الأحيان^(١).

٥ - زعم كارل ماركس من خلال هذه النظرية أنَّ عَقْلَةَ البشري قادرٌ على أنْ يكشف القوانين الكلية العامة التي لا ينذرُ عنها شيءٌ من حركة الكون والحياة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وأنه قد اكتشف المفاتيح الجامدة المانعة التي انكشفت له من خلالها أسرار الكون ومسيرة الإنسان منذ خلق وإلى الأبد!

وهذا زعمٌ باطلٌ قائمٌ على الغرور والوهم والخداع والقياسات الباطلة، فلم يحدث، ولم يمكن أنْ يحدث أن تكتشف العقولُ البشريةُ بمحض اجتهادها البشري دون توجيه إلهي، كلَّ قوانين الكون والحياة.

ذلك أنَّ العقل البشري يتحرك في إطار الحاضر.. يفكر وينظر ويجرِّب ويقتنِ، أما أنْ يمزق حجب الغيب المستقبل فهذا ما لا يمكن، لأنَّه فوق طاقة العقل، قال تعالى: «وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا»^(٢).

(١) المرجع السابق، ص ٢٢٧.

(٢) الإسراء: ٨٥.

ويبيّن القرآن الكريم أنه لا يحيطُ بالقوانين العامة الشاملة النهائية العلمية إلاّ خالقها، قال تعالى: ﴿فِطَرَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا نَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِي أَقْرَبَ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

يقول العالم التجريبي والطبيب القسيس كاريل، الذي كتب كتابه الشهير «الإنسان ذلك العالم المجهول»: «فمبادئ الثورة الفرنسية وخيانات ماركس ولينين تنطبق فقط على الرجال الجامدين، فيجب أن نفهم بوضوح أنّ قوانين العلاقات البشرية ما زالت غير معروفة، فإنّ علوم الاجتماع والاقتصاديات علوم تخمينية افتراضية»^(٢).



(١) الروم: ٣٠.

(٢) انظر: انهيار الشيوعية، ص ١٥٧ - ١٥٨.

الفصل السادس

الصراع بين الطبقات ونقده



المبحث الأول:

تعريف الصراع بين الطبقات عند كارل ماركس

تاريخ المجتمعات عند كارل ماركس إنما هو تاريخُ الصراع بين الطبقات، وما دامت هناك طبقات في المجتمع فلا بدَّ أنْ تسعى إحداها إلى استغلال الأخرى؛ وهذا الاستغلال يولد الصراع الذي يفضي في النهاية إلى انهيار الطبقة المستغلة وسيادة طبقة أخرى؛ وتستمر هذه العملية في نظر كارل ماركس إلى أنْ يزغ المجتمعُ اللاطبيقي ويتهي الصراع؛ وتطبيقاً لذلك يشيرُ كارل ماركس إلى أنَّ النظام الإقطاعي كان يقوم على استغلال السادة الإقطاعيين لأتبعهم، ثم قويت بالتدريج طبقةُ البرجوازية (أصحاب رؤوس الأموال من رجال الصناعة والتجارة) وتمكنَت من القضاء على الطبقة الإقطاعية، وبدأت الطبقة السائدة الجديدة باستغلال الطبقة العمالية الكادحة، ومن شأن هذا الاستغلال توليد الصراع بين الطبقتين والنتيجة المحتومة في نظره أنَّ السير الطبيعي للرأسمالية يؤدي إلى تركيز رؤوس الأموال وأدوات الإنتاج في أيدي عدد متناقض من الأفراد، وبذلك يتزايد باستمرار عدد

الطبقة الكادحة إلى أن يأتي الوقت الذي تتمكن فيه هذه الطبقة من القضاء على البرجوازية والاستيلاء على الحكم ولو بالقوة إذا اقتضت الضرورة، ويتبع ذلك قيام ديكاتورية الطبقة الكادحة التي تستمر إلى أن تجتث جذور الطبقة البرجوازية وتقضي عليها، وهنا ينشأ المجتمع الاطبقي الحالي من الصراعات وتزول الدولة والدين والأسرة، وكل التنظيمات التي يدعى أن البرجوازية ابتدعتها لإطالة أمد استغلالها^(١).

والطبقات وفقاً لتعريف لينين هي: «مجموعات كبيرة من الناس تتميز بمكانها في نظام الإنتاج الاجتماعي المحدد تاريخياً وبعلاقتها التي ثبتت في الغالب وتصاغ في القوانين بوسائل الإنتاج، ويدورها في التنظيم الاجتماعي للعمل، وبالتالي حصولها على ذلك النصيب من الثروة الاجتماعية الذي تمتلكه ومقداره»^(٢).

وعلى ذلك فإنَّ الماركسيين يعتبرون أنَّ التاريخ البشري بكامله كان مسرحاً لصراع الطبقات على أثر تفسخ المشاعية البدائية وظهور الملكية الخاصة، ويعتبرون المصالح الاقتصادية هي الأساس في التعامل بين البشر التي تحدد جميع المصالح السياسية والاقتصادية والفكرية والدينية والأخلاقية، وتشكلت الطبقات الاجتماعية من تلك الأسر التي كانت تقوم بالوظائف الاجتماعية، وتستخدم سلطاتها من أجل تجميع الثروة بين أيديها،

(١) الموسوعة العربية الميسرة (١٦١٦/٢).

(٢) أسس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، ص ١٦٩، وانظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ١٩٣.

وكان أولُ تقسيم للمجتمع هو تقسيمه إلى فئتين: فئة الأرقاء، وفئة الأسياد.

والطبقة التي تملك الوسائل المادية ووسائل الإنتاج هي التي تحكم، وأفكارها هي المسيطرة على المجتمع، ويظل الشعب خاضعاً لسلطانها محروماً من كثير من حقوقه وواجباته^(١).



(١) موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٤٠١ بتصرف يسير.

المبحث الثاني

نقد الصراع بين الطبقات

وحين يقول الماركسيون إنَّ تاريخ المجتمع البشري بكامله كان مسرحاً للصراع الطبقي بعد أن تلاشت الملكية الخاصة ينافقون أنفسهم وذلك للأمور التالية:

١ - إنَّ الماديين يعترفون بأنَّ الإنسان قد وصل إلى زراعة النبات وتدمير الحيوان قبل أن تظهر طبقة تستغل الطبقة الأخرى، فدلل ذلك على عدم وجود الصراع بين الطبقات.

٢ - إنَّ حوادث التاريخ قبل عام (١٨١٥ م) باعتراف فريديريك إنجلز كانت مستوررة ومشوشة. فكيف يقولون بلهجة اليقين إنَّ تاريخ البشرية كان مسرحاً للصراع الطبقي بعد أن تلاشت الملكية الخاصة؟!

٣ - ثم إنَّ إنجلز يعترف بأنَّ الصراع السياسي كله في بريطانيا كان يدور على تنازع السيادة بين طبقتين: طبقة الملوك والنبلاء^(١) والطبقة الوسطى. ولم يكن الصراع على استغلال إحداهما على الأخرى.

(١) النبلاء: مأخوذة من النبل بالضم: الذكاء والتجابة، انظر: اللسان (١١/٦٤٠).

٤ - كما يظهر عيب هذه النظرية في أنها عممت على تاريخ البشرية كله بأنه كان مسرحاً للصراع الطبقي. وهذا التعميم خاطئ من وجهة النظر العلمية، وذلك لأنَّ الماديين نظروا إلى تاريخ أوروبا والحالة الطبقية السائدة فيها في فترة محدودة، وأعطوا حكماً عاماً على التاريخ البشري، ولو أنهم اكتفوا بالحكم على تاريخ أوروبا دون أن يعمموا على تاريخ الأمم الأخرى وبخاصة الأمة الإسلامية لكان ما قالوه صحيحاً إلى حدٍ كبير، لأنَّ الصراع الطبقي ونظام الطبقات كان موجوداً في أوروبا منذ أمد بعيد.

ثم إنهم لم يدرسوا تاريخ البشرية كله، بل درسوا تاريخ أوروبا في فترة معينة وأصدروا حكمهم، والباحث العلمي المنصف يجب عليه - حتى تكون نظريته علمية مقبولة - أن يدرس تاريخ جميع الأمم ليصدر حكماً قاطعاً، بل وتساهل قليلاً معه فنقول:

يُدرس تاريخ الأمم المعلومة، وتاريخ الإسلام لا يجهله أحد... فكيف يصدر الماركسيون حكماً قاطعاً ويزعمون أنهم علميون ونظرتهم قائمة على أسس علمية وهم يغفلون تاريخ الإسلام؟ اللهم لأنَّ تاريخ الإسلام يهدم نظرتهم من أساسها^(١).

٥ - إنَّ نظرية الصراع بين الطبقات التي تقول بها الماركسية تُولدُ الحقد والفرقة في المجتمعات، وتشيرُ العمال على أصحاب رؤوس الأموال، وتدفعهم إلى الانتقام منهم وإلحاق الضرر

(١) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٤٠٣ - ٤٠٤، وانهيار الشيوعية، ص ١٦٥، والشيوعية والإنسانية، العقاد، ص ١٢١ وما بعدها.

بأموالهم ومصانعهم عن طريق الإضراب عن العمل أو التخريب في آلات المصانع، وهكذا تضرب كل فئة أختها وتمتلئ النفوس بالضغائن والأحقاد، ويدفعها ذلك إلى الانتقام وارتكاب الجرائم فتسود القلائل وينتفي الهدوء والاستقرار من المجتمع، بل إنَّ كارل ماركس يذهب إلى أبعد من هذا عندما يدعو الطبقة العمالية إلى الثورة الدموية لتحقيق أهدافها، وفي حالة نجاحها عليها أن تلتزم الديكتاتورية في الحكم، ولها أنْ تسلك أي وسيلة متاحة في سبيل السيطرة على الأمور... جرياً على قاعدة «الغاية تبرر الوسيلة»^(١).

وهكذا نجد أنَّ النظرة الماركسية للإنسان لا تُبرز وجوده بممارسة ما شرع الله له من أملاك، ولم تعمل على تحقيق التعاون والمحبة والألفة بين المجتمع، وإنما تبرز وجوده مع أخيه الإنسان بإهدار دمه، وتدمير حياته، وبذلك لا يبقى على وجه الأرض إلا القتلة والمجرمون.

وهذا بخلاف الإسلام الذي أباح للمسلم أنْ يعمل ويستثمر أمواله بالطرق المشروعة، ويدعو إلى التعاون والرحمة والمحبة ليعيش الناس في أمن واستقرار واطمئنان.

٦ - أما نظرة الإسلام إلى التفاضل بين الناس وما يسمى بالطبقية فإنه يعتبر أنَّ القضاء على التفاوت والتمايز في المجتمعات أمر غير ممكن، فتلك سنة الحياة، فالبشر ليسوا كلهم سواء كما تفترض الشيوعية، والناس يتفاوتون في تكوينهم

(١) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، جمعة الخولي، ص ١٨٨ - ١٨٩.

الجسمي والعقلي، كما يتفاوتون في الموهاب والقدرات والمزايا الخاصة، ويتبع ذلك تفاوتهم في ممتلكاتهم وأرزاقهم، قال تعالى: «أَهُمْ يَقِسِّمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ هُنَّ فَسَنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَتِ لِتَشَدِّدِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيَّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» ٣٢^(١).

ومع تأكيد الإسلام للتساوي بين البشر في الأدمية وشتى الحقوق والواجبات أمام الشريعة، ومع رفضه للفوارق المصطنعة كالتمايز بالعنصر، والحسب، والجاه، والثروة، وإنما بالعمل الصالح والجهد النافع كما قال تعالى «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقُكُمْ»^(٢).

ومع ذلك، فإننا نجد أنه لا يفرض المساواة الكاملة بين الناس، قال تعالى: «وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكُوكُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَيْنِعَمُهُ اللَّهُ يَحْمَدُونَ» ٦٦^(٣). ثم إنه يجعل التفاضل من عوامل الاختبار والابتلاء، قال تعالى: «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلِيفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَتِ لِتَبَلُّوكُمْ فِي مَا إِنْتُمْ كُنْتُمْ»^(٤).

كما أنَّ الإسلام يتماشى مع الفطرة في قضية الصراع بين الناس، فالMuslim له أنْ يدافع عن نفسه وماله وعرضه وعقيدته، وأنْ يمنع الظالم وإنْ قُتل في سبيل ذلك فهو شهيد، قال تعالى: «وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ»^(٥).

(١) الزخرف: ٣٢.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) النحل: ٧١.

(٤) الأنعام: ١٦٥.

(٥) البقرة: ٢٥١.

وقال ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دون ماله فهو شهيد، ومن قُتِلَ دون دمه فهو شهيد، ومن قُتِلَ دون دينه فهو شهيد، ومن قُتِلَ دون أهله فهو شهيد»^(١).

إن الإسلام لا يعتبر الصراع هدفاً في ذاته، ولا يقر كذلك أنه هو بذاته الذي ينشئ القلق والاضطراب في حياة البشر، وإنما الإسلام يقر فكرة الصراع على أساس أنه ضرورة حتمية لمنع الفساد في الأرض، ولإيجاد التوازن في الحياة البشرية ووسيلة للتوفيق بين المتناقضات، ف موقف الإسلام موقف معتدل فهو لا يشتبه إلى أقصى ما يسمى باليمين المتمثل في الغرب الذي تقوم حضارته على الصراع الخالص، الصراع الدائر بين الأفراد الذي لا تحكمه إلا الضرورة والصراع بين الأمم الذي لا تحكمه إلا غلبة الأسلحة.

كما أن موقف الإسلام من الصراع لا يشتبه إلى أقصى ما يسمى باليسار المتمثل في الشيوعية التي تزعم أن الصراع ذاته ينشئ الاضطرابات في المجتمعات البشرية، لذلك لا بد من القضاء عليه حتى تستريح البشرية من ولائه^(٢).

(١) صحيح البخاري مع الفتح ١٢٣/٥، كتاب المظالم، باب من قاتل دون ماله فهو شهيد، رقم (٢٤٨٠)، وسنن أبي داود ١٢٨/٥، كتاب السنة، باب في قتال اللصوص، رقم ٤٧٧٢، والترمذى ٣٠/٤ رقم ١٤٢١، كتاب الديات، باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد، والنسائي ١١٦/٧ في تحريم الدم، باب من قاتل دون دينه، وابن ماجه ٨٦١/٢، كتاب الحدود، باب من قاتل دون ماله فهو شهيد، رقم (٢٥٨٠)، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٤٥٨ - ٤٥٩ بتصريف.

الفصل السابع

النظام الاقتصادي الشيوعي ونقده



تمهيد

يُعدّ النظام الاقتصادي الشيوعي جوهر النظرية الماركسية، فقد خصص كارل ماركس كتابه «رأس المال» لدراسة النظام الاقتصادي في المجتمع الرأسمالي ومحاولة التركيز على سلبياته وعيوبه، كما عرض في الوقت نفسه لنظريته البديلة، ولذلك يقول كارل ماركس في مقدمة هذا الكتاب: «إنَّ الهدف النهائي لهذا الكتاب هو أنْ يكشف عن القانون الاقتصادي لحركة المجتمع الحديث»^(١).

وهكذا درس كارل ماركس علاقات الإنتاج وتطورها وزوالها، وهذا هو مضمون مذهب ماركس الاقتصادي.



(١) انظر: انهيار الشيوعية، ص ٢٠١.



المبحث الأول

أهم مبادئ الاقتصاد الشيوعي

يمكن تلخيص أهم مبادئ الاقتصاد الشيوعي أو وسائل التنفيذ التي ترى الشيوعية اتخاذها لقلب المجتمع الحالي إلى مجتمع شيوعي في ما يلي :

- ١ - نزع الأموال العقارية، ومصادر الإيرادات العقارية لمصلحة الدولة.
- ٢ - فرض ضرائب تصاعدية ضخمة.
- ٣ - إلغاء حقوق الوراثة.
- ٤ - حصر الثقة المالية في الدولة بواسطة بنك وطني له حق الاحتكار التام.
- ٥ - وضع جميع وسائل المواصلات والنقل في يد الدولة.
- ٦ - فرض العمل الإجباري على جميع الأفراد، وتنظيم جيش عامل خصوصاً لأداء الزراعة.
- ٧ - وصل العمل الزراعي بالعمل الصناعي واتخاذ الوسائل اللازمة لإزالة الفوارق بين الحقل والمدينة.

٨ - تقرير التعليم المجاني لجميع الأطفال، وإلغاء عمل الأحداث في المصانع، ووصل التربية بالإنتاج المادي، وغير ذلك.

ومتى تحققت هذه المرحلة التطورية فإنها تقضي في نظر كارل ماركس على نضال الطوائف وتؤدي إلى هدم السلطة السياسية التي تستأثر بها طبقة البرجوازي، ومتى انتظمت الكتلة العاملة إلى طائفة قوية موحدة وانتزعت السلطة بواسطة الثورة، فإنها تستطيع القضاء على علائق الإنتاج القديمة والقضاء على سلطان الطوائف، وعندها ينهض مكان المجتمع الرأسمالي القديم بطوائفه ونضاله مجتمع جديد شعاره حرية التقدم لكل فرد شرط لحرية تقدم المجتمع^(١)، وقد تقدم معنا في الفصل الأول بعض التطبيقات الاشتراكية.



(١) انظر: المذاهب الاجتماعية الحديثة، محمد عبدالله عنان، ص ٧١ - ٧٣، وكذلك تاريخ الجمعيات السرية للمؤلف، ص ١٩٤.

المبحث الثاني

النظريات الاقتصادية الشيوعية

الماركسية ونقدها

ولتبرير وتسويغ هذه المبادئ السابقة قام ماركس بتحليل علاقات الإنتاج على مدى التاريخ الإنساني وانتهى من ذلك إلى وضع النظريات والأصول التالية:

**المطلب الأول:
نظيرية نزع الملكية الخاصة ونقدها**

ويشتمل على ما يلي:

١ - تعريف نظيرية نزع الملكية الخاصة عند كارل ماركس:

قال كارل ماركس: إنَّ الملكية الخاصة ليست غريزة فطرية وإنما هي صفة مكتسبة تخضع لظروف المجتمع والثقافة التي تشيُّع فيه، وبالتالي التأريخي ثبت أنها مجرد ميراث من المجتمع الإقطاعي والعبودي والرأسمالي.

ويشهد على ذلك بأنَّ الإنسان البدائي لم يكن يعرف

الملكية الفردية، بل كانت الأشياء كلها مشاعة بين الجميع، ولم تظهر الملكية إلا مع النظام العبودي والإقطاعي والرأسمالي، ولذلك لا بد من القضاء عليها وإعادة الإنسانية إلى طبيعتها الأولى حيث تتحول الملكيات الخاصة إلى ملكيات مشاعة^(١) - كما سبق بيان ذلك ..

٢ - نقد نظرية نزع الملكية الخاصة:

لقد رأينا أنَّ الماركسيين يدعون أنَّ الملكية الخاصة هي أُمُّ الشرور وأساس البلاء والفساد الذي تجسد في النظام الرأسمالي، كما يدعون أنَّ حبَّ التملك ليس غريزة فطرية في الإنسان، وإنما هو مجرد صفة اكتسبها الإنسان في ما بعد من الظروف الاجتماعية التي نشأت في ظلِّ مجتمعات العبودية والإقطاع والرأسمالية... ولذلك، لا بدَّ من انتزاعها والقضاء عليها...

وإذا ما وضعنا هذا المبدأ على مقياس العلم الذي يؤمنون به نجد أنه لا يصمد أمامه. فقد اتفق علماء النفس على أنَّ غريزة حبَّ التملك هي التي تتفرع عنها غرائز الملكية والحب والخوف والكره والبغض واللذة والألم وغيرها من الغرائز الفطرية في الإنسان^(٢).

وإذا ما وضعنا مبدأهم على محك الواقع نجد أنه أيضاً معارضًا للواقع الذي يعيشه الإنسان منذ أول مراحله في الحياة.

(١) انظر: حوار مع الشيوعيين، ص ٢٢.

(٢) انظر: انهيار الشيوعية، ص ٢٠٧ وما بعدها.

إنَّ الطفَل الصَّغِيرُ الَّذِي لَمْ يَتَعَلَّمْ شَيْئاً مِنْ اِتَّجَاهٍ بَعْدَ
يَحَاوِلُ دَائِماً أَنْ يَمْتَلِكَ أَمْهُ، لَأَنَّهُ يَرَى فِيهَا الْمُحَافَظَةَ عَلَى ذَاتِهِ،
فَهُوَ لَا يَرِيدُ أَنْ يَأْخُذَهَا مِنْهُ أَحَدٌ، وَيَبْكِي حِينَمَا يَبْعَدُ عَنْهَا، فَمَنْ
الَّذِي عَلِمَ هَذَا الطَّفَلُ غَرِيزَةُ حُبِّ التَّمْلِكِ، وَلِمَاذَا يَرْتَبِطُ الطَّفَلُ
هَذَا الْإِرْتِبَاطُ بِأَمْهُ؟ أَلِيَسْ هِيَ الْفَطْرَةُ الَّتِي فَطَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا؟

وَلِتَنْتَرِ إِلَى عَالَمِ الْحَيَّانِ وَهُوَ يَحْفَظُ عَلَى ذَاتِهِ مِنَ الْهَلاَكِ
فَيَبْحَثُ لِنَفْسِهِ عَنْ طَعَامٍ وَيَخْزُنُ طَعَامَ الشَّتَاءِ إِلَى الصِّيفِ فِي
مَخَازِنِهِ كَمَا يَفْعُلُ النَّمَلُ، وَكَذَلِكَ اِتَّخَادُ الْحَيَّانَاتِ وَالْطَّيْورَ لِهَا
أُمْكَنَةً وَبِيَوْتَأْ تَأْوِي إِلَيْهَا.

إِذَا فَالْكَائِنَاتُ الْحَيَّةُ عَلَى اِخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا قَدْ خَلَقَهَا اللَّهُ
تَعَالَى وَزَوَّدَهَا بِالْغَرَائِزِ الْفَطَرِيَّةِ الَّتِي تَمْكِنُهَا مِنَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى
حَيَاتِهَا، فَ«رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَنَا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى»^(١).

وَاسْتِدَالَالُّ كَارِلُ مَارْكُسُ عَلَى دُعَوَاهُ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ الْبَدَائِيَّ لَا
يَعْرُفُ الْمُلْكِيَّةَ الْفَرَديَّةَ، حِيثُ كَانَتِ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا مَشَاعِراً بَيْنَ
الْجَمِيعِ، إِنَّمَا اِسْتِدَالَالُ بَاطِلٌ لَا يَثْبِتُ أَمَامَ الْعِلْمِ وَالْوَاقِعِ، وَفِيهِ
نُوعٌ مِنَ الْمَغَالِطَةِ.

وَنَحْنُ نَتْسَاءِلُ؟ مَا الْأَشْيَاءُ الَّتِي كَانَتْ قَابِلَةً لِلِّامْتَلَاكِ وَلَمْ
يَمْتَلِكْهَا الْإِنْسَانُ الْبَدَائِيُّ؟ أَهِيَ قَطْعَةُ الْحَجَرِ الَّتِي سَنَّهَا إِنْسَانٌ
عَلَى هِيَةِ سَكِينٍ لِكِي يَقْطِعُ بِهَا ذَبِيْحَتَهُ أَوْ صَيْدَهُ؟ وَمَا نَفْعُهَا لِمَنْ
يَمْلِكُهَا وَالْأَرْضُ مَلِيَّةٌ بِالْأَحْجَارِ؟ وَمَعَ ذَلِكَ فَمَنْ الَّذِي أَدْرَى
مَارْكُسُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ كُلُّ إِنْسَانٍ يَمْتَلِكُ آتَهُ أَوْ حَاجَتَهُ الْخَاصَّةُ بِهِ؟

(١) ط: ٥٠

وهل ثبت لماركس أنه لم يحدث نزاع قط على ملكية شيء في المجتمعات البدائية؟

قطعاً لا يستطيع الشيوعيون أن يجيبونا بنعم !!
وإلاً كان قولهم بغير دليل ولا برهان، لأنهم لم يشاهدوا تلك المجتمعات ولم يعيشوها، وكل كلامهم عنها قائم على أساس قياس بعض المجتمعات البدائية في القرن التاسع عشر أو العشرين على المجتمعات البدائية الأولى وهو قياس مع الفارق ..

ومع ذلك، فقد أثبتت الأبحاث العلمية على المجتمعات البدائية كذب كل ما ادعاه ماركس في مسألة الملكية؛ حيث أكدت تلك الأبحاث على أنه لم يخلُ عهد من العهود الإنسانية من الملكية الخاصة لوسيلة من وسائل الإنتاج، وذلك كالأحجار التي تتخذ منها وسائل كبديل عن الكبريت والسكين، وكتملك الأسماك والغابات المليئة بالفواكه وامتلاك الإنسان ل حاجاته الضرورية من الملبس والمسكن والمأوى ..^(١).

وأما ما أضافه الشيوعيون إلى الملكية الخاصة من شرور ومايس أدى إليها النظام الرأسمالي من استغلال لجهود العمال واحتياج واستعمار وغير ذلك، فلم يكن سببها غريزة الملكية وإنما كان سببها انحراف الإنسان عن منهج الله. والإنسان المنحرف هو المنحرف سواء كان يعيش في ظل نظام الملكية الخاصة أو الملكية العامة.

وأما مبدأ التأميم وتحويل الملكيات الخاصة إلى ملكيات

(١) انظر: الشيوعية والإنسانية للعقاد، ص ١٢٨، وانهيار الشيوعية، ص ٢٠٧ -

عامة فما هو إلا صورة جديدة من صور الملكيات الخاصة المغلفة بغلاف الاشتراكية، أو هو نوع من التحايل، وليس إلغاء للملكية من حيث هي، وإنما انتقلت من أيدي أصحابها الشرعيين إلى هيئة اعتبارية لا وجود لها هي: «كل أفراد المجتمع» أو «الدولة» أو «الجماعة»^(١).

فالتأمين إذاً هو عبارة عن سلب الملكيات الخاصة من الرأسماليين ووضعها تحت يد الطبقة الحاكمة..

أما نتائج التأمين فهي:

١ - اللامبالاة.

٢ - عدم الإحساس بالمسؤولية.

٣ - ظهور الخيانات.

٤ - الإثراء الفاحش على حساب الممتلكات العامة.

٥ - ظهور الرشوة... والفساد الإداري وسقوط القيم واستغلال النفوذ. إلى غير ذلك مما تناقله وكالات الأنباء من داخل المجتمعات الشيوعية.

لذلك، تراجعت روسيا عن مصادرة حق الملكية مصادرة مطلقة، وسمحت بالملكيات للأشخاص الشخصية، وبعض المشاريع الإنتاجية الخاصة، وأخيراً تمزقت الماركسية تحت ضغط الواقع ود الواقعية الفطرة الإنسانية.

وإذا كانوا يعللون هذه التعديلات بأنَّ الماركسية مذهب

(١) حقائق الشيوعية، نهاد الغادري، ص.٨٨.

متتطور، فإنهم بذلك يهدمون الحتمية التاريخية التي نادى بها كارل ماركس وجعلها التفسير النهائي لحركة التاريخ التي ستتوقف عند التأمين العام لكل شيء^(١).

المطلب الثاني: نظريّة قيمة العمل ونقدّها

ويشتمل على ما يلي :

١ - تعريف نظريّة قيمة العمل :

يرى كارل ماركس أنَّ العامل هو وحده أساس الثروة من حيث إنَّ عمله فقط هو الذي يحدد قيمة السلعة، فالسلعة - في نظره - إنما تُحدَّد قيمتها على أساس كم العمل المبذول فيها. وهذه على فرض صحتها لا يُمْكِنُ أنْ تنطبق إلَّا بشرطين:

الأول: المنافسة الحرة وعدم الاحتكار لسلعة معينة.

الثاني: أنَّ تكون السلعة نتاجاً جماعياً، فلا يطبّق ذلك على المتوجات الفردية.. بصرف النظر عما يُذَلَّ فيها من عمل^(٢).

٢ - نقد نظريّة قيمة العمل :

أما عن نظريّة قيمة العمل فهي ليست بصحيحة لأنَّها تغفل كثيراً من العناصر التي تدخل في تحديد القيمة مع العمل ومنها:

١ - تكاليف الإنتاج.

٢ - مدى ما في السلعة من فائدة ومنفعة.

(١) انهيار الشيوعية، ص ٢١٤ - ٢١٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٢٠٣.

٣ - مدى إحساس المستهلك وشعوره بالحاجة إلى هذه السلعة.

٤ - مصادر الطاقة الطبيعية.

٥ - مدى ندرة السلعة أو وفرتها أو إقبال الناس عليها أو إعراضهم عنها.

وهناك عناصر كثيرة تدخل في تقويم السلعة، ولذلك نجد أنَّ السلعة التي ليس لها منفعة تملك قيمة تبادلية أقلَّ، أو لا يكون لها قيمة تبادلية على الإطلاق مهما أنفق على إنتاجها من عمل^(١).

فالسلع التي انتهى عهُدُها أو جاء ما هو أفضل منها كالملابس والأحذية ونحوها يتناقص سعرُها ويقلُّ أو ينعدمُ الطلبُ عليها، بينما يرتفع سعرُ سلع أخرى بذل فيها مثلاً بذلَ في السلع السابقة.

والكتاب المقرر للتدرис في بعض البلدان يُباع بما يعادل عشرة ريالات للطالب مثلاً، ولكنه لن يشتريه بما يعادل ريالاً واحداً إذا ما تقرر كتاب غيره.

فهل نقص العمل الذي بذل في تأليفه وطبعه وتحضيره شيءٌ من أجل ذلك التغيير في قيمته؟!

إذاً فهناك شيء آخر وراء العمل هو الذي يتحكم في قيمة

(١) المذاهب الاشتراكية، ص ٢١٩، وانهيار الشيوعية، ص ٢١٦.

السلعة، وهو الحاجة أو الطلب إلى هذه السلعة وأهميتها في ذاتها ومدى تفعها لفئة معينة من الناس.

ولذلك، نجد أنَّ هذه النظرية عاجزة عن تفسير كثير من الأمور منها:

- ١ - الأشياء التي لم ينفق فيها أي عمل، ومع ذلك لها قيمة كبيرة كالمصادر الطبيعية ومناجم الذهب والمعادن الثمينة.
- ٢ - لا تُفسِّرُ لنا السبب في أنَّ سلعة قد تفوق قيمتها سلعة أخرى مع تساويهما في العمل.
- ٣ - ولا تفسر لنا اتفاق بعض السلع في القيمة مع اختلاف قدر العمل المبذول فيها.

وليس معنى ذلك أننا نأخذ بنظرية المنفعة على علاتها أو بمفهومها المادي كما وضعها الرأسماليون حيث ربطوا القيمة بالمنفعة المادية فقط دون اعتبار للدين والنواحي الأخلاقية..

فالخمر - على سبيل المثال - لا يعتبر نافعاً ولا مفيداً على الرغم من وجود الراغبين فيه، كما أنَّ حاجات الإنسان ليست مادية فقط وإنما هناك أمور دينية وأخلاقية، فكثيراً ما يبذل الإنسان جهداً كبيراً لنيل الثواب عند الله تعالى..

من أجل هذا، فإنَّ قيمة السلعة لا يحدُّها كم العمل المطلوب فقط، ولا الرغبة فقط، وإنما هناك اعتبارات كثيرة أهمها القيم الدينية والأخلاقية وغيرها من الأمور التي أشرنا إليها^(١).

(١) انظر: انهيار الشيوعية، ص ٢١٧ - ٢١٨ بتصريف.

المطلب الثالث: نظريه فائض القيمة ونقدها

ويشتمل على ما يلي :

١ - تعريف نظرية فائض القيمة:

تُعدُّ نظرية فائض القيمة حجر الأساس في كلِّ الاقتصاد الماركسي، وقد أفرد لها كارل ماركس أكثر من نصف الجزء الأول من كتابه «رأس المال»^(١).

وخلالصَّ هذه النظرية: «أنَّ قيمة كلِّ سلعة إنما هي قيمة العمل الإنساني فيها.. ولكن العامل لا يأخذ هذه القيمة كلها، بل يأخذ منها مقدار ما يكفيه للمعيشة الضرورية وتذهبُ القيمة الفائضة إلى صاحب رأس المال بغير عمل»^(٢).

وتوضيح هذه النظرية أنَّ ماركس يعتبر العمل سلعة كأيِّ سلعة يشتريها صاحبُ رأس المال ثم يربحُ من ورائها ربحاً غير مشروع؛ فما دام العملُ وحده هو أساس القيمة فإذا لا بدَّ أنْ يعود العائد كله على العامل وحده، إلَّا أنَّ الواقع غير ذلك فصاحبُ رأس المال يعطي العامل أجرًا محدودًا عن يوم كامل ول يكن عشر ساعات مثلاً - بخمسين ريالاً - ثم يأخذ ناتج عمل اليوم ويبيعه بمائة وخمسين ريالاً، إذا فقد ربع مائة ريال أخذها من قيمة عمل العامل، بينما هي حق العامل

(١) المذاهب الاشتراكية، د. أحمد جامع، ص ٢٢٥.

(٢) الشيوعية والإنسانية في شريعة الإسلام للعقاد، ص ١٥٤.

وحده من حيث إن العمل هو أساس القيمة ولو لاه لما ربح الرأسمالي شيئاً.

إذاً فالعامل لا بد أن ينتج قيمة تزيد على أجرته، وهذه الزيادة هي التي يسميها كارل ماركس بفائض القيمة ويعتبرها المصدر العام والأساسي لأرباح الملاك والرأسماليين، ذلك لأنَّ الأجر الذي أخذه العامل لا يساوي أكثر من قيمة ثلاثة ساعات عمل مثلاً، وكان ذلك يكفيه للإنفاق على نفسه وأهل بيته إلا أنَّ صاحب العمل قد استغلَّ سبع ساعات أخرى هي الفرق بين قيمة ما بذل في السلعة من عمل وبين السعر الذي بيعت به في السوق.

وبناءً على ذلك، فالربح هو حقُّ للعامل وحده، وما رأس المال إلا سرقات متواتلة من جهود العمال وأوقاتهم^(١).

يقول ماركس: «إنَّ قيمة قوة العمل ليوم أو لاسبوع هي شيء مختلف تماماً عن قدرة هذه القوة على العمل ليوم أو لاسبوع، تماماً كما أنَّ الغذاء الذي يحتاجه الحصان والوقت الذي يستطيع فيه حمل صاحبه هما شيئاً مختلفان تماماً الاختلاف..».

وهكذا يبدو واضحاً أنَّ فائض القيمة إنما يرجع إلى أنَّ الرأسمالي يجعل العامل يستغل جزءاً من الوقت لحسابه دون أن يدفع له أي مقابل عنه ويستولي لنفسه على القيمة التي ينتجهما العامل في هذا الجزء من الوقت». فماركس يرى أنَّ الرأسمالي

(١) انهيار الشيوعية، ص ٢٠٤ بتصرف.

لا يعطي العامل قيمة عمله كاملاً وإنما يعطيه جزءاً منه في صورة أجر، ويحتجز لنفسه بقية القيمة وهي التي يسميها فائض القيمة ويعتبرها اغتصاباً، وعلى هذا يكون معدل فائض القيمة هو التعبير الدقيق عن درجة استغلال قوة العمل بواسطة رأس المال أو العامل بواسطة الرأسمالي^(١).

٢ - النتائج المترتبة على فائض القيمة عند ماركس:
وبناءً على نظرية فائض القيمة يضع كارل ماركس النتائج التالية:

أ - قانون تراكم رأس المال والبؤس المتزايد:

بعد أن يحصل الرأسمالي على هذه الأرباح يحاول أن يستغلها في اتساع مشاريعه وأعماله من أجل مزيد من الإنتاج والربح، فيحدث وسائل الإنتاج ويطورها ويحل الآلة محل العمال حتى يستطيع أن يقف أمام المنتجين، ويحاول أن يصمد لمنافسة السوق مما يؤدي إلى القضاء على أصحاب المشاريع البسيطة التي تعتمد على الآلات القديمة والأعمال اليدوية، بل ويتحول أصحابها إلى عمال عند الرأسمالي الذي يحاول دائماً أن يربح السوق، فتموت المشاريع التي لا تصمد للمنافسة، وباحتلال الآلة محل العامل، يخفيض الرأسمالي أجور العمال ويستغني عن كثير منهم.

وهكذا فتزايُد رؤوس الأموال في أيدي الرأسماليين يقابله تزايد في البؤس والفقر بين العمال حيث تقل أجورهم ويُستغني

(١) المذاهب الاشتراكية لأحمد جامع، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

عنهم ويُوجَد ما يسمى باحتياطي جيش العمال أو الفائض النسبي من العمال^(١).

ب - اتجاه الرأسمالية إلى الاستعمار:

ويقول كارل ماركس بأنَّ الأمر لا يقف عند حد الاستغلال الداخلي بل يحاول الرأسماليون البحث عن أسواق جديدة لتصريف منتجاتهم فتتشكل ظاهرة الاستعمار من أجل السيطرة على المواد الخام، ثم إعادة تسويقها في هذه البلاد، مما يجعل الاستعمار نتيجة ضرورية من نتائج النظام الرأسمالي...^(٢).

ج - الانفجار الثوري العمالي:

ويقول كارل ماركس بأنه نتيجة لسرقة جهود العمال وتعطيلهم وتجميدهم بخفض أجورهم، فإنهم يشعرون بالظلم الواقع عليهم فيحقدون على الرأسماليين ويفكررون في الانتقام منهم فينظمون أنفسهم.. حتى تحين اللحظة المناسبة فيقومون بثورتهم العارمة ويسحقون الرأساليين ويريقون دماءهم ويتزعون منهم ملكية رؤوس الأموال ويقيمون المجتمع الاشتراكي الشيوعي^(٣).

٣ - نقد نظرية فائض القيمة:

وأما نظرية فائض القيمة فهي قائمة على أساس نظرية قيمة العمل، والتي بيناً مدى ضعفها وعجزها عن تبرير وجهة نظر

(١) انهيار الشيوعية، ص ٢٠٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٠٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٠٦.

كارل ماركس، ولا شك أنَّ انهيار نظرية قيمة العمل يؤدي إلى انهيار نظرية فائض القيمة التي قامت عليها.

ودعوى كارل ماركس بأنَّ فائض القيمة من حق العامل فقط هو ادعاء لا يقوم على أساس من العدل والمنطق والواقع؛ إذ أنه يغفل في الوقت ذاته مجهودات رب العمل، وأمواله وألاته، وتحطيمه وإشرافه، وتسويقه للسلعة وتحمُّله خسارات السوق المحتملة والكوارث المتوقعة، أفلًا يستحق بعد ذلك جزءاً من فائض القيمة بعد أن يكون قد أعطى العامل أجراه المتفق عليه؟

إذا فالربح حق مشروع لصاحب المال وليس سرقات متواتلة كما ادعى كارل ماركس، وبناء عليه فلا مبرر للتناقض ولا الإثارة ولا الصراع الذي حاول ماركس أنْ يدفع العمال إليه بتضليلهم بمفاهيم خاطئة ونظريات باطلة.

وماركس يعلم تمام العلم أنَّ نظريته باطلة ومعارضة للواقع، ولكن هذا لا يعنيه، وكل ما يعنيه هو إثارة العمال بإفهامهم أنَّ العمل وحده هو أساس القيمة، وأنه لولاهم، لتوقفت الحياة، وأنَّ أموال الأغنياء هي من دمائهم وعرقهم، وذلك بهدف قيامهم بالثورة الغوغائية..

وهكذا تبدو نظرية كارل ماركس في القيمة وفائض القيمة أساساً للنظرية الماركسية بصفة عامة، وهي في الوقت ذاته نقطة الضعف «ومقتل المذهب الماركسي في جملته»^(١).

وبالتالي يصبح قانون تراكم رأس المال وتزايد الفقر والبؤس

(١) انظر: الشيوعية والإنسانية للعقاد، ص ١٥٤، وانهيار الشيوعية، ص ٢١٩.

قوانين بعيدة عن الواقع، وحتى إنْ حدثت فليست الملكية الخاصة هي سببها، وإنما سببها النظرية المادية البعثة التي يقوم عليها الاقتصاد الرأسمالي وهي نفس النظرية التي يدعوا إليها ماركس، وكلاهما يقوم على الاستغلال الجشع والظلم.

ولنا أنْ نسأل الآن.. الماركسيين أين ذهب فائض القيمة في ظل التطبيق الشيوعي؟

هل ذهب بالفعل إلى العمال أم أنه قد ذهب إلى جيوب أعضاء الحزب الشيوعي ومن يدورون في فلكهم؟ ..

إنه من المعلوم أنَّ فائض القيمة قد تحول إلى مربع خاص لطبقة معينة من طبقات المجتمع الشيوعي، فضلاً عن جيش الموظفين، من البائع إلى المتعهد، إلى مدير الجمعية الاستهلاكية، وأما طبقة العمال الكادحين التي تمثل جمهور الشعب فقد ازدادت فقراً على فقرها وساعات حالتها، حيث عاشت تحت مستوى خط الفقر مأكلًا ومشربًا ومسكناً، لا تتعدي أجورها الروبلات^(١) المعدودة، ولا تأكل أكثر من الخبز الأسود والسمك المجفف طبقاً لرؤيه شاهد عيان هو «أندريه جيد»^(٢).

وهكذا نجد أنَّ الشيوعية دائماً تَعِدُ العمال وال فلاحين

(١) الروبل: وحدة النقد الروسية في اتحاد الجمهوريات السوفيتية - سابقاً - والروبل إما من الذهب أو من الفضة أو من الورق. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، ٨٨٦/١.

(٢) أندريه جيد (١٨٦٩ - ١٩٥١) كاتب فرنسي، من أشهر كتاب القصة المعاصرين، ومن رواد الفكر الحر في فرنسا، أنشأ المجلة الفرنسية الجديدة، وله عدة روايات مشهورة، الموسوعة الميسرة، ٦٧٦/١.

(٣) الإسلام في وجه الزحف الأحمر، ص ١٠٠.

بمستقبل أفضل ويفيد أحسن ولا يأتي الغد دائمًا إلا بمزيد من
البؤس والفقر والحرمان، حتى انهارت الشيوعية مؤخرًا كما هو
معلوم.

وأما النتيجة الثانية التي جعلها كارل ماركس مسببةً عن
الملكية الخاصة وفائض القيمة وهي اتجاه النظام الرأسمالي إلى
الاستعمار، فهي في الواقع ليست مسببةً عن الملكية الخاصة،
 وإنما عن سبب آخر هو الفكر المادي البحث الذي يحكم النظام
الرأسمالي مما جعله يبحث عن الربح من أي طريق، وبما أنَّ
الفكر المادي هو جوهر النظرية الماركسيَّة - التي لا تضع أي
اعتبار للقيم الأخلاقية - فإنه لا بدَّ أن يكون الاستعمار والاستغلال
نتيجة طبيعية من نتائج تطبيقها.

وقد مثلَّت روسيا الشيوعية الاستعمار بكل صوره القبيحة،
فقد مثلَّت الاستعمار الاستيطاني، حيث استعمرت ما يقرب من
سبعة ملايين كلم من مساحة العالم الإسلامي . . .

ومثلَّت الاستعمار الإمبريالي^(١) الذي يعتمد على سياسة
الهيمنة والسيطرة في أبشع صوره وأشكاله، وذلك مثلما ما حدث
في المجر حين أرادت لنفسها الخلاص من النظام الشيوعي،

(١) الإمبريالية: بمفهومها الحديث تعتبر صورة من الاستعمار التقليدي، تلجم إلية الدول الاستعمارية القديمة والدول الرأسمالية لبسط سيطرتها السياسية والاقتصادية على الدول النامية عن طريق المنح والقروض وتصدير رؤوس الأموال الأجنبية مع خفض أسعار منتجاتها من الخامات وبالتالي خفض مستوى المعيشة فيها وزيادة العجز المالي في ميزانياتها... انظر: القاموس السياسي، أحمد عطية الله، ص ١١٧، الطبعة ٣، دار النهضة العربية، القاهرة.

فأعادته مرة ثانية قوة موسكو بالسلاح، وأما عن الهيمنة الشيوعية فكما حدث في أثيوبيا وال مجر وبلغاريا وألمانيا الشرقية وغيرها من البلدان التي فرضت عليها روسيا شيوعيتها^(١).

أما عن التسليمة الأخيرة وهي الانفجار الثوري الدموي فضلاً عن أنها ليست هي الحل الوحيد لمشكلة استغلال العمال، فهي لا تؤدي إلى الهدف الذي قامت من أجله وأسالت دماء الأبرياء، وانتزعت منهم أملاكهم التي كونوها بعرقهم.

يقول الماركسي الاقتصادي (فارغا): «إنَّ المبدأ النظري للاشتراكية «من كلٍّ فرد حسب إمكاناته ولكلٍّ فرد حسب عمله» قد أفسد منذ فترة طويلة؛ فعمل المواطنين العاديين لا يكفي كما يجب، ولو أنهم أظهروا كفاءات غير عادلة. وقاموا بمهامهم على أفضل شكل. وبعكس ذلك فإنَّ عمل أصحاب الامتيازات يكفي بسهولة، وأحياناً بتبذير حتى ولو أنهم لم يظهروا أية كفاءة خاصة، أو أنهم كانوا مخربين بمظاهرهم ومعاملتهم الورقية البiero-قراطية^(٢). وقد أوجد هذا كله تضارباً في حياة مجتمعنا»^(٣).

(١) انهيار الشيوعية، ص ٢٢٧، بتصريف.

(٢) بiero-قراطية: اصطلاح سياسي يقصد به نظام الحكم الذي يتمثل في دولة تدير شؤونها طبقة من كبار الموظفين، وهي مشتقة من اللفظ الفرنسي بiero بمعنى مكتب، واللفظ اليوناني كراتين بمعنى يحكم، وقد استُخدمت في بادي الأمر في مقام السخرية تشبيهاً بكلمة ديمقراطية وأرستقراطية وكليهما من أصل يوناني. انظر: القاموس السياسي، أحمد عطيه الله، ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٣) الاشتراكية في التطبيق، ص ١٠٥، وانهيار الشيوعية، ص ٢٢٧.

وهكذا يتبيّن لنا خطأ نظرية فائض القيمة من حيث الأساس الذي قامت عليه - وهو العمل في القيمة - وما ترتب على الخطأ يكون خاطئاً كذلك.

«ولا يعني بطلان نظرية فائض القيمة أنَّ استغلال الرأسمالي للعامل غير موجود، بل إنه يعني عجز هذه النظرية وجميع المبادئ الشيوعية المتعلقة بالتعامل بين صاحب رأس المال والعامل عن تقديم التفسير العلمي الصحيح لهذا الاستغلال»^(١).

أما التفسير العلمي لذلك والحلُّ الصحيح له فهو في شريعة الإسلام، قال تعالى: «وَأَخِذُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»^(٢).

وقال سبحانه: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ أَتَقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ»^(٣).

ويقول ﷺ في ما يرويه عن ربه عزَّ وجَلَّ:

«ثلاثة أنا خصمهم يوم القيمة، رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره»^(٤).

وقال ﷺ: «أعطوا الأجير أجراه قبل أن يجف عرقه»^(٥).

(١) المذاهب الاشتراكية، أحمد جامع، ص ٢٣٥.

(٢) البقرة: ١٩٥.

(٣) النحل: ١٢٨.

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ٤١٧/٤، كتاب البيوع، باب إثم من باع حراً رقم ٢٢٢٧، وسنن ابن ماجه ٨١٦/٢، كتاب الرهون، باب أجراً الأجراء، رقم ٢٤٤٢، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) سنن ابن ماجه ٨١٧/٢، كتاب الرهون، باب أجراً الأجراء، رقم ٢٤٤٣، ورواه الطبراني في الأوسط، انظر: مجمع الزوائد للهيثمي ٩٨/٤، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

وسيأتي إيضاح أهم معالم النظام الاقتصادي في الإسلام
وبيان المكاسب المشروعة والمكاسب المحرمة، ووسائل التكافل
الاجتماعي في الفصل العاشر.



الفصل التامن
 موقف الشيوعية من الدين
 والأخلاق والأسرة والحرية ونقده

المبحث الأول

موقف الشيوعية الماركسية من الدين

سبق أنْ بيَّنا أنَّ الماركسية تزعمُ أنَّه لا وجودَ إلَّا للمادة، وحَتَّى الروحُ والفكِّر والإحساسُ هُوَ مجرَّد انعكاساتٍ لها، وصورٍ من صورها، ومن هُنَا قالُوا: إنَّ اللهَ تعاليٌ غَيْر موجودٍ - تعاليٌ اللهُ عن قولِهم - ومن هُنَا فإنَّه من البَدِيْهي أنَّ تنكر الشيوعية الدين وتُكَفِّر بِعالَم الغَيْب ويُكَلِّ ما دعا إِلَيْه الأنبياء والرسُّل^(١).

ومن هُنَا يَقُول ماركس: «الدين هو زفَرَةُ الكائِنِ المُثقل بالآلم وروحُ عالَم لم تبقْ فِيه روحٌ، وفَكَرُ عالَم لم يبقْ فِيه فَكَرٌ، إنَّه أَفْيُونُ الشعوبِ، إِذَا فَنَّقَ الدِّينُ هُوَ الخطوةُ الأولى لِنَفَّذَ هَذَا الواديُ الغارقُ فِي الدَّمْوعِ»^(٢)

وهكذا أعلنتها الشيوعية حرباً سافرة على الأديان وعلى كلِّ ما يؤمن به المؤمنون من إِلَهٍ وحياةٍ آخِرَةٍ وحسابٍ وجنةٍ

(١) انظر: ص ٦١.

(٢) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، جمعة الخولي، ص ٢٠٤.

ونار؛ فهذا كله عندها من خرافات الأولين التي تولدت لتبير الإقطاع وخداع البسطاء والسذج وتخديرهم بالأمل في الآخرة حتى لا يطلبوا الإنصاف والنعم في الدنيا.

إلا أن الشيوعية: «قد تطيق الصبر على المسيحية ولا تطيق الصبر على الإسلام، إلا ريثما تحفظ له وتغل أيدي أتباعه عن المقاومة، لأن المسيحية تدع شؤون الدولة للدولة ولا تتعرض للنظم الاجتماعية أو لإقامة المجتمع على أساس جديد...»

أما الإسلام فهو دين التوحيد والعبادة الحقة لله عز وجل، ومن ضمن تشريعاته نظامه الاجتماعي الذي يحقق سعادة المجتمع؛ فالإسلام له منهجه في علاج المسائل التي تتصدى لها الشيوعية، وهو يواجه مشكلة الفقر بحلوله المتعددة، ولا يقصر مواجهتها على فرض الزكاة لمستحقها كما يظن البعض، ولكنه يقر الملكية الخاصة في حدود المشروع، ويبحث الناس على العمل بالتجارة أو الزراعة، وفي البيع والشراء، واستخراج المعادن من باطن الأرض، واستخراج الثروات المائية، والعمل بالصناعة بأنواعها، وهناك الميراث الذي لا يحصر تركة الميت بيد فرد أو أفراد بل يشترك فيه عدد كبير من أقرباء الميت.. والإسلام ينكر الإسراف والترف ويدعو إلى ترشيد الاستهلاك والإإنفاق، وينكر الاحتكار ويأبى أن تكون الأموال دولة بين الأغنياء، ويوفر حد الكفاية لكل فرد في المجتمع المسلم، إذا عجز عن تحقيق كفایته لظروف خارجة عن إرادته.

أما وسائل التكافل والتعاون الاجتماعي في الإسلام فهي كثيرة ومتعددة مما سنقف عليه في المبحث الثالث من الفصل العاشر من هذا البحث.

لذلك فلا يمكن أن يصدق على الإسلام قولهم إنه أفيون الشعوب لأنه: يأمر المسلم ألا ينسى نصيه من الدنيا ويحثه على رفع الظلم ومنع الشرور، ولا يترك لأي مخلوق أن يخرجه عن دينه أو يخضعه لغير معتقده، ولهذا حاربوه بكل وسيلة من وسائلهم الظاهرة والخفية. وخاصة ما يتعلق بأمور العقيدة، وذلك من أجل إضعاف المسلمين وتمزيق وحدتهم.

لذلك فقد سعت الشيوعية جاهدة بكل الوسائل للقضاء على الأديان - عدا الدين اليهودي - وبخاصة الدين الإسلامي في البلاد التي وضعت أقدامها فيها، ومارست شتى وسائل الضغوط لتحقيق أهدافها، فأغلقت المساجد والكنائس، وأعدمت العلماء المسلمين ورجال الدين النصراني. وقتلت الملايين من المسلمين وغيرهم، وشتّت الملايين عن ديارهم وأهلهم... كما فرضت روسيا - بيان حكم الشيوعيين لها - الإلحاد على شعبها، وعلى الشعوب التي تسير في فلكها، ومنعت تدريس الدين في المدارس، وفرضت عقوبات السجن على كل من ينشر تعاليم الدين بين من هم دون سن البلوغ. وهذا أمر معلوم لمن له اهتمام بهذا الأمر.

وسبب محاربة الشيوعية للدين يعود إلى ما يلي :

١ - النفسية اليهودية التي تسعى جاهدة إلى تحقيق استعلاء شعب الله المختار - على زعمهم ..

٢ - جاءت الشيوعية بوصفها عقيدة أو ديناً، يحل محل الأديان السابقة ويحتقرها، ويناهضها بالدعوة إلى الإلحاد والمادية التي تنكر وجود الله تعالى ورسله وعالم الغيب.

وقد شتّت الشيوعية حملةً فكريةً على الأديان، فقد وصفوا

الدين بأنه مُخترعٌ بشرىٌّ، وأنَّ الإنسان هو الذي طوَّر هذا الدين، وأنَّ الدين مخدَّر للشعوب، وقالوا بأنَّ الدين يشوِّه نظرَ الإنسان إلى العالم. وبناءً على ذلك قالوا إنَّ المتدين رجعي متخلَّف جاهل، وإنَّ الملحد تقدمي متتحرر وذلك حتى يبرُّوا حربهم على الأديان وأتباعها^(١).

والآن إلى بيان بعض هذه المفتريات والردُّ عليها:



(١) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٤٨٢ - ٤٨٣. بتصرف.



المبحث الثاني

بعض مفتريات الشيوعية على الدين والرد عليها

أولاً: كون الدين مُخترعاً بشرياً:

يفسّر الماركسيون الذين تفسيراً مادياً، وقالوا إنَّ الدين نشأ نتيجة لعجز الإنسان القديم وإحساسه بالضعف بين يدي الطبيعة وقوتها، وجهله بأسرارها وقوانينها.

١ - فمرة زعموا أنَّ الطبقات المضطهدة البائسة هي التي اخترعت الدين لنفسها.

٢ - ومرة يقولون: إنَّ الطبقات الحاكمة هي التي اخترعت الدين للطبقات المظلومة، كي تنسى مطالبها ودورها السياسي وتستسلم لواقعها السيئ^(١).

والشيوعيون لم يقدموا أي دليل على هذه الدعوى، وحسبنا لبيان فسادها أنْ نبيِّن ما يلي:

(١) انهيار الشيوعية، ص ١٢١ - ١٢٢، موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٤٩٥.

١ - تقدّم معنا في نقد القول بالمادة، أنَّ المادة مخلوقة من مخلوقات الله تعالى، والكون وما فيه مخلوق له سبحانه وتعالى، خلقه بحكمته وإرادته، وكان من مقتضى حكمته سبحانه وتعالى أنَّ لا يترك خلقه هملاً دون رعاية وعناء، فgres في نفوسهم التدين والتوجيه إليه بالعبادة، لأنَّه خلقهم لعبادته، ثم أرسل إليهم رسلاً ليوجهوهم إذا انحرفو عن فطرته.

٢ - فطرة التدين وأصالته في البشرية:

إنَّ فكرة التدين من حيث هي غريزة أصيلة في فطرة الإنسان بغض النظر عن طريقة التدين:

أ - فالنفوس البشرية تكون ضالة حين لا تلتزم بشرع الله.
ب - وتكون مهتديَّة حين تسيرُ على هدى الله وشرعيه.
ولقد أودع الله تعالى في الفطرة البشرية التوجّه إليه من تلقاء ذاتها.

قال تعالى: «وَإِذَا أَخْذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِ ذُرْتُهُمْ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَّا سُنْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلْ شَهِدْنَا»^(١)

قال ابن كثير - رحمه الله -: (يخبر تعالى أنه استخرج ذريةبني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكتهم وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطّرهم على ذلك وجبلهم عليه...)^(٢).

وقال تعالى: «فَأَقْرَأْتَ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفُوا فِطَرْتَ اللَّهُ أَلَّقِ فَطَرَ

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) تفسير ابن كثير (٢٨٠/٢).

النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلٌ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الْبَيِّنُ وَلَذِكَ أَكْثَرُ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣٠^(١).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»^(٢) الحديث.

ولكن كثيراً ما يضلُّ الخلق في عبادتهم لله إما بالانحراف في معرفته، وذلك من خلال مفاهيم باطلة تتنافي مع ما دلت عليه النصوص من كمال الله المطلق، وإما بعبادة الله تعالى على غير ما شرع بالابتداع في عبادته سبحانه.

قال تعالى: ﴿أَلَا يَلَوَ الَّذِينَ الْخَالِصُونَ وَالَّذِينَ أَخْذُوا مِنْ دُونِهِ
أُولَئِكَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَ﴾^(٣).

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: (وقال قتادة في قوله تبارك وتعالى: ﴿أَلَا يَلَوَ الَّذِينَ الْخَالِصُونَ﴾ شهادة أن لا إله إلا الله. ثم أخبر عز وجل عن عباد الأصنام من المشركين أنهم يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَ﴾ أي إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم، فعبدوا تلك الصور تنزيلاً لذلك منزلة عبادتهم الملائكة، ليشفعوا لهم عند الله تعالى في نصرهم ورزقهم

(١) الروم: ٣٠.

(٢) صحيح البخاري بشرح الفتح (٢١٩/٣)، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، ومسلم (٢٠٤٧/٤)، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم (٢٦٥٨).

(٣) الزمر: ٣.

وما يتباهم من أمور الدنيا، فأمام المعاد فكانوا جاحدين له كافرين
^(١)
به).

أما قولهم: إنَّ الطبقات الضعيفة هي التي اخترعت الدين،
فباطل بالأدلة القاطعة التي أثبتت أنَّ الدين ليس وقفاً على طبقة
معينة، بل وُجِدَ الدين قبل وجود الطبقات.

وأما قولهم: إنَّ الطبقات الحاكمة هي التي اخترعت الأديان
للطبقة الكادحة المستغلة كي تنسى مطالبها ودورها السياسي
وتسسلم إلى واقعها السيئ، فباطل أيضاً؛ وذلك، لأنَّ أكثر أتباع
الأديان السماوية كانوا من الفقراء، ومن ذلك ما ذكره القرآن الكريم
من الحوار الذي دار بين نوح عليه السلام وبين قومه حين أمرهم
بعبادة الله وحده، قال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا
نَرَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوكُمْ بِأَدَى
الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ إِلَّا نَظَرْتُمُ كَذِيرَنَّ﴾^(٢).

بل إنَّ هذا الأمر كان من علامات النبوة في كل مراحل
تاريخها حتى إنَّ هرقل عظيم الروم حينما بلغه خبر رسالة
محمد ﷺ وأراد أنْ يتأكد من صحتها طرح عدة أسئلة على
أبي سفيان، منها هذا السؤال المهم: «فأشراف الناس يتبعونه أم
ضعفاؤهم؟»؟ فأجابه قائلاً: «بل ضعفاؤهم»، فقال: «إذاً فهونبي،
 فهو لاء هم أتباع الرسل»^(٣).

(١) تفسير ابن كثير، (٤٩/٤).

(٢) هود: ٢٧.

(٣) انظر: صحيح البخاري بشرح الفتح ١/٣٢، كتاب بدء الوحي، رقم
(٦)، ومسلم ٣/١٣٩٣، كتاب الجهاد، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل.
رقم (١٧٧٣).

ثانياً: يقرّ الماركسيون أنَّ الدين تأخر ظهوره في حياة الإنسان إلى عهد الإقطاع وذلك لتسوية النظام الإقطاعي .. يقولون: في المادية التاريخية وفي عصر الإقطاع سادت النظرة الدينية إلى التاريخ، أنها تولدت من السعي إلى تبرير النظام الإقطاعي وإيهام الجماهير بأنَّ مشيئة الآلهة هي التي فرضته وبأنَّ سيطرة الإقطاع والكنيسة تعتمد على مشيئة الله^(١).

والغرض من فكرة تطور الدين هو إنكار الله الواحد الأحد الذي أودع في فطرة الإنسان التدين، وبالتالي إنكار الوحي والرسول.

وتنطوي الفكرة على إيحاء خبيث هو: ما دام الدين قد تطور من الخرافة إلى عبادة الله الواحد، والإنسان هو الذي طور هذا الدين، فعلى هذا الأساس يكون الدين مُخترعاً بشرياً.

والقول بتطور الأديان خرافة لا تستند إلى دليل علمي؛ وذلك لأنَّ العلم لم يقطع بنوعية التدين عند الشعوب البدائية، وكلُّ المعلومات في ذلك ما هي إلَّا فروض وتخمينات، وإنَّ ما يجهله العلماء عن أحوال الأمم السابقة وديانتها أكثر مما يعلمونه عنها.

والحق الذي لا شكَّ فيه أنَّ التوحيد هو الأصل في الدين وأنَّ الشرك طارئ عليه؛ وذلك لأنَّ آدم أبا البشر عليه السلام كاننبياً موحداً على أنقى صور التوحيد وأصفاه، وأنه

(١) انظر في هذا: كتاب الدين، عبدالله دراز، ص ١١٣، وكتاب الله للعقاد، ص ١٣ وما بعدها، نقض أوهام المادية الجدلية، ص ٢٢٨، والاتجاهات الفكرية المعاصرة، د/ جمعة الخولي، ص ١٩٣.

عرف حقيقة التوحيد كاملة وطبيعة العلاقة بين الخالق والمخلوق، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيُنَّكُم مِّنْ هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدًى إِلَّا فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَّا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٢).

وآدم وذراته أمة، وقد كان آدم هو نذيرهم وبلغهم شريعة ربهم، وقد تلقى أبناءه هذه العقيدة وتوارثوها من بعده جيلاً بعد جيل، وتتابع الرسل كما هو معلوم، فكان نوح ثم هود وصالح وشعيب ومن بعدهم عليهم السلام حتى جاء خاتمهم محمد ﷺ فبني على نهج إخوانه من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام في الدعوة إلى الله تعالى. فالعقائد لا شأن لها بالتطور، والدين بدأ وحياً من عند الله، وإذا كان ثمة انحراف عن الأصل في تاريخ البشرية فذلك على حين فترة من الرسل حتى أكمل الله الدين وأتم النعمة على يد خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، فتوحيد الله سبحانه وإفراده بالعبادة هو دعوة الأنبياء جميعاً.

ثالثاً: كون الدين مخدّر:

ويزعم الماركسيون أنَّ الدين مخدّر، ابتدعه الطغاة ليعتمدوا عليه في تحقيق سيطرتهم على الضعفاء والفقراء والمحروميين، ومن شأن هذا الدين على أساس نظرتهم أنْ يعجز أتباعه عن كل عمل منتج، وأنْ يبعد بهم عن المطالبة بحقوقهم وإنصاف أنفسهم من المستغلين.

(١) طه: ١٢٣.

(٢) فاطر: ٢٤.

والدارس لكتبهم وفکرهم يلاحظ أنهم يعتبرون جميع الأديان - إلا اليهودية - مخدرا لأن الشيوعية وسيلة من وسائل اليهود التي يستخدمونها في سبيل القضاء على الأديان والأخلاق، وإفساد المجتمعات وزعزعة اقتصادياتها حتى يتحقق اليهود حلمهم الأكبر يوم تصبح البشرية خاضعة ذليلة لهم، تخدم شعبهم المختار، ولكن الله لهم بالمرصاد^(١).

والواقع أنَّ ماركس لم يستقر في جميع الأديان، ولم يدرس مبادئها وتاريخها، وإنما اكتفى بدراسة معينة في فترة معينة، ثم أطلق الحكم عليها جميعاً بأنها كانت مخدراً.

والذي يبدو أنَّ الحالة الوحيدة التي اقتصر عليها ماركس في دراسته للدين هي حالة العصور الوسطى في أوروبا، حين امتزجت العقيدة النصرانية بعد التحرير بأفكار الأفلاطونية الحديثة على يد أساتذة مدرسة الإسكندرية.

ولو أنَّ ماركس اكتفى بالحكم على هذا الدين المحرف في هذه الفترة القاسية من حياة النصرانية لكان معظم ما قاله صحيحاً، وأما أنَّ يعمم حكمه على الأديان الصحيحة كاليهودية والنصرانية قبل التحرير، والدين الإسلامي على وجه الخصوص، فهذا أمر لا يتفق والمنهج العلمي السليم.

إنَّ مبادئ الإسلام وواقعه التاريخي يرفضُ أيَّ اتهام له بأنه كان في أي مرحلة من مراحله أفيوناً للمسلمين. وإليكم هذه النماذج من أصول الإسلام وتاريخه التي تنسف خرافة الأفيون من أساسها:

(١) موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٥٠٣ - ٥٠٤.

١ - أرسل الله عزّ وجلّ نبيه محمدًا ﷺ برسالة الإسلام، وقد لقيت هذه الدعوة في بداية أمرها مقاومةً عنيفةً من الكفار والمشركين، ولكن المسلمين الذين حملوا علم الدعوة في بداية الأمر صبروا وصابروا وقاتلوا وقتلوا في سبيل الله حتى تحقق لهم النصر ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

فأين الأفيون في الإسلام الذي رفض من أتباعه من أول يوم أن يخلدو للراحة والكسل، كما رفض أن يصرُّوا على الشرك والكفر والمنكر والأذى؟ بل إنه طلب منهم أن ينشرووا دعوة الله بين الناس، بعزيمة صادقة، ونية مخلصة لله عزّ وجلّ.

٢ - وأين الأفيون في الإسلام الذي طلب من المسلم أن لا ينسى نصيه من الدنيا وأن يأخذ من طيباتها؟

قال تعالى: **﴿وَابْتَغِ فِيمَا مَاتَنَكَ اللَّهُ الْدَّارُ الْآخِرَةُ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾**^(١).

وقال تعالى: **﴿قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْجَ لِعِبَادِهِ وَالظَّبَابُ مِنَ الْرِّزْقِ﴾**^(٢).

٣ - وأين الأفيون في الإسلام وتشريعاته الاقتصادية التي - تلائم فطرة الإنسان - لم يُسبق إليها، لأنها من الله العزيز الحكيم، هذه التشريعات التي حرمـت الربا وهو أساس اقتصاد الرأسمالية المعاصرة والاحتـكار والغش والاستغلال، وكل ضروب الجشع والطمع والسلب والنهـب، على الرغم من أنها كانت تذر

(١) القصص: ٧٧.

(٢) الأعراف: ٣٢.

أرباحاً طائلة على كثير من الأغنياء والمرابين قبل الإسلام في مكة وغيرها. وصار هذا التحرير شرعاً عاماً صالحًا للتطبيق في كل زمان ومكان حتى يرث الله الأرض ومن عليها؟

٤ - وأين الأفيون في الإسلام، وقد حرم الترف على الأغنياء والفقراء، وعلى الأسياد والأرقاء، وقد كانت التفرقة في الحدود بين الناس من أشدّ ما حظر رسول الله ﷺ وحذّر منه، كما جاء في حديث المخزومية التي سرقت. ولفظه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت امرأة مخزومية تستعير المتعاض وتجده، فامر النبي ﷺ أن تقطع يدها، فأتى أهلها أسامة بن زيد فكلم رسول الله ﷺ فيها، فقال رسول الله ﷺ: «يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله» ثم قام فاختطب، فقال: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»^(١).

إلى غير ذلك من الأدلة والبراهين التي تبيّن بأنّ الدين الإسلامي لم يكن في أي يوم من الأيام أفيوناً للمسلمين^(٢).

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٨٧/١٢)، كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، رقم ٦٧٨٨، مسلم ١٣١٦/٣، كتاب الحدود باب قطع السارق الشريف وغيره، رقم (١٦٨٨)، سنن أبي داود (٥٣٧/٤) كتاب الحدود، رقم ٤٣٧٣، والترمذى في الحدود (١٤٣٠)، وابن ماجه في الحدود رقم (٢٥٤٧)، والنمسائي في قطع السرقة، رقم (٤٩٠٥).

(٢) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٥٠٤ وما بعدها، وأفيون الشعوب للعقاد، ص ٦٥ بتصرف.

رابعاً: وقالوا: إنَّ الدِّينَ يشوهُ نظرَ الإِنْسَانِ إِلَى الْعَالَمِ، وَإِنَّهُ مَا لَا يُشَكُ فِيهِ أَنَّ الدِّينَ الْمُحَرَّفَ يشوهُ نظرَ الإِنْسَانِ إِلَى الْعَالَمِ، لِأَنَّ التَّحْرِيفَ تَدْخُلُ فِيهِ الْأَهْوَاءُ الشَّخْصِيَّةُ، وَالْأَطْمَاعُ الذَّاتِيَّةُ، وَالْبَدْعُ وَالْخَرَافَاتُ، وَهَذَا مَا حَدَثَ فَعْلًا فِي أُورُوبَا حِينَ شُوِّهَتِ الْكَنِيسَةُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَوِيَّةُ، وَكَرِهَتِ النَّاسُ بِهَا، وَفَرَضَتْ عَلَيْهِمْ أَنْظَمَةً وَبِدَعَةً تَخَالُفُ الْفَطَرَةَ الْبَشَرِيَّةَ وَحَارَبَتِ الْعِلْمَ وَأَحْرَقَتِ الْعُلَمَاءَ وَكَانَتِ الْجَهَالَةُ هِيَ السَّلاحُ الَّذِي تَسْيِطُ بِهِ^(١).

من هذه الفترة القاسية في حياة أوروبا استمدَّ كارل ماركس نظريته وأصدر حكمه على الأديان بأنها تشوّه نظرَ الإنسان للعالم، وهذا الحكم الباطل ينقضه تاريخ الإسلام وتعاليمه السامية وإليك البيان:

١ - إنَّ الْإِسْلَامَ - وَلِهِ الْحَمْدُ - لَمْ يَعْرِفْ التَّبْدِيلَ وَالتَّحْرِيفَ، بل إنَّ أَصْوَلَهُ ثَابِتَةٌ مَحْفُوظَةٌ بِحَفْظِ اللَّهِ تَعَالَى لَهَا.

قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَمْ لَحِظْنَاهُ﴾^(٢).

٢ - إنَّ الْإِسْلَامَ قد شجَّعَ الْعِلْمَ وَالْعُلَمَاءَ بِكُلِّ الْوَسَائِلِ الْمَادِيَّةِ وَالْمَعْنُوَيَّةِ، وَطَلَبَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَفَكَّرُوا فِي هَذَا الْكَوْنِ وَمَا فِيهِ مِنْ عَجَائِبِ الْمَخْلُوقَاتِ لِيُؤْمِنُوا بِاللهِ تَعَالَى عَنْ قَنَاعَةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتَلِفُ أَتَيْلِ وَأَنَّهَارِ لَأَيَّنَتِ لِأَوْلَى الْأَلْبَابِ﴾^(٣) الَّذِينَ يَذَكُّرُونَ اللَّهَ قِيمَتَهُ وَقُطْعَوْدًا وَعَلَى جُنُوِّبِهِمْ

(١) موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٥١٠.

(٢) الحجر: ٩.

وَنَفَّثُوهُ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِّلًا سَبِّحْنَاهُ
فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١﴾ ^(١).

٣ - حَتَّى الإِسْلَامُ أَتَبَاعُهُ عَلَى التَّوْكِلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي
جَمِيعِ الْأَمْوَرِ مَعَ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ الْمُبَاحَةِ، قَالَ تَعَالَى: «وَعَلَى اللَّهِ
فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ» ^(٢).
وَقَالَ سَبَّحَانَهُ: «وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ» ^(٣).

وَالرَّسُولُ ﷺ فِي حِرْبَهُ الطُّرِيلَةِ الْعَدِيدَةِ لَا يَخُوضُ مَعرِكَةً
حَتَّى يُعْدَ لَهَا عَدَتَهَا وَيَهْبِئَ لَهَا أَسْبَابَهَا، فَيَخْتَارُ حَتَّى مَكَانَ
الْمَعرِكَةِ، وَزَمَانَهَا؛ فَقَدْ أُثِيرَ عَنْهُ ^ﷺ أَنَّهُ كَانَ لَا يَشْنُ غَارَةَ فِي
الْحَرَّ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَبْرُدَ الْجَوَاءُ، وَيَتَلَطَّفَ الْهَوَاءُ مِنْ آخِرِ النَّهَارِ، بَعْدَ
أَنْ يَكُونَ قَدْ رَسَمَ خَطْطَهُ، وَنَظَمَ صَفَوفَهُ، وَإِذَا فَرَغَ مِنْ كُلِّ
الْأَسْبَابِ الْمَادِيَةِ الْمُطَلُّوَةِ لِنَجَاحِ الْمَعرِكَةِ رَفَعَ يَدِيهِ سَائِلًا اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ: «اللَّهُمَّ مَنْزَلُ الْكِتَابِ وَمَجْرِي السَّحَابِ وَهَازِمُ الْأَحْزَابِ
اهْزَمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ» ^(٤).

٤ - وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ^ﷺ يَكْثُرُ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ
بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجَزِ وَالْكَسْلِ، وَالْبَخْلِ وَالْجِنْ، وَضَلَّعِ
الْدِينِ وَغَلْبَةِ الرِّجَالِ» ^(٥).

(١) آل عمران: ١٩٠ - ١٩١.

(٢) المائدة: ٢٣.

(٣) التوبه: ٥١.

(٤) صحيح البخاري بشرح الفتح (١٠٦/٦)، كتاب الجهاد، رقم ٢٩٣٣.
ومسلم (١٣٦٣/٣) كتاب الجهاد، والسير رقم (١٧٤٢)، عن عبد الله بن
أبي أوفى رضي الله عنه.

(٥) صحيح البخاري بشرح الفتح (١٧٣/١١)، كتاب الدعوات رقم (٦٣٦٣)،
عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

٥ - كما أنَّ الإسلام لا يحتقرُ شيئاً من مطالب الفطرة البشرية؛ فلا يحتقر مطالب الجسد من أكل وشرب ولباس ونوم ونحوه ولا مطالب الجنس، ولا مطالب العقل، وإنما وجهها الوجهة السليمة، فلا إفراط ولا تفريط، والأدلة على هذا كثيرة ومحروفة.

فهل يصح بعد هذا أنْ يقال: إنَّ دين الإسلام يشوّه نظرة الإنسان إلى العالم؟!

سبحانك إنْ قولهم إلاَّ افتراء!



المبحث الثالث

موقف الشيوعية الماركسيّة من الأخلاق ونقدّه

إذا انهار الأساس تداعى البناء، وإذا كانت الماركسيّة لا تعترف بآله أو دين ولا بنبي ولا رسول فهل تنتظر منها بعد ذلك أن تعرف بخلق أو تؤمن بفضيلة؟

في الشيوعية لا وجود لشيء في برنامجهما عن القيم الدينية أو الأخلاقية على الإطلاق. يقول لينين: إننا ننكر بشدة جميع الأسس الأخلاقية التي صدرت عن طاقات وراء الطبيعية غير الإنسان، والتي لا تتفق مع أفكارنا.. ونؤكّد أنّ هذا مكر وخداع، وهو ستار على عقول الفلاحين والعمال لمصالح الاستعمار والإقطاع^(١).

فالشيوعيون لا يعترفون بمبادئ الأخلاق ولا القيم الثابتة في حياة الإنسان كالحق والعدل والصدق والأمانة والخير والوفاء بالعهد والطهر والعفة وغيرها من قيم الأخلاق الدينية.. بدعاوى

(١) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، د. جمعة الخولي، ص ٢٠٨.

أنها أخلاق رأسمالية، وبما أنَّ منهج الجدل عندهم يستلزم تغيير الحقائق، فإنَّهم قالوا بتغيير القيم الأخلاقية تبعاً لتطور العامل الاقتصادي، الذي هو في نظرهم العامل الوحيد المحدد لجميع الأوضاع السياسية والدينية والخلقية والفكرية، فهي غير ثابتة، وبالتالي فهي غير فطرية في النفس البشرية.

وقالوا: إنَّ المقاييس الأخلاقية تختلف من عصر إلى عصر ومن جماعة إلى جماعة تبعاً للظروف الاقتصادية^(١).

من هنا فالأخلاق الشيوعية العمالية يجب أن تقوم على أساس مصلحة الطبقة العمالية وحدها، فالكذب والغش والقتل وخلف الوعد ونحوها فضائل أخلاقية ما دامت تؤدي إلى خلق المجتمع البروليتاري وتحافظ على وجوده.

وتقوم الأخلاق الشيوعية على أساس المبدأ اليهودي الميكافيلي «الغاية تبرر الوسيلة»؛ ولا يجدون أدنى حرج في عمل كل ما ينافي الأخلاق من أجل مصالحهم الشخصية.

وليس للتكافل الاجتماعي أي وجود في ظل الشيوعية. لذلك تتسم العلاقات بين الناس في ظل الشيوعية بالبرود، واللامبالاة، وعدم التعاون والانعزالية والذاتية المفرطة^(٢).

نقد موقف الشيوعية الماركسية من الأخلاق:

١ - إنَّ الله سبحانه وتعالى قد أودع في مدارك العقول، وفي مشاعر الوجدان الفطرية ما تُذكر به مكارم الأخلاق

(١) انظر: الشيوعية والإنسانية، ٢٠٢ وما بعدها.

(٢) انظر: انهيار الشيوعية، ص ٣٣٩ - ٣٤١.

ورذائلها، وهذا ما يجعل الناس يشعرون بقبح العمل القبيح وينفرون منه، ويشعرون بحسن العمل الحسن ويرتاحون إليه؛ وبذلك يمدحون فاعل الخير، ويذمون فاعل الشر، وقد أرشدت النصوص من الكتاب والسنّة إلى وجود هذا الحس الأخلاقي في الضمائر الإنسانية، وأحالت المسلم إلى استفتاء قلبه في حكم السلوك الذي قد تميل نفسه إلى ممارسته.

قال الله تعالى: ﴿وَقَسِّيْسٌ وَمَا سَوَّنَهَا ۚ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَنَهَا ۚ فَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّنَهَا ۚ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّنَهَا ۚ﴾^(١).

قال ابن كثير - رحمه الله - عند قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَنَهَا ۚ﴾ أي فارشدتها إلى فجورها وتقواها أي بين ذلك لها وهداها ما قدر لها^(٢).

وقال سبحانه: ﴿بَلِ الْإِنْسُنُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرٌ ۚ وَلَوْ أَلْقَى مَعَادِيرَهُ ۚ﴾^(٣).

عن ابن عباس رضي الله عنهمما: ﴿بَلِ الْإِنْسُنُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرٌ ۚ﴾ يقول: سمعه وبصره ويديه ورجليه وجوارحه، وقال مجاهد: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَادِيرَهُ ۚ﴾ أي: ولو جادل عنها فهو بصير عليها^(٤).

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سألت

(١) الشمس: ٧ - ١٠.

(٢) تفسير ابن كثير، (٥٤٦/٤).

(٣) القيامة: ١٤ - ١٥.

(٤) تفسير الطبرى (٢٩ - ١٨٥)، وتفسir ابن كثير (٤٧٥/٤ - ٤٧٦).

رسول الله ﷺ عن البر والإثم؟ فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»^(١).

وقد جمع الرسول ﷺ في هذا الحديث فضائل الأخلاق تحت عنوان (البر) ورذائل الأخلاق تحت عنوان (الإثم).

قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - (قال العلماء: البر يكون بمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة وبمعنى الطاعة، وهذه الأمور هي مجتمع حسن الخلق، ومعنى حاك في صدرك أي تحرك فيه وتردد ولم ينشرح له الصدر وحصل في القلب منه الشك وخوف كونه ذنباً)^(٢).

٢ - كما أنَّ الله العليم الحكيم الذي خلق الإنسان وفطَّره على التمييز بين الخير والشر، لم يترك هذا المخلوق يعتمد على نفسه في رسم قواعد الأخلاق، وذلك لعجز الإنسان وقصوره الواضح.

بل سبحانه أرسل له الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بقواعد الأخلاق الثابتة التي لم تتغير على مدار التاريخ، فكلما انحرف الناس عنها ذكرهم بها الرسل ودعوهם من جديد إلى التزام بقواعدها.

وعلى هذا الأساس، فإنَّ مصدر الأخلاق مستمدٌ من

(١) صحيح مسلم (٤/١٩٨٠)، كتاب البر والصلة، باب تفسير البر والإثم، رقم (٢٥٥٣)، والترمذى (٤/٥٩٧)، كتاب الزهد، باب ما جاء في البر والإثم، رقم (٢٣٨٩).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١١١).

الدين، ولا يجوز بحال من الأحوال فصل الأخلاق عن منبعها الأصيل وهو الدين الصحيح.

٣ - إنَّ القيم الأخلاقية العليا ثابتة ثبات فطرة الإنسان وكيانه وجوده، وإنَّ تغيير البيانات والعصور لا يغير منها، فلا يمكن أن يكون العدل ظلماً أو الحق باطلأً أو الفضيلة رذيلة، فقد أعطى الإنسان الفطرة التي تميّز الخير من الشر، والعدل من الظلم، والتقوى من الفجور، وستظلُّ هذه القيم قائمة ما دامت الحياة.

أما قول الماديين: إنَّ الأخلاق تتطور تبعاً لتطور العامل الاقتصادي وإنَّ الأخلاق من اختراع الطبقات فباطلٌ للوجه التالية:

١ - فساد فكرة حتمية التطور كما فهمها الماديون والمتمثل في قوانين الجدل والمادية التاريخية وفائض القيمة والاعتماد الكلي على ما هو مادي فقط، وأنَّ ذلك كله تساقط أمام العلم الحديث، ولم تصمد واحدة منها أمام المناقشة العلمية.

٢ - العامل الاقتصادي ليس هو العامل الوحيد الفعال في كيان الإنسان. نعم إنَّ الأخلاق تتطور تبعاً لتطور العامل الاقتصادي حين يغيب شرع الله عن التطبيق، ويصبح التشريع بيد الأفراد، فالطاغوتُ الذي يضع قواعد الاقتصاد - لصالح طبقة معينة على حساب الآخرين - هو ذاته الذي يضع قواعد الأخلاق لصالح نفس الطبقة على حساب الناس الآخرين كذلك^(١).

(١) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٥٢٦ - ٥١٨ باختصار وتصرف.

ولدى التحليل يتبيّن لنا أنَّ أُسسَ الأخلاقِ عقليةً وفطريةً وجاذبيةً دينيةً، تدعو إلى الأخذ بها القاعدة الإيمانية في الإسلام، لكلٍّ ذلك فهي ربانية لأنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي منح العقول موازين إدراكتها، وأودع في الفطر الوجاذبية أحاسيسها ومشاعرها، وهو الذي أنزل على رسليه قواعد الإيمان وأحكام التشريع.

أما كون الأخلاق عقليةً فلأنَّ مكارمَ الأخلاقِ يؤيّدُها العقلُ السليم ويستحسنُها ويبحثُ عنها.. ولأنَّ رذائلَ الأخلاقِ يؤيدُ العقل السليم اجتنابها ويستحبُّها، ويبحثُ عنَّها على البعد عنها.

أما كونها فطريةً وجاذبيةً فلأنَّ في فطر الناس الوجاذبية ميلاً إلى مكارمَ الأخلاقِ، ورغبةً داخليةً بالتزامها وممارسة كلِّ سلوكٍ تدفعُ إليه، كما أنَّ في فطر الناس نفوراً من رذائلَ الأخلاقِ، ورغبةً داخليةً باجتنابها.

أما كونها دينيةً فلأنَّ القاعدة الإيمانية في الإسلام تلتزم بطاعة الله عزَّ وجلَّ في أوامره واجتناب نواهيه، وقد اشتملت أوامره سبحانه وتعالى ونواهيه ووصاياته على العمل بمكارمَ الأخلاقِ والبعد عن رذائلها، وقرنت ذلك بالثواب لمن أطاعَ، والوعيد بالعقاب لمن عصى^(١).



(١) الثقافة الإسلامية المستوى الأول، ص ١٩٩ - ٢٠٠، عبد الرحمن الميداني و محمد الغزالى، مطبوعات جامعة الملك عبدالعزيز.



المبحث الرابع

موقف الشيوعية الماركسيّة من الأسرة ونقدّه

يرى كارل ماركس أنَّ الأسرة في جوهرِها مسألة اقتصادية؛ بمعنى أنها تخضع للظواهر الاقتصادية السائدة، وترتبط بقوى الإنتاج ووسائله، بل ويُدعي أنَّ البشرية لم تعرف نظام الأسرة والزواج إلَّا في مرحلة متأخرة^(١).

والماركسيّة تعتبرُ الأسرة دعامة من دعامتين المجتمع البرجوازي، ونظاماً من نظم التخلف؛ ولذا، فلا معنى للإبقاء عليه^(٢)؛ وترى أنَّ الحبَّ الطليق ينبغي أنْ يأخذ مكان الزواج^(٣). يقول فريدرick إنجلز: «إنَّ الأسرة هي وضع من أوضاع المجتمع لا نضجٍ فيه ولا جدوى منه، ولا محل لاستبقاء هذا الوضع وتأييده إلَّا بالقدر الذي يلائم مصلحة الدولة»^(٤).

(١) انهيار الشيوعية، ص ٣٣٤.

(٢) الاتجاهات الفكرية المعاصرة، د. جمعة الخولي، ص ٢٠٩.

(٣) المذاهب المعاصرة، د. عبد الرحمن عميرة، ص ١٦٥.

(٤) انهيار الشيوعية، ص ٣٣٥.

ويقول الماركسيون: (إنَّ انتقال الأفراد إلى فكرة الملكية الفردية لوسائل الإنتاج هو الذي أوجد الحياة الأسرية باعتبار أنَّ الأسرة وحدة اجتماعية تساعد على وفرة الإنتاج). ومن هنا وقعت المرأةُ فريسة الاستغلال من جانب الرجل؛ ولكن عندما يتمُّ القضاء على نظام الملكية الفردية تتحررُ المرأة وتعود لها شخصيتها وتقومُ علاقتها بالرجل على أساس المعاشرة الاختيارية^(١).

وهم في ذلك «يشبهون الرجل بالبرجوازي والمرأة بالبروليتاري»^(٢)

جاء في الأبجدية الشيوعية - التي وضعها ماركس، والقوانين التي صدرت في روسيا بعد قيام الثورة... - ما يلي:

«حين يقولُ الوالدان: هذا ابني وتلك ابنتي، لا تعني هذه الكلمات وجود آصرة أبوية فحسب، بل توحى بأنَّ للأبدين حقاً في تربية أولادهم من وجهة نظرهم كما يريدون، والاشتراكية تأبى هذا الإقرار بهذا الحق للأباء، لأنَّ الفرد ليس ملكاً لنفسه ولكنه ملك للجماعة»^(٣).

وجاء في «البيان الشيوعي» الذي أعده ماركس وإنجلز: كل ما يمكن أن يهتم به الشيوعيون هو رغبتهم في إحلال شيوعية للنساء صريحة رسمية^(٤).

(١) المذاهب المعاصرة، ص ١٦٧.

(٢) موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٥٤٩.

(٣) انظر: المذاهب المعاصرة، عبد الرحمن عميرة، ص ١٦٥.

(٤) المذاهب الاشتراكية، د.أحمد جامع، ص ٢٩٤.

أما ما ينشأ عن هذه العلاقات الحيوانية من إنتاج وأولاد فسوف ترعاهم الدولة التي يتسبب إليها الجميع.

يصور إنجلز ذلك بقوله: «إنَّ تحويل وسائل الإنتاج إلى الملكية العامة يؤدِّي إلى أنْ تكف العائلة القائمة على نظام الزواج عن أنْ تكون هذه الوحدة الاقتصادية للمجتمع، وأنْ يتحول الاقتصاد المنزلي الخاص إلى صناعة اجتماعية، وأنْ تصبح تربية الأطفال وتعليمهم من الأمور العامة حتى يرعى المجتمع كافة الأطفال سواء كانوا شرعيين أو طبيعين»^(١).

وهكذا نجد أنَّ الأسرة في النظام الشيوعي تقوم على أسسٍ جديدة هي:

١ - رفض علاقة الزواج والسماح بالعلاقات البهيمية الشيوعية.

٢ - القضاء على العلاقات الأسرية، والحقوق والواجبات بين الزوج والزوجة.

٣ - عدم أحقيَّة الآباء في تربية أبنائهم، بل القضاء على غريزة الأبوة والبنوة.

كما نجد أنَّ الهدف من القضاء على نظام الأسرة يتلخص في ما يأتي:

أولاً: ترويج الزنا وإشاعة كلِّ العلاقات المحرمة بين الذكور والإثاث بحيث تتحقق شيوعية النساء كما تتحقق شيوعية الاقتصاد..

(١) المرجع السابق، ص ٢٩٣.

ثانياً: إحلال الحزب محل الأسرة؛ فالحزب في نظرهم هو العائلة الكبيرة التي ينبغي أن ينتمي إليها أولاد الزنا.. فالحزب هو الأم والأب لهم ..^(١).

نقد موقف الشيوعية من الأسرة:

إنَّ هذا السقوط الذي تريده الشيوعية في علاقة الرجال بالنساء لم نعثر عليه في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية، سواءً في ذلك المجتمعات البدائية أو المتحضر، الحاضرة منها والغابرة، والتي وقفتا على نظمها عن طريق ملاحظتها أو ملاحظة ما خلفته من آثار، أو عن طريق ما كتبه المؤرخون أو الرحالة أو علماء القانون وغيرهم.

أما منشئو المدن الخيالية الذين رأوا أن تسير مدنهم على هذا النظام مثل أفلاطون في «الجمهورية»، وكامبانيايلا في «مدينة الشمس»، فيدلنا التاريخ على أنَّ آراءهم بهذا الصدد كان يصيغها الإخفاق الممتهن، فلم تلق أي نجاح في مجتمعاتهم ولا في غير مجتمعاتهم، ويدلنا التاريخ كذلك على أنهم لم يستمدواها من نظم اجتماعية كانت موجودة في عصورهم أو انتهى إليها العالم بها عن طريق التاريخ، وإنما استمدوها من خيالهم وأرائهم الشخصية^(٢)...

وال مهم في الأمر أنَّ يد اليهود كان لها أثر كبير في إفساد

(١) انظر: انهيار الشيوعية، ص ٣٣٦ - ٣٣٧.

(٢) انظر في هذا: الأسرة والمجتمع، الدكتور علي عبدالواحد، ص ٩٢، ط ٦، نهضة مصر ١٣٨٦هـ، والاتجاهات الفكرية المعاصرة، د/ جمعة الخولي، ص ٢١١.

الأسرة والمرأة، فقدموا الثورة الصناعية بالأموال الربوية، وخططوا لافساد العمال بحرمانهم من الأجور العادلة، واتجهت المرأة للمعامل والمصانع تزاحم الرجال ولو كان على حساب دينها وعرضها - وإن كانت المرأة في بداية الأمر لا تقبل على العمل إلا للضرورة - وبالتدريج ألغت الاختلاط مع الرجال وزاحتهم على العمل.

وقد أدى علماء اليهود مهمتهم في تلوث البشرية، تنفيذاً لمخططات اليهود الرامية إلى إفساد الأديان وأخلاق الناس المستمدة منها. تقول تعاليم الماسونية السرية: «إنَّ الأمر الجوهرى في استمالة الناس إلى جماعتنا إنما هو إفراد الرجل عن عائلته وإفساد أخلاقه، فاجتذبوا واسحبوه، وإذا ما فصلتموه عن امرأته وأولاده وجسّتم له مشاق الواجبات الأهلية ومصاعب العيشة البيتية، رُغبوا إليه العيشة الحرة وانفثوا في قلبه السأم من الديانة»^(١).

وشجَّع اليهود الزواج المدني، وأنشأوا محافل ماسونية مختلطة لاجتذاب المرأة والقائهما في مهاوي الفساد والرذيلة... كما قال اليهود: إنَّ الأسرة بوضعها الذي استقرت عليه فترة طويلة من التاريخ كانت ضرورة اقتصادية..

«وهكذا نفت شياطين اليهود في روع المرأة وفي أفكار الناس، وأصبحت نظرياتهم في نظر المفتونين بها حقائق علمية لا تقبل النقاش»^(٢).

(١) جذور البلاء، ص ١٢٢.

(٢) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٥٦٢.

إنَّ الأُسْرَةَ نِظَامٌ فَطَرِيٌّ، وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحْوَاءُ كَانَا
أُولَئِكَ زَوْجِيْنَ مِنَ الْبَشَرِ.

وَالْأُسْرَةُ فِي الْإِسْلَامِ هِي السُّكُنُ الَّذِي يَأْنُسُ فِيهِ الْإِنْسَانُ،
وَيَجِدُ فِيهِ راحَتَهُ وَهَدوَءَهُ، وَهِيَ الْلِّبَنَةُ الْأُولَى فِي كِيَانِ الْمُجَمَعِ،
وَعَلَى أَسَاسِ سَلَامِهَا وَمَتَانَتِهَا يَكُونُ بَنَاءُ الْمُجَمَعِ.

وَقَدْ رَعَى الْإِسْلَامُ هَذِهِ الْلِّبَنَةَ وَاعْتَدَّ بِهَا، وَأَحاطَهَا بِشَتِّي
الْتَّشْرِيفَاتِ وَالْأَحْكَامِ الَّتِي تَحْفَظُ عَلَيْهَا بَقَاءَهَا وَاستِقْرَارَهَا وَاعْتَبَرَهَا
مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ ءَايَتِهِ أَنَّ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ
أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مُوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ﴾^(١)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ
مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَهُمْ وَحَفَدَةً وَرَزْقَكُمْ مِنَ
الْطَّيِّبَاتِ أَفَإِلَيْنِي مُؤْمِنُونَ وَيُنْعَمُ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾^(٢).

وَقَالَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُنَّ لِيَائِسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَائِسٌ لَهُنَّ﴾^(٣).

وَقَدْ شَرَعَ الْإِسْلَامُ رَابِطَةَ الزَّوْاجِ أَسَاسًاً لِقِيمِ الْأُسْرَةِ، وَاعْتَبَرَ
كُلَّ عَلَاقَةٍ غَيْرِهَا تَعْدِيًّا لِحَدُودِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ سَبَحَانَهُ: ﴿فَمَنِ
أَبْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾^(٤).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشِرَ الشَّبَابِ مَنْ أَسْتَطَعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ

(١) الرُّوم: ٢١.

(٢) النَّحْل: ٧٢.

(٣) الْبَقْرَةَ: ١٨٧.

(٤) الْمُؤْمِنُونَ: ٧، وَالْمَعَارِجَ: ٣١.

فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحسن للفرج، ومن لم يستطع فعله بالصوم فإنه له وجاء^(١).

وقال النبي ﷺ: «النكاح من سنتي، فمن لم ي عمل بستي فليس مني»^(٢).

وليس المقصود بالزواج في الإسلام قضاء الشهوة فحسب، بل هو أسمى من ذلك فهو علاقة حب ومودة وأنس ورحمة، علاقة تألف بين القلوب، علاقة بناء الأسرة، بل إنه بناء المجتمع بأسره.

في هذا الجو الصالح ينشأ الأطفال الصغار - شباب الغد ورجال المستقبل - وترتبط بينهم آصرة المحبة، وتؤلف بين قلوبهم وحدة المشارب والأهداف الجليلة، فينعكس أثر ذلك على وحدة وقوة المجتمع.

إنَّ الإسلام قد أَمَرَ بإكرام المرأة أمَّا، وبنِتَّا، وزوجة، وأختَا، وأمر بتعليمها وتأديبها، وأعطَاهَا حق الإرث، كما أوجَب لها النفقة على الزوج ولو كانت موسرة.

وعلى الرغم من كُلِّ الامتيازات التي أعطاها الإسلام للمرأة فإنه راعى في كُلِّ ما رغب إليها من عمل وما وجَّهها إليه من سلوك، أنْ يكون ملائماً لفطرتها وطبعتها، وأنْ لا يرهقها ما لا تستطيع عليه صبراً.

(١) صحيح البخاري بشرح الفتح ١١٩/٤، كتاب الصوم، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة، رقم (١٩٠٥)، ومسلم ١٠١٨/٢، كتاب النكاح، رقم (١٤٠٠).

(٢) ابن ماجه ٥٩٢/١، كتاب النكاح، باب ما جاء في فضل النكاح، رقم (١٨٤٦)، عن عائشة رضي الله عنها.

إنه على الرغم من كل الوسائل التي استخدمتها المرأة الأوروبية في سبيل نيل حقوقها - من سفور وتبذل وقبول المساومة على عرضها، والمظاهرات والاضطرابات التي قامت بها، والكتابات التي ناصرتها في تحررها من الدين والأخلاق والقيم - ومساواتها بالرجل، على الرغم من كل ما فعلته فإنها لم تصل إلى حقوقها كاملة إلى يومنا هذا، من إنسانيتها وأهليتها في العبادة والتقوى، ورفع اللعنة عنها، وإكرامها ورعايتها وتنمية أموالها... وإنما المرأة الغربية تجاوزت حدودها، ونتيجة لهذا التجاوز وقعت فريسة سهلة للرجال، وكان ذلك كله على حساب الأسرة والراحة النفسية إضافة إلى إشاعة الرذائل والفساد وتعدي حدود الله عزّ وجلّ.

بينما نجد الإسلام يعطي المرأة حقوقاً وامتيازات - تتمنى المرأة الغربية أن تحصل على بعض منها - دون أن تلجأ إلى الوسائل التي لجأت إليها المرأة الأوروبية، وإليك نماذج من الحقوق والواجبات التي أعطاها الإسلام للمرأة المسلمة:

١ - إنَّ المرأة كالرجل في الإنسانية سواء بسواء، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ رِبُّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ تُفَنِّنَ وَجْهَهُ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً»^(١).

٢ - دفع عنها اللعنة التي كان يلصقها بها رجال الديانات الأخرى، فلم يجعل عقوبة آدم بالخروج من الجنة منها وحدها، قال تعالى: «فَأَزَّلْهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِّمَّا كَانَا فِيهِ»^(٢).

(١) النساء: ١.

(٢) البقرة: ٣٦.

وقال تعالى: «فَلَا رَبَّنَا طَلَّتْنَا أَنفُسَكَ وَلَنْ لَوْ تَغْفِرْ لَنَا وَرَحْمَتَنَا لَتَكُونَ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴿٢٣﴾»^(١).

وقال تعالى: «تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَّتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُشَلُّونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾»^(٢).

٣ - قرر الإسلام أن المرأة أهل للتدين والعبادة ودخول الجنة إن أحسنت، ومعاقبتها إن أساءت، قال تعالى: «فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِيلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ أَنْتُمْ بَعْضٌ»^(٣).

٤ - حارب الإسلام التشاوم بها والحزن لولادتها كما كان شأن العرب قبل الإسلام، وشأن كثير من الأمم ومنهم بعض الغربيين، قال تعالى: «وَإِذَا بُشِّرَ أَهْدُهُمْ بِالْأَنْقَنْ ظَلَّ وَجْهُهُمْ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَنْوَرَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمَسِكُمُ عَلَى هُنَّ أَمْ يَدْسُمُ فِي الْأَرْضِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾»^(٤).

كما حرم وأدها وقتلها، وشئع على ذلك أشد تشنيع، قال تعالى: «وَإِذَا الْمَوْرِدَةُ سُيْلَتْ ﴿٨﴾ يَا إِيْ ذَلِيلٍ قُنْلَتْ ﴿٩﴾»^(٥).

وقال تعالى: «فَقَدْ حَسِرَ الَّذِينَ قَاتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا يُغَيِّرُ عَلَيْهِ»^(٦).

(١) الأعراف: ٢٣.

(٢) البقرة: ١٣٤.

(٣) آل عمران: ١٩٥.

(٤) النحل: ٥٨ - ٥٩.

(٥) التكوير: ٨ - ٩.

(٦) الأنعام: ١٤٠.

٥ - أمر بإكرامها أمّا، وبنّا، وزوجة، وأختاً، وأمر بتعليمها وتأديبها.

٦ - أعطاها حق الإرث أمّا وبنّا وزوجة، كما أوجب لها النفقة على الزوج ولو كانت موسرة.

٧ - جعلها قبل البلوغ تحت ولاية أهلها، وجعل ولايتهم عليها ولاية تأديب ورعاية وعناية بشؤونها لأموالها، لا ولاية تملك واستبداد، وجعلها بعد البلوغ كاملة الأهلية للالتزامات المالية كالرجل سواء بسواء، إلى غير ذلك من الامتيازات التي تحظى بها المرأة في الإسلام^(١).



(١) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٥٦٥ - ٥٦٨ بتصرف.

المبحث الخامس

موقف الشيوعية من الحرية ونقده

أما عن الحرية: فالشيوعية لا تعرف سوى الحرية الحيوانية، أما حرية الفكر التي تعتمد عليها الشيوعية الماركسية في دعايتها فلا وجود لها في الواقع العملي، لأنَّ الحرية عندهم هي حرية الحاكم لا المحكوم، حرية الدعوة للفكر الشيوعي فقط، والتعبير عنه بأية صورة، وكبت ما عداه من أي فكر معارض؛ ولذلك يقول لينين: «لكي تتحقق الثورة الاشتراكية هدفها يجب القضاء على الخصائص الفردية، والتشريعات التي تتبع الملكية الخاصة، والحجر على الحريات التي تضيق العمل الثوري وتطبيقاته»^(١).

وهكذا فحرية الفكر وحرية الرأي لا وجود لها في ظلِّ النظام الشيوعي، ولا يستطيع أيُّ باحث أنْ يثبت ما يتعارضُ مع نظرية ماركس، وإنَّ كان مصيره الإعدام أو النفي إلى مجاهل سبيريا.

أما الإسلام فهو يقرُّ الحرية التي تنطلقُ من عقيدة

(١) انهيار الشيوعية أمام الإسلام، ص ٣٤١.

الوحدانية لله تعالى والتي تعطي الإنسان حريته الحقيقية حيث يكون عبداً لله وحده، ولا يعبد أيّ مخلوقٍ مهما كانت منزلته.. فالإنسان في ظل المجتمع المسلم يعيش آمناً على نفسه وعرضه وماليه، فلا يعتدي عليه أحدٌ ولا يعتدي هو على أحد.

وعقيدة الوحدانية لله تعالى تقرر أنَّ الحياة والموت والرزق والخير والشر وغيرها لا مرجع لها إلَّا الله، قال تعالى: «أَلَا لِهِ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ»^(١).

والإسلام يقرُّ الرأي البناء، والبحث والاجتهد القائم على الدليل والبرهان من أجل الحق والصالح العام، وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة والأساليب المفيدة. أما الرأي الذي يقوم على الهوى والشهوة فهو معول هدم وفساد لا يقرُّه الإسلام، بل إنه يرفضه ويمنعه.



(١) الأعراف: ٥٤.

الفصل التاسع

سقوط الشيوعية وافتراض أكاذيبها

يتبيّن لنا مما تقدم أنَّ جميع المبادئ والأصول التي قامت عليها الماركسية كالقول بالمادة، وقوانين الجدل، والمادية التاريخية، والصراع بين الطبقات، ونزع الملكية الخاصة، ونظرية العمل في القيمة، ونظرية فائض القيمة، قد تساقطت أمام الواقع والعلم الحديث، ولم تصمد للشيوعيين دعوى واحدة أمام المناقشة العلمية، كما أنَّ رفض الشيوعيين الدين والأخلاق، وموقفهم من الأسرة والحرية، يحوّل البشر إلى آلة صماء لا روح فيها ولا عقل.

وفضلاً عن مصادمة الشيوعية للفطرة البشرية وطبيعة المجتمع الإنساني؛ فإنَّ كثيراً من مقولاتها وتكهناتها قد كذبَه الواقع فتغيَّر بعضه، وتباخر البعض الآخر، وأرغم التطبيق الماركسيين على التنازل عن أجزاء أخرى كثيرة من نظرياتهم الجامدة حتى انفلت الأمور من أيديهم.

وسوف أتناول أهم افتراض أكاذيب الشيوعية وانهيارها في المباحث التالية:



المبحث الأول

كذب تكهنات الماركسية

يُزعمُ كارل ماركس وشيعته أنَّ تنبؤاته قائمة على أسس علمية، ولكن وقائع التاريخ جاءت مخالفة لهذه التنبؤات مما عصف بهذه النظرية وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

أ - إنَّ الثورة الشيوعية التي قامت في روسيا لم تكن مظهراً لنظرية التفسير المادي للتاريخ، بل كانت وليدة ظروف سياسية وخطط مدبرة، واقترب ظهورها بركوب الشيوعيين موجة الثورة ضدَّ القيصرية الروسية، وسرقتهم السلطة من أصحابها الحقيقيين، ورافق ذلك أعمال دعائية لنظرية ماركس فأعطى ذلك هذه النظرية اهتماماً خاصاً من قبل الدارسين والباحثين، ولو لا ذلك ما حفل أحدٌ بنظرية ماركس ولا بكتابه «رأس المال» مليء بالخلط والترقيق، وغلبة أهواء الشر على قواعد التفكير^(١).

ومع ذلك، فإنَّ قيام الشيوعية لم يوافق رغبة الناس وإنما فرض عليهم بقوة الحديد والنار.

(١) انظر: الشيوعية والإنسانية، للعقاد، ص ٦٨.

ب - ادعى ماركس حسب نظريته أنَّ الثورة الشيوعية تأتي بعد تركيز الصناعات الكبرى في يد قلة من الرأسماليين، وأنه بذلك ينشأ الخلاف بين البرجوازية والبروليتاريا في الدول الرأسمالية بشكل مطرد إلى أنْ يتفاقم الوضع إلى ثورة تقلب النظام الرأسمالي كله، وتسلم البروليتاريا الحكم ووسائل الإنتاج.

يقول ماركس: «إنَّ انتباه الشيوعيين يتوجه بصورة خاصة نحو ألمانيا لأنها على اعتاب ثورة برجوازية، ولأنها ستقوم بهذه الثورة في ظروف تكون فيها المدينة الأوروبية أكثر تقدماً ورقياً، ومع بروليتاريا متقدمة أكثر مما كانت عليه في إنكلترا في القرن السابع عشر وفي فرنسا في القرن الثامن عشر...»^(١).

لكنَّ هذه النظرية لم تتحقق، فالدول الصناعية المتقدمة في أوروبا الغربية لم تظهر فيها الثورات الاشتراكية أو الشيوعية، بل الذي حدث في المجتمعات الرأسمالية كان العكس، وهو مزيد من التقارب بين الطبقات نتيجة لقيام الدول الرأسمالية بسلسلة من الإصلاحات والأنشطة النقابية، وتحسين أحوال العمال.

«وأقامت الثورة الشيوعية في روسيا لا عن تركيز اقتصادي ولا عن وجود صناعات كبرى في يد قلة من أصحاب المال بل كانت نتاجاً مباشراً لنتائج الحرب الروسية اليابانية»^(٢).

(١) البيان الشيوعي، ص ٨٥ - ٨٦.

(٢) موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٤٧٢ - ٤٧٣.

وأما الصين فقد قامت الثورة الاشتراكية فيها دون أن تمر بالمرحلة الصناعية. وكذلك بقية الدول التي ظهرت فيها الشيوعية كرومانيا ويوغسلافيا وألبانيا وال مجر وبولندا^(١).

ج - ومن تكهنات ماركس الزائفة قوله: إنَّ العالم يسير في الصناعة والتجارة نحو الاحتكار بحيث يأكل الأقوياء ضعاف المُلَّاك، وإنَّ هذا الاحتكار يستمر ويطردُ في جميع الصناعات وينتهي ذلك إلى إلغاء الملكية الفردية، ومن العجيب أنَّ روسيا سمحت بالملكية الفردية في بعض الأشياء كالسيارة والبيت وادخار بعض المال في البنوك^(٢).

وهذا كان قبل سقوط الشيوعية العلني فيها.
وبذلك يظهر لنا كذب المزاعم الحتمية للنظرية الماركسيَّة.



(١) انظر: الماركسيَّة والإسلام، د. مصطفى محمود، ص ١٢، دار المعارف بمصر.

(٢) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٤٧٣.

المبحث الثاني

التراجعات والترميمات في النظام الماركسي

من الملاحظات المهمة التي ينبغي على الباحث أن يأخذها بعين الاعتبار هي التراجعات والترميمات التي توالت على الفكر الماركسي ليُرى قيمة هذا الفكر من الناحية العلمية. وإليك بعض هذه التراجعات في ما يلي :

أ - إنَّ الماركسيين الذين أقاموا نظريتهم على أساس إلغاء الملكية الفردية تراجعوا عن هذا القرار وسمحوا بنوع من الملكية الخاصة حين اشتَدَّت مقاومة الفلاحين لهم، والتي ذهب ضحيَّة هذه المقاومة ما يزيد عن ستة ملايين شخص وبخاصة من المسلمين^(١).

والحق إنَّ إلغاء الملكية الفردية وتكوين ما يُسمى بملكية الدولة أو القطاع العام أو الملكية العامة أو بملكية الشعب

(١) انظر: الإسلام في وجه الزحف الأحمر، ص ٧٨، موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٤٧٨.

والعمال وغير ذلك من الأسماء الخادعة، ليس طریقاً للازدهار أو دفعاً لعجلة الإنتاج ولا لرفع مستوى المعيشة بقدر ما هو طریق للسلبية والاتکالية والاستغلال الجماعي وھبوط الإنتاج ورداهته.

ب - إعادة نظام الحافز المادي الذي أثبتت التجارب وشهد الواقع الملحوظ أهميته في ترقية الحياة وتطورها، وتحسين الإنتاج وتنمية القدرة على الابتكار والإبداع.

إنَّ السلبية التي تُرى في مجال العمل الجماعي الذي تتبناه الدولة ظاهرة واقعة تشاهد في الأمور الآتية:

- ١ - قلة الإنتاج.
 - ٢ - عدم جودته.
 - ٣ - كثرة نفقاته.
- ٤ - وبالتالي عدم قدرته على المنافسة في الأسواق العالمية.

وسُرُّ ذلك إلغاء الملكية الفردية والحافز المادي لدى الأفراد^(١).

ج - إعادة نظام الإرث، فقد أعلن مجلس السوفيت الأعلى للجمهوريات الاشتراكية السوفيتية - سابقاً - قانوناً جديداً للميراث يهدف إلى حماية الملكية الفردية وحماية حق المالك، ويقوّي في نفس الوقت الروابط الأسرية.. وقد قصرَت القوانين السابقة حقَّ الميراث على الأبناء المباشرين وأبناء التبنيِي والزوج والزوجة والمحتججين ممن كان يعولهم الميت، أما القانون الذي استجدَّ

(١) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، د. جمعة الخولي، ص ٢٠١.

فإنه يتسع حتى يشمل الأبوين والأخوات ويعين طريقة جديدة لتوزيع الأموال التي يوصي بها صاحبها، فيقدم الأقرباء المباشرين على سواهم، وهو كذلك يبيح للأفراد أن يهبوا أملاكهم لشخص أو أكثر أو للهيئات العامة شرط ألا يحرموا الأطفال الصغار أو الورثة من لا عمل لهم من حقهم المقرر، وعند عدم وجود أي وارث قانوني يكون للملك الحق في ترك ماله لأي فرد يشاء^(١).

د - في حين يزعم ماركس أنَّ العامل الاقتصادي هو العامل الوحيد المحدد لجميع الأوضاع السياسية والقانونية والدينية والأخلاقية، نجد أنَّ إنجلز يزعم نظرياً أنه هو وماركس لم يؤكدا إلا على أهمية العامل الاقتصادي ولم ينكرا دور الأفكار وتأثيرها على مجرى الأحداث التاريخية.

ه - وحين اشتد الضغطُ على روسيا في الحرب العالمية الثانية لجأت إلى إثارة نيرة القوميات وتشجيع الأديان المحرمة في دستورهم وهي الإسلام على وجه الخصوص والنصرانية وذلك للخداع والتضليل. ثم عادت إلى محاربتها من جديد^(٢).

و - لقد أثبت الواقع أنَّ الشيوعية مضادة تماماً للفطرة الإنسانية، والإنسان قد يتحمل مصادمة فطرته حيناً من الزمن تحت تهديد العنف والقوة من ناحية، وتحت شعارات ودعایات خادعة من ناحية أخرى، ولكنه لا يستطيع أن يعيش بدون إشباع هذه الفطرة والرجوع إليها على مدى الزمن^(٣).

(١) المرجع السابق، ص ٢٠٢.

(٢) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس، ص ٤٧٤ - ٤٧٨.

(٣) انظر: انهيار الشيوعية، ص ٣٦٩.

ز - ولقد سقطت الشيوعيةاليوم في روسيا، وفي أكثر دول أوروبا، وما ذلك إلاً لإحساس الكثير من الأحزاب بعدم جدوى الشيوعية وعجزها عن تحقيق أهداف الإنسان، وعجزها أيضاً عن إنجاز ما وعدت به، وفشلت فشلاً ذريعاً في التطبيق.





المبحث الثالث

سقوط الشيوعية ومستقبل الإسلام

ومن العرض السابق نجد أنَّ الشيوعيين اضطروا تحت ضغط الواقع أنْ يبدأوا ويعيدوا أكثر من مرة في ما سبق أنْ قرروه من قبل وذلك شأن فلسفات البشر، ومذاهب البشر، ويأبى الله إلا أنْ يكون الثبات والعصمة لشرعه وحده، وتنتصر فطرته على أوهام الخلق.

والخلاصة أنَّ الشيوعية في الاتحاد السوفيتي - سابقاً - وسائر البلاد التي كانت تسير في فلكه قد أعلنت في أوائل عقد التسعينيات من القرن العشرين عن إفلاس مبادئها، وسقوطها أمام العالم، بعد حُكم فرض على الناس بالحديد والنار، ودام نيفاً وسبعين سنة، وأكرر ما سبق أنْ ذكرته وهو أنَّ سبب سقوطها هو أنَّ جميع أصولها ومبادئها التي قامت عليها قد تساقطت أمام الواقع والعلم الحديث، ومصادمة الفطرة.

وأنها فشلت فشلاً ذريعاً في الاقتصاد والسياسة والمجتمع وغيرها.

أما في الاقتصاد فقد سبق أنْ رأينا أنَّ الشيوعيين الذين

أقاموا نظريتهم على أساس إلغاء الملكية الفردية واعتبارها أَمَّا الشرور وأساس البلاء تراجعوا عن نظريتهم، وسمحوا بنوع من الملكية الخاصة، وبعض المشاريع الإنتاجية، وإعادة نظام الإرث والحافز المادي^(١).

وأما عن النظام السياسي الشيوعي فقد كان يقوم على التسلط والقسوة والظلم والإجرام حتى مع أقرب الناس إليه، ولا يسمح هذا النظام للناس بالتفكير إلا بما يتفق وهو دعوة الشيوعية^(٢).

وأما عن النظام الاجتماعي فهو معدوم تماماً ولا وجود له، فالتعاون والإيثار والبر والإحسان والصدقة وأعمال الخير كلّها لا اعتبار لها عند الشيوعيين، وذلك لأنَّ أيَّ عمل - في اعتبارهم - لا يترتب عليه منفعة مادية فهو عمل لا قيمة له، ولذا فلا تجد عندهم علاقات اجتماعية مبنية على أسسِ أخلاقية ثابتة تضمن استمرار الحياة، ولا ترابط وتكافل اجتماعي أسري يضمن حسن التعاون والإخاء والمحبة بين أفراد المجتمع، حتى نظام الزواج وتكون الأسرة الذي يُعدُّ أول بنية في المجتمع فإنهم يرفضونه ويعدُّون الأسرة في جوهرها مسألة اقتصادية، وترتبط بقوى الإنتاج ووسائله.

فالأسرة عندهم تقوم على أسسٍ جديدة هي:

١ - رفض علاقة الزواج والسماح بالعلاقات البهيمية الشيوعية.

(١) انظر: الصفحات التالية من هذا البحث: ٦١، ١٥٤، ١٥٩.

(٢) انظر: انهيار الشيوعية ٢٨٣ وما بعدها.

٢ - القضاء على العلاقات الأسرية والحقوق والواجبات بين الزوج والزوجة.

٣ - عدم أحقيّة الآباء في تربية أبنائهم.

والهدف من القضاء على نظام الأسرة يتلخص في إشاعة الفاحشة بحيث تتحقق شيوعية النساء كما تحقق شيوعية الاقتصاد، وإحلال الحزب محل الأسرة، فالحزب هو الأم والأب لهم، وأما الأسرة فلا اعتبار لها أبداً^(١).

فالشيوعية قد سقطت بحمد الله في أكبر معاقلها، وتهاوت جميع الأسس والمبادئ التي قامت عليها، ولم يبق من يتبعها في العالم اليوم إلا شرذم لا اعتبار لهم، وإذا كانت الشيوعية قد خدعت كثيراً من الناس بشعاراتها الخادعة فانضموا تحت لوائها سواء مختارين أو مكرهين، فإن البريق الزائف سرعان ما ينكشف، ويُفصح عن الحقيقة المرة.

والإسلام هو الدين الصحيح الذي يقف بقوة وصلابة في وجه الشيوعية - وجميع الدعوات الهدامة - بعقيدته وشرعيته، وأهدافه السامية في تحقيق السعادة الحقيقية للإنسان.

نعم، فالإسلام هو الدين الصالح لكل زمان ومكان، فالعقيدة فيه أساسها الوحدانية الصحيحة الصادقة لله تعالى وهو دين جميع الرسل وجميع البشر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَيْسَ أَشْرَكَتْ لِيَحْبَطَ عَمَلَكَ وَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمُخْتَرِينَ بِلِ اللَّهِ فَأَعْبُدُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢).

(١) انظر: المرجع السابق ٣٣٣ - ٣٣٧، باختصار وتصرف.

(٢) الزمر: ٦٥ - ٦٦.

والشريعة في أساسها العدل واليسر والسمحة والأخلاق، وفي أساسها الرحمة والتعاون والمحبة.

قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلنَّاسِ»^(١).

والغاية هي إسعاد الإنسان، السعادة الحقيقية النابعة من فطرته السليمة.

لكل هذا نقول: إن الإسلام هو البديل الوحيد عن ثُرهات الشرق الشيعي وأباطيل الغرب «الرأسمالي».

ومن هنا فإن المستقبل للإسلام وحده، والفناء للشيوخية ولكل الدعوات الباطلة، بل إن الإسلام هو الدين الذي يحمي الفضيلة، ويقي المجتمعات من كل الويالات والشرور ويكون سبباً للحياة السعيدة.

قال تعالى: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ
الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ»^(٢) إِنَّ فِي هَذَا لِلْكَلَامِ
عِظَيْدَاتٌ^(٣).

وما على المسلمين إلا أن يتحققوا إخلاص العبودية لله تعالى، والمتابعة لرسوله محمد ﷺ.

ويتمسكون بكتاب ربهم وسنة رسولهم ﷺ.

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) الأنبياء: ١٠٥ - ١٠٦.

ومن ثم فإنهم جديرون بالعزّة والكرامة، والقضاء على كلّ
الدعوات الهدّامة، ويكون الدين كله لله بحول الله وقوته.



الفصل العاشر
 موقف الإسلام من الشيوعية

المبحث الأول

الإسلام ضد مبادئ الشيوعية

من خلال ما تقدّم نستطيع القول: إنَّ الإسلام يرفض مبادئ الماركسية رفضاً تماماً قاطعاً، وذلك لأنَّ الشيوعية قائمة على تصور ملحد ينكر وجود الله تعالى ويحارب دينه، ويعخالف فطرة الإنسان والمنهج العلمي الصحيح، ويسعى إلى نشر الفوضى والفساد في الأرض.

إنَّ الإسلام والشيوعية يسيران في خطدين متوازيين لا يلتقيان أبداً. ومن هنا، فإنَّ الإنسان إما أنْ يكون مسلماً يشهد أنَّ لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسول الله، ويقيم الصلاة، ويتؤتي الزكاة، ويصوم رمضان، ويحج البيت إنْ استطاع إليه سبيلاً. ويؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ويتؤمن بالقدر خيره وشره.. وذلك كما جاء في حديث جبريل عليه السلام: «الإسلام أنْ تشهد أنَّ لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة...» الحديث^(١).

(١) صحيح البخاري مع الفتح ١١٤/١، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام، رقم ٣٧، صحيح مسلم ٣٧/١، كتاب الإيمان رقم (١).

وإما أن يكون الإنسان شيوعياً ماركسياً ملحداً، فلا يؤمن إلا بالمادة وما تقع عليه الحواس، ومبادئ ماركس وإنجلز وهيجل وفيورباخ وفيشته ولينين وأضرابهم، وإما أن يكون يهودياً أو نصراانياً أو مجوسيأ، أو غير ذلك من ملل الكفر، وقد يكون جاماً لأكثر من معتقد.

والشيوعية تتناقض مع الإسلام في العقيدة والشريعة، وفي المنهج والمبدأ، وفي الوسائل والغايات، وفي التفاصيل والجزئيات، وفي الطبيعة العامة وفي كل شيء.

وهي تدعى أن العقل البشري كائنٌ مادي لا إرادة له ولا اختيار، وإنما هو خاضع خضوعاً تاماً لحركة المادة وحتمية الجدل.

والشيوعية نظام وضعى من النظم التي صنعتها البشر، والله تعالى أمر بوجوب التحاكم إلى كتابه وإلى سنته رسوله ﷺ ومحاربة المذاهب الهدامة التي لا تحكم شرع الله، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرِبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكَّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ (٦٥). ^(١)

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ مِنْكُمْ فَمَنْ نَزَّلَهُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنَّ كُلَّمَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّوْمَ الْآخِرُ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَخْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٥٩)، قوله سبحانه: ﴿وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ ^(٢). ^(٣)

(١) النساء: ٦٥.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) الشورى: ١٠.

وقوله تعالى: «أَفَمُحْكَمَ الْحِكْمَةِ يَتَعْوَنُ وَمَنْ أَخْسَنُ مِنَ اللَّهِ حَكْمًا لِقَوْمٍ يُؤْقَنُونَ»^(١).

وقوله تعالى: «وَمَنْ لَئِنْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ»^(٢)، «وَمَنْ لَئِنْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»^(٣)، «وَمَنْ لَئِنْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسِيْقُونَ»^(٤).

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وقد ورد على سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - سؤال حول حكم من يطالب بتحكيم المبادئ الاشتراكية والشيوعية؟

فأجاب سماحته بقوله: «... لا ريب في أنَّ الواجب على أئمة المسلمين وقادتهم أنْ يحكمو الشريعة الإسلامية في جميع شؤونهم، وأنْ يحاربوا ما خالفها، وهذا أمر مجمع عليه بين علماء الإسلام، ليس فيه نزاع بحمد الله، والأدلة عليه من الكتاب والسنَّة كثيرة معلومة عند أهل العلم...».

وبعد أن ذكر سماحته الأدلة السابقة قال رحمه الله: «وقد أجمع العلماء على أنَّ من زعم أنَّ حكم غير الله أحسن من حكم الله، وأنَّ هدي غير رسول الله - ﷺ - أحسن من هدي الرسول - ﷺ - فهو كافر، كما أجمعوا على أنَّ من زعم أنه

(١) المائدة: ٥٠.

(٢) المائدة: ٤٤.

(٣) المائدة: ٤٥.

(٤) المائدة: ٤٧.

يجوز لأحد من الناس الخروج على شريعة محمد ﷺ، أو تحكيم غيرها فهو كافر ضال؛ وبما ذكرناه من الأدلة القرآنية، وأجماع أهل العلم يعلم السائل وغيره، أنَّ الذين يدعون إلى الاشتراكية أو الشيوعية أو غيرهما من المذاهب الهدامة المناقضة لحكم الإسلام، كُفَّارٌ ضالٌّ، أَكْفَارٌ من اليهود والنصارى، لأنهم ملحدة لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يجوز أن يجعل واحداً منهم خطيباً وإماماً في مسجد من مساجد المسلمين، ولا تصح الصلاة خلفهم، وكل من ساعدتهم على ضلالهم وحسن ما يدعون إليه، وذم دعوة الإسلام ولمزهم، فهو كافر ضال، حكمه حكم الطائفة الملحدة، التي سار في ركابها وأيدها في طلبها قال: «وأرجو أن يكون في ما ذكرناه كفاية ومقنع لطالب الحق، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل...»^(١).

ومن دراستنا السابقة يظهر لنا أنَّ طابع الماركسية الأساسي يقوم على أساس الجماعة وطمس جميع معالم الفردية.. واعتبار المجتمع هو الغاية وهو الأصل ومحاولة إقامة المجتمع الشيوعي بالعنف والقهر.

أما الإسلام فله نظامه الخاص الذي تفرد به، وهو وحْيٌ من عند الله عزَّ وجلَّ، نظامٌ يتميَّز بالوسطية التي أقام بها موازين القسط والعدل بين الأطراف المتقابلة التي تقاسمتها الديانات والفلسفات الأخرى.

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماعة الشيخ عبدالعزيز بن باز (٢٧٣/١ - ٢٧٤). وانظر: ، ص ٢٧٥ من نفس الجزء ففيها جواب لمن يحتكمون إلى القوانين الوضعية مع وجود القرآن الكريم والشَّرعة المطهرة.. وانظر: (١٣٧/١) في نفس الموضوع.

لذلك فهو لا يقوم بالفردية وحدها ولا بالجماعة وحدها لأنه راعى الجانبين واعترف بهما، وقرر لكل منهما حقوقه وألزمـه واجباته بتشريع وسط عدل يتناسب مع فطرة الإنسان. فهو لا يجور على الفرد لحساب المجتمع ولا يحيـف على المجتمع من أجل الفرد فضلاً عن اختلافه في مفاهيم الفردية والجماعة عنها في النظـامـين الرأسـمـالي والشيـوعـي.



المبحث الثاني

أهم معالم النظام الاقتصادي في الإسلام

وفي هذا المقام أود أن أشير إلى أنني قد سبق أن تناولت في موقف الإسلام من الرأسمالية بعض معالم وملامح النظام الاقتصادي في الإسلام، ولما كان المقام هنا يستدعي الزيادة والبيان فقد توسيع في هذا الأمر، وخصصت البحث الثالث من هذا الفصل عن وسائل التكافل الاجتماعي في الإسلام، فإلى أهم معالم النظام الاقتصادي في الإسلام:

١ - الملكية الخاصة في الإسلام:

يقر الإسلام الملكية الخاصة باعتبارها غريزة فطرية في طبيعة الإنسان.

قال تعالى: «زِينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنِ الْإِسْكَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الدَّهْرِ وَالْفَصَنَّةِ وَالْغَيْثِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْجَوَةِ وَالْحَرَثِ ذَلِكَ مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْعَمَابِ»^(١)

(١) آل عمران: ١٤.

وقال عز وجل : « خذ من أموالهم صدقة »^(١) ، وقال سبحانه : « أَوْلَئِرْ يَرْقَأُ
أَنَا خَلَقْنَا لَهُم مِمَّا عَمِلْتُ أَيْدِينَا أَنْعَنَّا فَهُمْ لَهُمَا مَالِكُون »^(٢).

وقال تعالى : « وَتَحْبُّوْنَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا »^(٣).

وقال سبحانه : « وَإِنَّمَا لِحْتِ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ »^(٤).

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن رسول الله - أنه قال : « لو كان لابن آدم واد من ذهب لتمنى أن يكون له ثان ، ولو كان له ثان ، لتمنى أن يكون له ثالث ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب ، ويتوّب الله على من تاب »^(٥).

قال الإمام النووي - رحمه الله - : « ومعنى : « لا يملأ جوفه إلّا التراب » ، أنه لا يزال حريصاً على الدنيا حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره ، وهذا الحديث خرج على حكم غالب بني آدم في الحرث على الدنيا... »^(٦).

وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »^(٧) . وجاء في خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع : « إِنَّ

(١) التوبة : ١٠٣.

(٢) يس : ٧١.

(٣) الفجر : ٢٠.

(٤) العاديات : ٨.

(٥) صحيح مسلم (٧٢٥/٢)، كتاب الزكاة، باب لو أن لابن آدم واديان لا يبتغي ثالثاً، رقم (١٠٤٨).

(٦) شرح النووي على مسلم (١٣٩/٧ - ١٤٠).

(٧) صحيح مسلم (١٩٨٦/٤)، كتاب البر والصلة، رقم (٢٥٦٤)، وسنن أبي داود (١٩٦/٥)، كتاب الأدب، رقم (٤٨٨٢)، والترمذى (٣٢٥/٤)، كتاب البر والصلة، رقم (١٩٢٧).

أموالكم ودماءكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا
في بلدكم هذا»^(١).

طرق كسب الملكية في الإسلام:

والملكية في الإسلام لا بد أن تأتي من طريق حلال
مشروع، فإن نشأت عن طريق غير مشروع فإن الإسلام لا يعترف
بها ولا يقرّها.

وتكتسب الملكية عادة بالطرق التالية:

- ١ - الكسب بالجهود الشخصية كالعمل بتجارة أو زراعة
أو صناعة... إلخ
- ٢ - ما كان بحكم شرعي كالإرث والنفقة.
- ٣ - ما كان بإرادة الغير كالوصية والهبة ونحو ذلك^(٢).

شرط أن تكون هذه العقود والتصرفات بالكيفية التي شرّعها
الإسلام، فلو نشأت الملكية عن طريق محرم، فإنها لا تكون
صحيحة ولا مشروعة كما سيأتي.

كما إنَّ الملكية في حد ذاتها ابتلاء واختبار للعبد، ف والله
سبحانه وتعالى يختبر المالك للمال وبيته به هل يتخد منه وسيلة
للتقرب إليه، أو أنه يتخرّج وسيلة لتحقيق شهواته وأغراضه

(١) صحيح البخاري بشرح الفتح (١٥٨/١)، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: «رُبَّ مبلغ أوعى من سامع» رقم (٦٧).

(٢) انظر: النظام الاقتصادي في الإسلام، د. أحمد العسال وزميله، ص ٤٨،
والسياسة المالية في الإسلام، عبد الكريم الخطيب، ص ١٠٦ وما بعدها.

الخاصة؛ فالملكية الخاصة ليست هدفاً لذاتها كما هو شأنُ في النظام الرأسمالي، ولن يستمرأ كما هو الحال في النظام الشيوعي، وإنما المرجع هو منهج الإنسان في استخدامها.

وأما المفاسد الأخلاقية التي ادعى الشيوعيون أنها ملزمة للملكية الخاصة، فقد عالجها الإسلام معالجةً تتفق مع الفطرة الإنسانية، وذلك في طريقة كسبها وتحصيلها، وفي طريقة إنفاقها والتصرف فيها مما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

الطرق غير المشروعة لكسب الملكية في الإسلام:

ولما كان في المال المملوك للإنسان حقوق كثيرة للغير بجانب الحقوق الشخصية، فإنَّ الإسلام لا يترك المالك يتصرف في ملكه كما يشاء ويريد، بل قيد تصرفاته بقيودٍ معينة وذلك لتحقيق الصالح العام، كما أنه لا يدع المالك حرَّاً في كسب ماله واستثماره من أي طريق شاء.. بل حدد الله الطرق المشروعة في ذلك.

ومن أبرز الطرق التي حرمها الإسلام في كسب المال واستثماره ما يلي :

١ - الربا: قال تعالى: «وَأَحَلَ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَمَ الرِّبَا»^(١)، وقال سبحانه: «يَتَأَبَّلُهَا الَّذِينَ مَأْمَنُوا أَتَقْوَ اللَّهَ وَذَرُوا مَا يَقْنَعُ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»^(٢).

٢ - الاحتياط: وهو حبس أقوات الناس و حاجاتهم

(١) البقرة: ٢٧٥.

(٢) البقرة: ٢٧٨.

الضرورية، وهو وإن اقتصر نفعه على الأفراد المحتكرين، فإنه يضرُّ الجماعة، ويهدّد حرية التجارة والصناعة؛ فعن معمر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من احتكر فهو خاطئ»^(١).

٣ - الغش: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من غشنا فليس منا»، وفي رواية: «من غش فليس مني»^(٢).

ومن حكيم بن حزام رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «البيعان بالخيار ما لم يتفرق، فإنْ صدقوا وبيانا بورك لهما في بيعهما، وإنْ كذباً وكتماً محققت بركة بيعهما»^(٣).

٤ - تطفييف المكاييل والموازين والتلاءب في ذلك: يقول تعالى: «وَتِلْ لِلْمُطَفِّفِينَ ۝ أَلَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَىَ النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝

(١) صحيح مسلم (١٢٢٧/٣)، كتاب المسافة، باب تحريم الاحتكار في الأقوات، رقم (١٦٠٥)، وسنن أبي داود (٧٢٨/٣)، كتاب البيوع والإجرات، باب في النهي عن الحكرة، رقم (٣٤٤٧)، والترمذني (٥٦٧/٣)، كتاب البيوع، باب ما جاء في الاحتكار، رقم (١٢٦٧).

(٢) صحيح مسلم (٩٩/١)، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «من غشنا فليس منا»، رقم (١٠١، ١٠٢)، وسنن أبي داود (٧٣١/٣)، كتاب البيوع والإجرات، باب النهي عن الغش، رقم (٣٤٥٢)، والترمذني (٦٠٦/٣)، كتاب البيوع، باب ما جاء في كراهة الغش في البيوع، رقم (١٣١٥)، وابن ماجه (٧٤٩/٢)، كتاب التجارات، باب النهي عن الغش، رقم (٢٢٢٤).

(٣) صحيح البخاري بشرح الفتح (٣٠٩/٤)، كتاب البيوع، باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا، رقم (٢٠٧٩)، ومسلم (١١٦٤/٣)، كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان، رقم (١٥٣٢).

وَلَا كَالُومُمْ أَوْ وَرَدُوْهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظْنُ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ
لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ .^(١)

٥ - الغصب: فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: إن رسول الله ﷺ قال: «من ظلم قدر شبر طُوقه من سبع أرضين»^(٢).

وعن وائل بن حجر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «من اقطع مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان»^(٣).

٦ - السرقة: قال تعالى: «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا
أَيْدِيهِمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَلًا مِنَ اللَّهِ»^(٤).

٧ - الخمر والقمار: قال تعالى: «إِنَّمَا الْفَتْرُ وَالْمَيْسُرُ وَالْأَصَابُ
وَالْأَذْلَمُ يَجْعَلُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَنِ فَاجْتَبِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»^(٥).

لأنَّ الاشتغال بهذه الأمور من شأنه استنفاد الطاقات البشرية
والقضاء على الأيدي العاملة.

(١) المطففين: ١ - ٥.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (٢٩٢/٦)، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين، رقم (٣١٩٥)، ومسلم (١٢٣٢/٣)، كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض، رقم (١٦١٢).

(٣) صحيح مسلم (١٢٣/١)، كتاب الإيمان، رقم (١٣٩)، وسنن الترمذى (٢٣٢/٥)، كتاب التفسير رقم (٣٠١٢)، والنسائي (٥/١١ - ١٢)، في الزكاة، باب التغليظ في حبس الزكاة.

(٤) المائدة: ٣٨.

(٥) المائدة: ٩٠.

٨ - استغلال الجهل بحال الأسواق والأسعار: فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يبيع بعضكم على بيع بعض، ولا تلقوا السلع حتى يهبط بها إلى السوق»^(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ قال: «من ابتاع طعاماً فلا يباعه حتى يستوفيه»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ نهى عن تلقي الجلب، فإنْ تلقاء متلقٍ فاشتراه فصاحب السلعة بالخيار إنْ وردت السوق^(٣).

٩ - جميع البيوع التي تنطوي على غرر أو غبن يؤدّي إلى ضرر أو الاستغلال والظلم، كبيع الملابسة، والمثاببة، والحسنة، والمصرأة، والعينة، وحبل الحبلة، والمضمادين، والملاقيح، والمدلس، وبيعتين في بيعة، والمحاقلة، والمزابنة،

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٤/٣٧٣)، كتاب البيوع، باب النهي عن تلقي الركبان . . . ، رقم (٢١٦٥)، وصحيح مسلم (٣/١١٥٤ - ١١٥٥)، كتاب البيوع، باب تحريم بيع الرجل على بيع أخيه . . . ، رقم (١٤١٢)، وسنن أبي داود (٣/٧٢٢)، كتاب البيوع والإجرات، باب من اشتري مصرة فكرها، رقم (٣٤٤٣).

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (٤/٣٤٩)، كتاب البيوع، باب بيع الطعام قبل أن يقبض، رقم (٢١٣٦).

(٣) صحيح مسلم (٣/١١٥٧)، كتاب البيوع، باب تحريم تلقي الجلب، رقم (١٥١٩)، وسنن أبي داود (٣/٧٨١)، كتاب البيوع والإجرات، رقم (٣٤٣٧)، والترمذى (٣/٥٢٤)، كتاب البيوع، رقم (١٢٢١)، والنسائي (٧/٢٥٧)، كتاب البيوع، باب التلقي، وابن ماجه (٢/٣٥)، كتاب التجارات، رقم (٢١٧٩)، ومسند أحمد (٤/٣١٤).

وبيع الشيء المعدوم، أو المجهول، أو النجاش وغير ذلك من البيوع الفاسدة^(١).

١٠ - الرشوة والاختلاس وكلُّ ما يأتي عن طريق استغلال المنصب لجزء منفعة إلى شخص الإنسان، وقد استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأزد يقال له: ابن اللتبية على الصدقة، فلما قدم بها قال: هذا لكم وهذا أهدي إليَّ، قال راوي الحديث: فقام رسول الله ﷺ فحمد الله ثم أثني عليه ثم قال: «أما بعد: فإنني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول: هذا لكم وهذا هدية أهديتها إليَّ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إنْ كان صادقاً، والله لا يأخذ أحداً منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيمة، فلا أعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تَبَعِر» ثم رفع يديه حتى رُؤي بياض إيطيه، ثم قال: «اللهم هل بلغت»^(٢).

ويقول ﷺ: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً مما أخذ بعد ذلك فهو غلوٌ»^(٣).

(١) انظر: بقية البيوع الفاسدة مع شرحها في المغني، ابن قدامة (٤/٢٢٨) وما بعدها، فتح الباري، ابن حجر (٤/٣٥٦) وما بعدها، نيل الأوطار (٥/٤٣) وما بعدها، المذاهب الأربعة، الجزيري (٢/٢٤٤).

(٢) صحيح مسلم (٣/١٤٦٣) كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال، عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه، وهو صحابي مشهور، واسمه المنذر بن سعد بن المنذر أو ابن مالك، وقيل: اسمه عبد الرحمن، وقيل: عمرو، وشهد أُحد وما بعدها وعاش إلى خلافة يزيد سنة ٦٠، انظر: التقريب، ٤٠٢.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٥٣/٣) في الخراج والإمارة، باب في أرزاق العمال، رقم (٢٩٤٣).

وقال ﷺ: «الراشي والمرتشي في النار»^(١)

١١ - أكل أجراً الأجير: فعن أبي هريرة رضي الله عنه: يقول ﷺ: «قال الله عز وجل: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيمة: رجل أعطي بي ثم غدر، ورجل باع حرراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً، فاستوفى منه ولم يعطه أجره»^(٢).

وعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهم - قال: قال ﷺ: «أعطوا الأجير أجراه قبل أن يجف عرقه»^(٣).

إلى غير ذلك من المكاسب التي لا يجوزها الإسلام، كترويج البضائع بالكذب والاحلف، وسائل طرق الاستغلال، والتي هي من أكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى: «يَتَائِئُهَا الظَّرَفُ إِمَّا مَنْتُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ يَتَنَاهُمْ بِالْبَطْلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ يَحْكَرُوا عَنْ قَرَاضِ مِنْكُمْ»^(٤).

وهكذا نرى أنَّ الإسلام لا يترك الحرية لصاحب المال ينميه كيف يشاء ويريد، وإنما يرسم له الطريق ليسير في دائرة الحدود

(١) الترمذى (٦٢٣/٣)، كتاب الأحكام، رقم (١٣٣٧)، وسنن أبي داود (١٠/٤)، كتاب الأقضية، رقم (٣٥٨٠)، وابن ماجه (٢٧٧٥/٢)، كتاب الأحكام، رقم (٢٣١٣)، ومستند أحمد (١٦٤/٢).

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهم، وهو عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بالتصغير بن سعد ابن سهم السهمي، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن، أحد السابقين المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء، مات بالطائف على الراجح، انظر: تقرير التهذيب ١٨٣.

(٢) تقدم تخریجه في، ص ١٧٠.

(٣) تقدم تخریجه في، ص ١٧٠.

(٤) النساء: ٢٩.

المشروعة والوسائل المُبَاحة، ويبتعد عن كلّ ما فيه ضررٌ
بالآخرين.

٢ - الإسلام يحث الناس على العمل:

لقد اهتمَ الإسلام بقضية العمل وحثَ الناس إليه وحذّرهم من البطالة والكسل، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَلَا تُكُوْنُوا مِنَ الرَّزِيقَةِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(١).
وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾^(٢).

ويقول - ﷺ - : «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإنَّ نبيَ الله داود كان يأكل من عمل يده»^(٣).

ولقد نهىَ الرسول ﷺ عن البطالة ونفر من السؤال والتسلُّوكَ ووجه السائلين إلى العمل، حتى إنَّه أمرَ أحدَ السائلين أنْ يبيعَ الكساء والوعاءَ اللذين لا يملكُ غيرَهما، ووجهَه إلى شراءِ آلةٍ ليعملَ ويتكسبَ بها.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه^(٤): أنَّ رجلاً من

(١) الملك: ١٥.

(٢) الجمعة: ١٠.

(٣) صحيح البخاري بشرح الفتح (٤/٣٠٣)، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، رقم (٢٠٧٢) عن المقدمان بن معدى كرب الكندي من صغار الصحابة، مات سنة بعض وثمانين بحمص، وليس له في البخاري سوى هذا الحديث وأخر في الأطعمة. انظر: فتح الباري (٤/٣٠٦).

(٤) هو أنس بن مالك بن النضر الأننصاري الخزرجي خادم رسول ﷺ، خدمه عشر سنين، مات سنة ٩٢، وقيل: ٩٣. انظر: تقرير التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ٣٩.

الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله!! فقال له الرسول ﷺ: «أما في بيتك شيء؟»، قال: بلـى، جلـس (كسـاء غـليظ) نـلبـس بـعـضـه وـنـبـسـط بـعـضـه، وـقـفـبـ (وعـاء) نـشـرـب فـيـه المـاء، فـقـالـ الرـسـوـل ﷺ: «ائـتـنـي بـهـمـا»، فـأـتـاهـ بـهـمـا، فـأـخـذـهـمـا رـسـوـلـ الله ﷺ بـيـدـهـ وـقـالـ: «مـنـ يـشـتـرـي هـذـيـنـ؟» قـالـ رـجـلـ: «أـنـاـ أـخـذـهـمـا بـدـرـهـمـ»، قـالـ رـسـوـلـ الله ﷺ: «مـنـ يـزـيدـ عـلـى الدـرـهـمـ؟» مـرـتـيـنـ أوـ ثـلـاثـاـ، قـالـ رـجـلـ: «أـنـاـ أـخـذـهـمـا بـدـرـهـمـيـنـ»، فـأـعـطـاهـمـا إـيـاهـ، وـأـخـذـ الدـرـهـمـيـنـ فـأـعـطـاهـمـا الـأـنـصـارـيـ، وـقـالـ لـهـ: «اشـتـرـ بـأـحـدـهـمـا طـعـامـا فـانـبـذـهـ إـلـى أـهـلـكـ، وـاشـتـرـ بـالـآـخـرـ قـدـومـا فـائـتـنـي بـهـ»، فـأـتـاهـ، فـشـدـ فـيـهـ رـسـوـلـ الله ﷺ عـوـدـاـ بـيـدـهـ، ثـمـ قـالـ: «اـذـهـبـ فـاحـتـطـبـ وـلـاـ أـرـيـتـكـ خـمـسـةـ عـشـرـ يـوـمـاـ»، فـقـعـلـ، فـجـاءـ وـقـدـ أـصـابـ عـشـرـ دـرـاهـمـ، فـاـشـتـرـ بـبـعـضـهـا ثـوـبـاـ، وـبـعـضـهـا طـعـامـاـ، فـقـالـ رـسـوـلـ الله ﷺ: «هـذـاـ خـيـرـ مـنـ أـنـ تـجـيـءـ وـالـمـسـأـلـةـ نـكـثـةـ» - عـلـامـةـ - فـيـ وـجـهـكـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ، إـنـ الـمـسـأـلـةـ لـاـ تـصـلـحـ إـلـاـ لـثـلـاثـةـ: لـذـيـ فـقـرـ مـدـقـعـ - شـدـيدـ الـفـقـرـ - أـوـ لـذـيـ غـرـمـ مـفـظـعـ - كـثـيرـ الـدـينـ - أـوـ لـذـيـ دـمـ مـوـجـعـ»^(١).

ويـتـبـرـ الإـسـلـامـ أـنـ الـذـيـ يـمـدـ يـدـهـ إـلـىـ النـاسـ وـهـ قـادـرـ عـلـىـ الـعـمـلـ إـنـسـانـ ذـلـيلـ، لـاـ حـيـاءـ فـيـهـ، مـائـعـ الشـخـصـيـةـ، يـقـولـ:

(١) أـخـرـجـهـ أـبـوـ دـاـودـ (٢٩٢/٢)، كـتـابـ الزـكـاةـ، بـابـ ماـ تـجـوزـ فـيـهـ الـمـسـأـلـةـ، رـقـمـ (١٦٤١)، وـالـتـرـمـذـيـ (٥٢٢/٣)، كـتـابـ الـبـيـعـ، بـابـ ماـ جـاءـ فـيـ بـيعـ مـنـ يـزـيدـ، رـقـمـ (١٢١٨)، وـالـنـسـائـيـ (٢٥٩/٧)، كـتـابـ الـبـيـعـ، بـابـ الـبـيـعـ فـيـ مـنـ يـزـيدـ، وـابـنـ مـاجـهـ (٧٤٠/٢)، كـتـابـ التـجـارـاتـ، بـابـ بـيعـ الـمـزاـيـدةـ، رـقـمـ (٢١٩٨).

«اليد العليا خير من اليد السفلية والعليا هي المتفقة، والسفلى هي السائلة»^(١).

بل إنَّ الرسول ﷺ ليدفع الإنسان إلى العمل حتى آخر لحظة من حياته فهو يقول: «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها»^(٢).

وتقدم معنا أمر الإسلام بكفالة حق العامل وإعطائه لأجره كاملاً بغير مماطلة.

بل إنَّ الإسلام ليذهب إلى أبعد من هذا عندما يجعل أنَّ لكل عامل أو موظف في الدولة الحق في المسكن، والإعانة في الزواج إذا لم يكن لديه ما يكفيه لتلبية هذه الحاجة الفطرية، وكذلك الحق في وسائل المواصلات حسب المناسب والميسر من أدوات الانتقال في كل عصر أي بحيث يذهب إلى عمله ويعود

(١) صحيح البخاري بشرح الفتح (٢٩٤/٣) في الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، رقم (١٤٢٩)، ومسلم (٧١٧/٢)، كتاب الزكاة، رقم (١٠٣٤) عن عبدالله بن عمر وحكيم بن حزام رضي الله عنهم، وعبدالله بن عمر بن الخطاب العدوبي، ولد بعد المبعث بيسيير، واستصغر يوم أحد وهو ابن اربع عشرة سنة، وهو أحد المكرثين من الصحابة والعبادلة، وكان من أشد الناس اتباعاً للأثر، مات في آخر سنة ٧٣، أو في أول سنة ٧٤. انظر: تقريب التهذيب ١٨٢. وأما حكيم بن خويلد بن أسد بن عبد العزى الأستاذ أبو خالد المكي فهو ابن أخي خديجة أم المؤمنين، أسلم يوم الفتح وصحب وله أربع وسبعون سنة، ثم عاش إلى سنة أربع وخمسين أو بعدها، وكان عالماً بالنسبة.

انظر: تقريب التهذيب ٨٠ - ٨١.

(٢) مسنن الإمام أحمد (١٨٤/٣)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

بيسر وسهولة.. وهذا ما هو معمول به في الدولة السعودية
وفقها الله .

يقول رسول الله ﷺ: «من وُلِّيَ لَنَا عَمْلًا وَلَيْسَ لَهُ مَنْزِلٌ
فَلْيَتَخَذْ مَنْزِلًا، أَوْ لَيْسَ لَهُ امْرَأةٌ فَلْيَتَزَوَّجْ، أَوْ لَيْسَ لَهُ دَابَّةٌ
فَلْيَتَخَذْ دَابَّةً»^(١).

وهكذا يكون الإسلام سباقاً في دفع الناس إلى العمل
والجِدُّ والنشاط، كما أنه سباقاً في تحقيق الضمان والرعاية
الكريمة للعمال والفقراء والمحاجين، الأمر الذي لم تصل إليه
قوانين البشر سواء في الشرق أو في الغرب، ولكن المشكلة أنَّ
الشيوعيين لا يعرفون شيئاً عن الإسلام، ومن منطلق هذا الجهل
ظنوا أنَّ الإسلام مجرد دين لا نظام فيه ولا اقتصاد ولا سياسة.

ألا قبح الله الكفر والجهل .

٣ - ضمان حد الكفاية لكل فرد في المجتمع المسلم:

ومعنى ذلك أنه يتبعى لـكُلّ فرد في المجتمع المسلم، إذا
عجز عن تحقيق كفایته بجهده لظروف خارجية عن إرادته، فإنَّ
نفقة ت تكون في بيت المال .

جاء في الأحكام السلطانية للماوردي :

«وأما تقدير العطاء فمعتبر بالكافية حتى يستغنى بها عن التماس

(١) انظر: مسند الإمام أحمد (٤/٢٢٩) عن المستورد بن شداد رضي الله عنه، وهو المستورد بن عمرو القرشي الفهري، حجازي نزل بالكوفة، له ولابيه صحبة، مات سنة ٤٥. انظر: تقرير التهذيب، ٣٣٤.

مادة تقطعه عن حماية البيضة^(١)، والكافية معتبرة من ثلاثة أوجه:

أحداها: عدد ما يعوله من الذاري والمماليك.

والثاني: عدد ما يرتبطه من الخيل والظهر.

والثالث: الموضع الذي يحله في الغلاء والرخص.

فيقدر كفایته وكسوته لعامه كله، فيكون هذا المقدار في عطائه، ثم تعرض حاله في كل عام، فإن زادت رواتبه الماسة زيد، وإن نقصت نقص^(٢). أي كلما زاد دخل الدولة الإسلامية وسع الحاكم على العباد وزاد في رواتبهم، وإن نقص دخل الدولة نقص من رواتبهم.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٣) وهو يوزع الرواتب: لا يفرض للمولود شيئاً حتى يفطم، إلى أن سمع امرأة ذات ليلة وهي تُكره ولدها على الفطام وهو يبكي، فسألها عنه؟ فقالت: إنَّ عمر لا يفرض للمولود حتى يفطم، فأنا أكرهه على الفطام حتى يفرض له، فقال: يا ويل عمر كم ارتكب من وزر وهو لا يعلم، ثم أمر عمر مناديه فنادى: ألا لا تعجلوا أولادكم بالفطام فإننا نفرض لكل مولود في الإسلام^(٤).

(١) بيضة القوم: وسطهم، وساحتهم، وببيضتهم: جماعتهم. انظر: اللسان (١٢٧/٧).

(٢) الأحكام السلطانية، الماوردي، ص ٢٥٦، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) هو عمر بن الخطاب بن نفیل أبو حفص أمير المؤمنین رضي الله عنه، استشهد في ذي الحجة سنة ٢٣، وولي الخلافة عشر سنين ونصفاً، انظر: ترجمته في الإصابة ٥١٨/٢، وتقریب التهذیب ٢٥٣.

(٤) الأحكام السلطانية الماوردي، ص ٢٥٢.

٤ - التنمية الاقتصادية في الإسلام:

اهتم الإسلام بتنمية الموارد البشرية والطبيعية ووجه الناس إلى أهميتها وما تحويه من منافع عظيمة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جِبِيلًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ﴾^(٢).

نستطيع أن نقول: إنَّ أهم خطوط التنمية الاقتصادية في الإسلام تمثل في ما يلي:

أ - الزراعة واستصلاح الأرض البور التي عبر عنها الفقه الإسلامي بإحياء الأرض الموات، فعن جابر بن عبد الله، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له أرض فليزرعها، فإن لم يزرعها فليزرعها أخيه»^(٣).

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً فياكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة»^(٤).

(١) الأعراف: ١٠.

(٢) الجاثية: ١٣.

(٣) صحيح البخاري بشرح الفتح ٢٢/٥، كتاب الحرج والمزارعة، باب ما كان من أصحاب النبي ﷺ يواسى بعضهم بعضاً في الزراعة والثمر، رقم (٢٣٤٠)، وصحيح مسلم (١١٧٦/٣)، كتاب البيوع، باب كراء الأرض، رقم (١٥٣٦).

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ٣/٥، كتاب الحرج والمزارعة، باب اقتناة الكلب للحرث، رقم (٢٣٢٠)، وصحيح مسلم (١١٨٩/٣)، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، رقم (١٥٥٣).

ومن أجل المحافظة على الزراعة والاستفادة من الأرض يأمر الرسول ﷺ بانتزاع الأرض ممن حجرها ولم يستفد منها فيقول: «من أحيَا أرضاً ميتة فهي له وليس لعرق ظالم حق»^(١).

ب - التجارة والبيع: وقد حث الإسلام عليهما، قال الله تعالى: «وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَمَ الْرِّبَا»^(٢).

وقد فضل الفقهاء أصول التجارة والبيوع في أبواب الفقه الإسلامي وتحدثوا في ذلك عن البيوع وأنواعها، والعقود وشروط صحتها، وأنواع المعاملات المالية من سلم، وشركة، ومضاربة، ووكالة، وإجارة، وغيرها من المعاملات التجارية^(٣). بشرط أن تكون هذه العقود والتصرفات بالكيفية التي شرعها الإسلام.

ج - استخراج المعادن من باطن الأرض، والتنقيب عن ما وضعه الله تعالى في جوفها من خيرات، قال تعالى: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلِيلًا فَأَتَمْشُوا فِي مَنَائِكَهَا وَلَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَلَا يَرْجِعُوا إِلَيْهِ الشُّورُ»^(٤).

وقد فضل الفقهاء أحكام تلك الموارد واعتبروها من الأمور المتعلقة بعمارة الأرض وتنمية الموارد^(٥).

(١) الموطأ (٧٤٣/٢)، كتاب الأقضية، باب القضاء في عمارة الموات، والترمذى (٦٦٢/٣) في الأحكام، باب ما ذكر في إحياء الأرض الموات، وأبو داود (٤٥٤/٣)، في الخراج والفيء والإجارة، باب في إحياء الموات، رقم (٣٠٧٣). عن سعيد بن زيد رضي الله عنه، وهو الصحابي الجليل سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، أبو الأعور، أحد العشرة - المبشرين بالجنة - مات سنة ٥٠ أو بعدها. انظر: تقرير التهذيب ٢٣١٤.

(٢) البقرة: ٢٧٥.

(٣) انظر: المغني، ابن قدامة (٣/٥) وما بعدها.

(٤) الملك: ١٥.

(٥) انظر: المغني، ابن قدامة (٥/٥٧٢) وما بعدها.

د - استخراج الشروات المائية، وتوجيه الأنظار إلى ما تحتويه البحار من نعم الله، وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَاعِيْ شَرَابِهِ وَهَذَا مَلْحٌ أَجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَهُمَا طَرِيْقًا وَتَسْتَخِرُونَ جِلَّهُ تَبَسُّونَهَا وَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَارِخَ لِتَبَغُّوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١).

ويقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفَلَكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبَغُّوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣).

ه - الصناعة بأنواعها وأشكالها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَاءَنَا دَأْوِدَ مِنَّا فَضْلًا يَنْجِيَّاً أَوْيَ مَعَهُ وَالظَّيْرُ وَالنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾^(٤) أَنِّي أَعْمَلَ سَيِّفَتٍ وَقَدْرَزٍ فِي السَّرَّدِ وَأَعْمَلُوا صَنْلَحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾^(٦).

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى - : (أي وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه، ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين، وبيان وإيضاح للتوحيد، وبيانات ودلائل، فلما قامت الحجة على من خالف شرع الله الهجرة، وأمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعاند...).

(١) فاطر: ١٢.

(٢) الجاثية: ١٢ - ١٣.

(٣) سباء: ١٠ - ١١.

(٤) الحديد: ٢٥.

وقوله: «فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ» يعني السلاح كالسيوف وال الحرب والأسنان والنصال والدروع وغيرها، «وَمَنْفَعُ لِلنَّاسِ» أي في معاشهم كالسكة والفأس والقدوم والمنشار والإزميل والمجربة والآلات التي يستعان بها في الحراثة والحياة والطبخ والخبز وما لا قوام للناس بدونه وغير ذلك^(۱) ا.ه.

٥ - الزكاة في الإسلام:

إنَّ الإسلام لا يترك غيرَ القادرين على العمل يموتون جوعاً، كما تذهبُ إلى ذلك الماركسية.. بل إنَّ الإسلام جعل الزكاة أحد أركانه العظام، ومبانيه الأساسية، وهي قرينة الصلاة في مواضع كثيرة من القرآن العظيم، قال تعالى: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَءُثُرُوا الْزَكُورَةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ فَرِضًا حَسَنًا»^(۲).

وفي الحديث أنَّ النبي ﷺ بعث معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن وقال له: «... فَاعْلَمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَاهُمْ وَتُرَدُّ عَلَى فَقَرَانِهِمْ»^(۳).

وقد فرضَ الإسلامُ الزكاةَ على أهمِّ أنواعِ الثروةِ ومظاهر النشاط الاقتصادي كالخارج من الأرض من الحبوب والثمار، وبهيمة الأنعام، والذهب والفضة والأوراق النقدية، وعروض

(۱) تفسير ابن كثير (٤/٣٣٦).

(۲) المزمل: ٢٠.

(۳) صحيح البخاري بشرح الفتح (٢٦١/٣)، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم (١٣٩٥)، ومسلم (٥١/١) كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام رقم (١٩). عن ابن عباس رضي الله عنهما.

التجارة، وذلك بالشروط والمقدار المبينة في كتب الفقه الإسلامي.

وإنفاق الزكاة يكون في مصارفها الشرعية للفقراء والمساكين وسائر الأصناف الثمانية التي حددتها الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْلَفَةُ فِلُوْهُمْ وَفِي الْرِّقَابِ وَالْفَتَرِيمَنَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾^(١).

وليرعلم الشيوعيون أنَّ الزكاة في الإسلام ليست مجرد منحة من صاحب المال يعطيها أو يمنعها وإنما هي واجب وحق معلوم لا مفرَّ منه كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَنْوَافِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^(٢)، وقال: ﴿وَمَاتَ ذَا الْقَرِئَ حَقَّهُ وَالْمَسَاكِينَ وَأَبْنَ السَّبِيلِ﴾^(٣)، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾^(٤).

ومن أجل ذلك شَرَعَ الإسلامُ قتال مانعي الزكاة وقاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقال: والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه^(٥).

وفي ذلك ما يكفل تحقيق التكافل الاجتماعي وسد حاجة

(١) التوبه: ٦٠.

(٢) المعارج: ٢٤ - ٢٥.

(٣) الروم: ٣٨.

(٤) الأنعام: ١٤١.

(٥) صحيح البخاري بشرح الفتح (٢٥٠/١٣)، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم (٧٢٨٤)، ٧٢٨٥، ومسلم (٥٢/١)، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، رقم (٢٠).

المعوزين والفقراء، وإشاعة روح التعاون والتضامن بين أفراد المجتمع المسلم.

٦- الميراث في الإسلام:

يُلاحظ أنَّ نظام الميراث في الشريعة الإسلامية لا يحصر تركة الميت بيد فرد أو أفراد، بل يشترك في الميراث عدد كبير من أقرباء الميت كالأبناء والبنات والأباء والأمهات والأزواج والزوجات والأخوة والأخوات... إلخ.

«وهذا مما يؤول حتماً إلى تفتت رأس المال مهما كان كثيراً وتقسيمه إلى ملكيات صغيرة، بينما نجد أنَّ نظام الإرث في أكثر دول العالم غير الإسلامي محصور بيد طبقة قليلة معينة، وهذا حتماً مما يؤدي إلى تضخم رأس المال عن طريق النقلة والتوارث»^(١).

والنظام الإسلامي يتفق وطبيعة النفس البشرية التي تحب أنْ تجني ذرية الإنسان وذوي قرابته ثمرة جهده وكده، ولو أنه ترك الأمْرُ لِتَسْلَمَ الشروة بعد الوفاة إلى غير عقبه لحمل ذلك كل شخص أنْ يحاول القضاء على كل ثروته في حياته، ما دام لا يعود شيء منها عليهم.

والإسلام بذلك يقف موقفاً وسطاً بين الرأسمالية التي تترك الحرية للشخص يتصرف بما له كيف يشاء، فله أنْ يحرم أولاده من ميراثه ويوصي به إلى من يريد من خادم أو صديق أو

(١) انظر: التكافل الاجتماعي في الإسلام، عبدالله علوان، ص ٢٨.

حيوان... وبين الماركسية التي تنكر في أصولها الأولى نظام الإرث وتعتبره ظلماً يتناهى مع مبادئ العدالة فلا تعطي أبناء الميت وأقربائه شيئاً.

وفي حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يقول رسول الله ﷺ: «إنك إن تركت ولدك أغنياء خيرٌ من أن تتركهم عالة يتکفرون الناس»^(١).

٧ - ترشيد الاستهلاك والإنفاق في الإسلام:

وذلك بتحريم التبذير والإسراف، لقول الله تعالى: «إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَنِ وَكَانَ الشَّيْطَنُ لِرَبِّهِ كَفُورًا»^(٢)، ويقول تعالى: «وَلَا تُشْرِفُوا إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ»^(٣).

فالإسلام حريص على التوازن وعدم الإفراط والتفرط في استعمال الوسائل الاقتصادية.

يقول تعالى: «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَلَقَعْدَ مَلُومًا تَحْسُورًا»^(٤).

ويقول سبحانه: «وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْرُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا»^(٥).

(١) صحيح البخاري بشرح الفتح (١٤/١٢)، كتاب الفرائض، باب ميراث البنات، رقم (٦٧٣٣).

(٢) الإسراء: ٢٧.

(٣) الأعراف: ٣١.

(٤) الإسراء: ٢٩.

(٥) الفرقان: ٦٧.

وبذلك نجد أنَّ الاقتصاد الإسلامي يتميَّز عن الاقتصاد الرأسمالي والاقتصاد الشيوعي؛ ذلك أنَّ الاقتصاد الرأسالي لا هدف له سوى الترف وإشباع الرغبات التي لا تقفُ عند حد الحلال، والاقتصاد الشيوعي يكتفي بمرحلة الشح والتضييق على الناس في مأكلهم ومشربهم وملبسهم والإسلام غير هذا وذاك.



المبحث الثالث

وسائل التكافل الاجتماعي في الإسلام

إنَّ وسائل التكافل الاجتماعي في الإسلام لا تقتصرُ على وسيلة الزكاة وحدها - الأمر الذي سبق بيانه - وإنما تشتمل على وسائل أخرى كثيرة من أهمها ما يلي :

١ - النذور: ومن التكافل الاجتماعي في الإسلام ما ينذره المسلم من مال ونحوه تقرباً به إلى الله تعالى. كأن يقول: الله علىي نذر إن شفى الله مريضي أن أذبح شاة للفقراء. أو الله على نذر ألف ريال صدقة على الفقراء، ونحو ذلك من نذر الطاعة، قال تعالى: ﴿تُؤْفَنَ بِالنَّذْرِ وَتَغْافَلُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مِمَّا يَعْلَمُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾^(٢).

٢ - الكفارات: ومن وسائل التكافل الاجتماعي في الإسلام ما يوجبه الله تعالى على المسلم من إطعام للمساكين أو تصدق على الفقراء إذا عمل مخالفة شرعية، وتشتمل على:

(١) الإنسان: ٧.

(٢) البقرة: ٢٧٠.

أ - كفارة الإفطار في شهر رمضان:

فمن كفارة من يفطر في نهار رمضان لمرض أو كبر ولا يستطيع القضاء فإنه يطعم عن كل يوم مسكيناً، قال تعالى: «وَعَلَى الَّذِينَ يُطْبِقُونَهُ فِتْنَةً طَعَامٌ مِسْكِينٌ»^(١).

ومن جامع في نهار رمضان فإن عليه عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع إطعام ستين مسكيناً؛ وذلك كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت، قال: «ما لك؟» قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: «هل تجد رقبة تعتقها؟» قال: لا. قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» قال: لا. قال: «فهل تجد إطعام ستين مسكيناً؟» قال: لا. قال: فمكث النبي ﷺ، فبينما نحن على ذلك أتى النبي ﷺ بعرق^(٢) فيها تمر، قال: «أين السائل؟»، فقال: أنا. قال: «خذ هذا فتصدق به...»^(٣) الحديث.

ب - كفارة الصيد في الإحرام عمداً:

ومن كفارة قتل الصيد في الإحرام بالحج أو العمرة: ما جاء في قوله تعالى: «إِنَّمَا الَّذِينَ مَاتُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُّونَ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعِيْدًا فَجَرَأَهُ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ

(١) البقرة: ١٨٤.

(٢) هو زبيل - مكتل - منسوج من الخوص وكل شيء مضفور فهو عرق وعرقة بفتح الراء فيهما. انظر: النهاية في غريب الحديث (٢١٩/٣).

(٣) صحيح البخاري بشرح الفتح (٤/١٦٣)، كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء فتصدق عليه فيكفر، رقم (١٩٣٦).

مِنْكُمْ هَذِيَا بَلِّغَ الْكَعْبَةَ أَوْ كَثْرَةً طَعَامٌ مَسْكِينَ»^(١).

ومن كفارة من يحلق رأسه في الإحرام بالحج: الصوم أو الصدقة أو الذبح كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَلْبَغَ الْمَهْدُى مَحْلُمٌ فَنَّ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذَىٰ مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٌ أَوْ سُكُونٌ﴾^(٢).

ج - كفارة الأيمان:

ومن كفارة اليمين ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكُنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَدَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرُهُمْ بِإِطْعَامِ عَشَرَةِ مَسْكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا نَطَعْمُونَ أَهْلِكُمْ أَوْ كَسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقْبَتُهُمْ﴾^(٣).

د - كفارة الظهار:

وهو أن يقول لزوجته: أنت على كظهر أمي ونحو ذلك. وكفارته كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظْهِرُونَ مِنْ نِسَاءِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَاتُلُوا فَتَحْرِيرُ رَقْبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَسَّأَ ذَلِكُو ثُوَّاعِنُونَ يَهُ وَاللَّهُ بِمَا قَعَدُوا خَيْرٌ﴾^(٤) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصَيَامُ شَهْرَيْنِ مُسْتَأْعِنِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَسَّأَ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٤).

وهذا إذا لم يجد تحرير رقبة، ولم يستطع صيام شهريين متتابعين. كما جاء في الآية الكريمة.

ه - كفارة القتل الخطأ:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ

(١) المائدة: ٩٥.

(٢) البقرة: ١٩٦.

(٣) المائدة: ٨٩.

(٤) المجادلة: ٣ - ٤.

فَنَلَّ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقْبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصْنَدِّفُوا فَإِنْ كَانَ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقْبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ كَانَ مِنْ قَوْمٍ يَتَنَاهُمْ يَتَنَاهُمْ فِي شَيْءٍ فَدِيَةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقْبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُسْتَأْعِينٌ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَسْبًا ﴿١٢﴾^(١).

٣- الإنفاق على الزوجة والأبناء العاجزين عن الكسب، وكذلك الإنفاق على المحتججين من الأقارب على اختلاف بين الفقهاء.

قال تعالى: «وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَإِلَوَالَّذِينَ إِخْسَنُوا وَإِنِّي أَقْرَبُ وَأَلْتَقِنُ وَالْمَسْكِينَ وَالجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبُ وَالضَّاحِكُ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»^(٢).

وكذلك حتَّى الإسلامُ المسلمُ على إسعافِ الجائعِ والمحاجِ ومساعدته من قريب أو جار أو غيره وتقديم العون له من مال أو طعام أو كساء وخلافه.

روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كان معه فضلٌ ظهر»^(٣) فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضلٌ زاد فليعد به على من لا زاد له» قال أبو سعيد: فذكر رسول الله - ﷺ - من أصناف المال ما ذكره حتى رأينا أنه لا حقٌ لأحد مِنَ في فضل^(٤).

(١) النساء: ٩٢.

(٢) النساء: ٣٦.

(٣) أي: مركوب.

(٤) صحيح مسلم (١٣٥٤/٣)، في اللقطة، باب استحباب المواساة بغضول المال رقم (١٧٢٨) وأبو داود (٣٠٥/٢) في الزكاة، باب في حقوق المال رقم (١٦٦٣).

٤ - الأضاحي : قال الله تعالى : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ﴾^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال : «ما عمل آدميٌ من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم ، إنها لتأتي يوم القيمة بقرونها وأشعارها وأظلافها ، وإنَّ الدَّمَ لِيَقُعَ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقُعَ عَلَى الْأَرْضِ ، فَطَبِّبُوهَا بِهَا نفساً»^(٢).

٥ - زكاة الفطر : ففي الصحيحين من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين»^(٣).

والواجب في الفطرة هو طعام الآدميين من تمر أو بُر أو أرز أو زبيب أو أقط أو غيرها من طعام بني آدم.

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : «كُنَّا نُخْرُجُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْفِطْرِ صاعاً مِنْ طَعَامٍ ، وَكَانَ طَعَامُنَا الشَّعِيرُ وَالزَّبِيبُ وَالْأَقْطُ وَالْتَّمْرُ»^(٤).

(١) الكوثر : ٢.

(٢) سنن الترمذى (٤/٨٣)، كتاب الأضاحي، باب ما جاء في فضل الأضحية، رقم (١٤٩٣).

(٣) صحيح البخاري بشرح الفتح (٣٦٧/٣)، كتاب الزكاة، باب فرض صدقة الفطر (١٥٠٣)، ومسلم (٦٧٧/٢) في الزكاة، باب زكاة الفطر على المسلمين (٩٨٤).

(٤) صحيح البخاري بشرح الفتح (٣٧٥/٣)، كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل العيد، رقم (١٥٠٩)، ومسلم (٦٧٨/٢)، كتاب الزكاة، باب زكاة الفطر، رقم (٩٨٥).

٦ - الأوقاف: والوقف: مصدر وقف، وجمعه أوقاف،
يقال: وقف الشيء وأوقفه وحْبَسَه وأحبسه وسبله بمعنى واحد.

وفي الاصطلاح: تحبيس الأصل وتسبييل المنفعة بصرف
ريعه إلى جهة بُرّ تقرباً إلى الله تعالى^(١).

والأصل في مشروعيته ما جاء في الصحيحين عن ابن عمر
رضي الله عنهما قال: أصاب عمر بخبير أرضاً، فأتى النبي ﷺ
فقال: أصبت أرضاً لم أصب مالاً قط أنفس منه، فكيف تأمرني
به؟ قال: «إِن شَتَّ حَبَّتْ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقَتْ بِهَا» فتصدق عمر أنه
لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يُورَثُ في القراء والقربى وفي
الرقاب وفي سبيل الله والضيف وابن السبيل، لا جناح على من
وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقاً غير متمول فيه^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِذَا
ماتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةِ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ
عِلْمٍ يَتَنَفَّعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(٣).

(١) انظر: المغني، ابن قدامة (٥٩٧/٥)، الروض المربيع بشرح زاد المستقنع (٢٦٥/٢)، أحكام الوقف والوصية، الدكتور صالح السدلان، ص. ٦.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، (٣٩٩/٥)، كتاب الوصايا، باب الوقف كيف يكتب، رقم (٢٧٧)، وصحيح مسلم (١٢٥٥/٣)، كتاب الوصية، باب الوقف رقم (١٦٣٢).

(٣) صحيح مسلم (١٢٥٥/٣)، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الشواب بعد وفاته، رقم (١٦٣١)، سنن أبي داود (٣٠٠/٣)، كتاب الوصايا، باب ما جاء في الصدقة عن الميت، رقم (٢٨٨٠)، والترمذى (٦٦٠/٣)، كتاب الأحكام، باب في الوقف، رقم (١٣٧٦)، والنسائي (٢٥/٦)، كتاب الوصايا، باب فضل الصدقة.

٧ - الوصايا: ومن وسائل التكافل في الإسلام أن يوصي المسلم قبل موته من ماله في حدود الثلث لجهات البر والخير وقد ثبتت الوصية بالقرآن والسنة:

أما القرآن فلقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا أَوْصِيَةً لِلْوَالِدَيْنَ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَفًا عَلَى الْمُنَّاقِبِ﴾^(١).

أما السنة: فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهمما: أن رسول الله ﷺ قال: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه بيت ليترين إلا ووصيته مكتوبة عنده»^(٢).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث»^(٣).

٨ - الضيافة: وهي من التقاليد العربية الأصيلة التي أمر الإسلام بها وحافظ عليها، وقد عدَّ الرسول ﷺ إكرام الضيف من مقتضيات الإيمان بالله واليوم الآخر. فعن أبي شريح العدوبي رضي الله عنه^(٤)، أنه قال: سمعت أذنائي وأبصرت عيناي حين

(١) البقرة: ١٨٠.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (٣٥٥/٥)، كتاب الوصايا، في فاتحته، رقم (٢٧٣٨)، ومسلم (١٢٤٩/٣)، كتاب الوصية، رقم (١٦٢٧).

(٣) سنن أبي داود (٢٩٠/٣ - ٢٩١)، كتاب الوصايا، باب ما جاء في الوصية للوارث، رقم (٢٨٧٠)، والترمذى (٤٣٣/٤)، كتاب الوصايا، باب ما جاء لا وصية لوارث، رقم (٢١٢٠)، والنسائي (٢٤٧/٦)، كتاب الوصايا، باب إبطال الوصية للوارث.

(٤) هو هانئ بن يزيد المذحجي أبو شريح، صحابي نزل الكوفة، انظر: تقريب التهذيب، ٣٦٣.

تكلم رسول الله ﷺ فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته»، قالوا: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «يومه وليلته، أو الضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه»^(١).

٩ - العارية: وهي من أعمال البر والخير ومن التعاون الذي أمر الله به في قوله تعالى: «وَتَعَاَوْنُوا عَلَى الْإِيمَانِ وَالثَّقَوْيَّ وَلَا نَعَوْنُوا عَلَى الْأَئْمَرِ وَالْعَدْوَنِ»^(٢).
وذلك لأنّ يستعير الجار من جاره متاعاً ونحوه ثم يرده إليه بعد الانتفاع به بدون مقابل.

وقد ورد أنَّ النبي ﷺ استعار فرساً من أبي طلحة فركبه، واستعار درعاً من صفوان بن أمية^(٣) يوم حنين، فقال له صفوان:

أغصب يا محمد أم عارية؟ فقال: «بل عارية مضمونة»^(٤).

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٤٤٥/١٠)، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، رقم (٦٠١٩)، وصحيح مسلم (١٣٥٢/٣)، كتاب اللقطة، باب الضيافة ونحوها، حديث (١٤)، وموطأ الإمام مالك (٩٢٩/٢)، كتاب صفة النبي ﷺ، باب جامع ما جاء في الطعام والشراب حديث (٢٢).

(٢) المائدة: ٣.

(٣) هو صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن قدامة بن جمّع القرشي، الجمحي المكي، صحابي من المؤلفة، مات أيام قتل عثمان، وقيل: سنة ٤١، أو ٤٢ في أوائل خلافة معاوية، انظر: تقرير التهذيب ١٥٣.

(٤) سنن أبي داود (٨٢٣/٣)، كتاب البيوع والإجرارات، باب في تضمين العارية رقم (٣٥٦٢)، والترمذى (٥٦٥/٣)، كتاب البيوع، ما جاء في أن العارية مؤداة رقم (١٢٦٥).

وقد جاء القرآن الكريم متداً ومتوعداً من يمنع الخير عن الناس، فقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّيْنَ الَّذِيْنَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُوْنَ ۚ الَّذِيْنَ هُمْ يُرَاءُوْنَ وَيَمْنَعُوْنَ ۖ الْمَاعُوْنَ﴾^(١).

والماعون: كما فسّر ابن كثير - هو كلّ ما ينتفع به من شؤون البيت وغيره، وكلّ ما يستعينه الناس في ما بينهم كالفايس والقدر والدلو وأمثالها...^(٢).

ولا شك أنّ مؤازرة الناس بعضهم بعضاً، واندفعهم نحو الخير.. من السجايا الكريمة التي تتوثق بها الروابط بين الناس وتنمو بسيبها الألفة والمحبة في المجتمع، وتتوطد بتحقيقها دعائم العطف والتراحم.

١٠ - الإيثار: هو أن يقدّم الإنسان ويفضّل غيره بالمال على نفسه ولو كان في غاية الحاجة والفاقة إليه، وذلك رغبة في الأجر والثواب من الله تعالى.

وهو من أفضل المكارم وأنبلها خلقاً وأصالحة، وقد امتدح الله تعالى صحابة رسول الله ﷺ على خلق الإيثار والمحبة وبفضيلة التأزر والتضحية، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِيْنَ تَبَوَّءُوْنَ الدَّارَ وَالْأَيْمَنَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْبِيْنَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحْدُوْنَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً إِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتَوْنَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَإِنْ كَانَ يَهُمْ خَاصَّةً وَمَنْ يُوْقَ شُعَّ نَفْسِيْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ﴾^(٣).

(١) الماعون: ٤ - ٧.

(٢) تفسير ابن كثير (٥٨٩/٤).

(٣) الحشر: ٩.

١١ - الصدقات: وهي موكولة إلى ما يبذله المسلم من مال في وجوه الخير وليس لها حد، وإنما مرجعها كرم النفس ومدى حرصها على القرب من الله سبحانه وتعالى، وإليها الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَسْتَعْلُونَكُمَا مَا دَأْبُونَ فُلِّ الْعَفْوُ﴾^(١). والعلفو هو ما زاد عن حاجة الإنسان وأهله^(٢).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِإِيمَانٍ وَالنَّهُارِ سِرًا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرٌ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣).

وعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهم - أنَّ رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر: «... خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد السفلة، وابداً بمن تعول»^(٤).

١٢ - القرض الحسن للمحتاج: يقول تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيَضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾^(٥)

١٣ - المنيةحة: هي الناقة أو الشاة يعطيها المسلم غيره ليتنفع ببنها ثم يردها إليه، لقول الرسول ﷺ: «ألا رجل يمنع أهل بيته ناقة... إنَّ أجرها لعظيم»^(٦).

(١) البقرة: ٢١٩.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢٦٥/١).

(٣) البقرة: ٢٧٤.

(٤) أصل الحديث في صحيح البخاري ومسلم، وقد سبق تحريرجه، وهذه الرواية للنسائي، ٦٢/٥، كتاب الزكاة، باب الصدقة عن ظهر غنى.

(٥) البقرة: ٢٤٥.

(٦) صحيح مسلم (٧٠٧/٢)، كتاب الزكاة، باب فضل المنيةحة، رقم (١٠١٩)، وأحمد في المسند، (٢٤٢/٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقول الرسول ﷺ: «أربعون خصلة أعلاهن منيحة العنز، ما يعمل رجل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعدها إلاً أدخله الله بها الجنة»^(١). ولا شك أنَّ منح الناقة أو العنز هو مجرد مثل ويقاس عليه كل ما يمكن منحه لإنانة المحتاج والمحروم.

١٤ - الهدايا والهبات: ومن وسائل التكافل الإسلامي حض الإسلام على الهدية أو الهبة، وهي من العوامل التي تغرس في القلوب أواصر المحبة، وتحقق في المجتمع روابط الود والألفة، بل هي من موارد التكافل التي تظهر العطية بمنظور العزة والكرامة، فلا يخجل بأخذها فقير، ولا يتبرج من تملُّكها محتاج... ولهذا نجد أنَّ الإسلام أمر بها وبين الحكمة منها.

فقال ﷺ: «تهادوا تحابوا، وتذهب الشحناة»^(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها^(٣) قالت: «كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية وينسب إليها»^(٤).

(١) سنن أبي داود، (٣١٥/٢)، كتاب الزكاة، باب في المنبيحة، رقم (١٦٨٣). عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) الموطأ (٩٠٨/٢)، كتاب حسن الحق، باب ما جاء في المهاجرة، رقم (١٦)، عن عبدالله الخرساني.

(٣) أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها، أفقه نساء العالمين، توفيت سنة ٥٨، وقيل: ٥٧، انظر: الإصابة، ابن حجر ٣٥٩/٤، وتقريب التهذيب.

(٤) صحيح البخاري مع الفتح (٢١٠/٥)، كتاب الهبة، باب المكافأة في الهبة، رقم (٢٥٨٥)، وأبو داود (٨٠٦/٣)، كتاب البيوع والإجرات، باب في قبول الهدايا، رقم (٣٥٣٦).

وقال ﷺ: «تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر»^(١).

ولكي لا تتولد البغضاء في النفوس.. حرمت الشريعة الإسلامية الرجوع في الهبة، ونفرت بالعودة في الهدية - عدا الوالدين - حتى يكون البناء الاجتماعي قوياً مترافقاً لا تعمل فيه عوامل الهدم.. فعن ابن عباس رضي الله عنهمما قال: قال رسول الله ﷺ: «العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه»^(٢).



(١) وحر الصدر قيل: الحقد والغيبة، وقيل: العداوة، وقيل: شدة الغضب.
انظر: النهاية، ابن الأثير (١٦٠/٥).

(٢) أخرجه الترمذى (٤٤١/٤)، كتاب الولاء والهبة، باب في حث النبي ﷺ على التهادي، رقم (٢١٣٠)، وأحمد في المسند (٤٠٥/٢).

(٣) صحيح البخاري مع الفتح (٣٥٣/٣)، كتاب الزكاة، باب هل يشتري صدقته؟...، رقم (١٤٩٠)، وصحيح مسلم (١٢٤١/٣)، كتاب الهبات، باب تحريم الرجوع في الصدقة والهبة بعد القبض، رقم (١٦٢٢).



الخاتمة

وبعد حمد الله تعالى وتوفيقه لي بإتمام هذا البحث أود أن
أسجل أهم النتائج وال عبر المستفادة من البحث في ما يلي:

- ١ - إنَّ الأفكار الشيوعية ليست هي من اختراع ماركس وإنجلز؛ بل هي قديمة في التاريخ ولكن لم يُكتب لها النجاح، وقد أطلق الكتاب على تلك الأفكار اسم الاشتراكية الخيالية تفريقاً بينها وبين الاشتراكية الحقيقة التي حملت طابعاً اقتصادياً.
- ٢ - إنَّ الشيوعية خطة يهودية غاشمة أسسها وروج لها وأقامها اليهود بقصد إفساد البشرية وتدميرها دينياً ومعنوياً وأخلاقياً واقتصادياً سياسياً، ليتسنى لليهود إقامة دولتهم المنتظرة بزعيمهم وهي مملكة إسرائيل الكبرى.
- ٣ - إنَّ من أهم أسباب انتشار الشيوعية في العالم الإسلامي هو ابتعاد المسلمين عن دينهم، وتقليلهم لأعدائهم ورفع شعارات القومية والحزبية والعلمانية . . .
- ٤ - إنَّ الملكية الفردية نزعة فطرية في النفوس البشرية، وإنَّ الظلم ناشئ عن سوء استخدامها، وإنَّ الملكية في الإسلام لا بد أنْ تأتي من طريق حلال مشروع، فإنْ نشأت عن طريق

غير مشروع فإنَّ الإسلام لا يعترف بها ولا يجيزها.

٥ - إنَّ قول الماديين بأزلية المادة وأبديتها يستهدف إنكار وجود الخالق جلَّ وعلا. وقد أكدت البحوث العلمية بطلان هذا الادعاء من أساسه، وإنَّ المادة حادثة خلقها الله تعالى بعد أن لم تكن وإنَّ مصيرها إلى الزوال والفناء.

٦ - تبيين بالأدلة العلمية بطلان فهم الماديين قوانين المادة في ذاتها، وأنَّ التناقض غير موجود فيها، بل إنَّ ظواهر الوجود قائمة على التكامل والتزاوج، وأنَّ الصراع والتناقض يحصل عند الإخلال بهذا التوازن. كما تبين أنَّ التطور لا يكون دائماً صاعداً بل قد يكون نحو الأدنى والأسوأ أو الأعلى والأفضل وقد يعود إلى الحالة الأصلية.

٧ - ظهر من البحث أنَّ الشيوعيين لا يملكون الدليل العلمي على أنَّ الناس في المجتمعات الأولى كانوا يعيشون في شيوعية عامة.

كما تبين أنَّ الظلم الذي شهدته عصر الرق والإقطاع والرأسمالية إنما هو ناتج عن غياب شرع الله تعالى عن التطبيق، وأنَّ تلك الصورة المظلمة إنما هي خاصة بتاريخ أوروبا وحدها.

٨ - تبيين من البحث بطلان النظرية الشيوعية للدين التي تزعم أنَّ الدين مُخترع بشري يتطور بتطور العوامل الاقتصادية وأنه مخدر للشعوب، كما تبيَّن أنَّ الدين فطري في النفوس البشرية، وأنَّ التوحيد هو الأصل، والشرك أمر طارئ، كما تبيَّن أنَّ كون الدين مخترع، وهو خداع يُقصد منه هدم الأديان، وأنَّ الدين الصحيح لم يكن مخدراً لأتباعه في يوم من الأيام.

٩ - إنَّ الأخلاق فطرية ثابتة في النفوس البشرية لا تتغيَّر ولا تتبدل، وإنَّها تستمدُ تعاليَّتها من الدين، وإنَّ ما يزعمه الماديون من تطور الأخلاق ليس إلَّا انحرافاً في السلوك نتيجة لعدم تحكيم شرع الله تعالى في حياة الناس.

١٠ - تبيَّن من البحث أنَّ شيوعية النساء لم يقم عليهما دليل علمي، وأنَّ الأسرة نظام فطري، وأنَّ آدم عليه السلام وحواء كانوا أول زوجين كوناً أول أسرة على وجه الأرض، وأنَّ السقوط الذي يريده الشيوعيون في علاقة الرجال بالنساء لم يعثر عليه في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية.

١١ - تبيَّن من البحث أنَّ جميع المبادئ والأصول التي قامت عليها الماركسية كالقول بال المادة، وقوانين الجدل، والمادية التاريخية، والصراع بين الطبقات، ونزع الملكية الخاصة، ونظرية العمل في القيمة، ونظرية فائض القيمة، قد تساقطت أمام الواقع والعلم الحديث ولم تصمد للشيوعيين دعوى واحدة أمام المناقشة العلمية. كما أنَّ رفض الشيوعيين للدين والأخلاق و موقفهم من الأسرة والحرية يحول البشرية إلى آلية صماء لا روح فيها ولا عقل.

١٢ - إنَّ شعار «من كل حسب طاقتة ولكل حسب حاجته» الذي أطلقه الشيوعيون، هو خرافَة لا يمكن أن تتحقق بحال من الأحوال، وإنَّ الحوادث التاريخية كذَّبت تنبؤات ماركس.

١٣ - إنَّ المساواة التي يدعى بها الشيوعيون أسطورة غير قابلة للتطبيق في دنيا الواقع.

١٤ - أما في ما يتعلق بموقف الإسلام من الشيوعية، فإنه

يرفضها جملةً وتفصيلاً، لأنها قامت على تصوّر ملحدٍ ينكر وجود الله تعالى ويحارب دينه، ويخالف فطرة الإنسان، والمنهج العلمي الصحيح، ويسعى إلى نشر الفساد في الأرض.

والإسلام والشيوخية يسيران في خطين متوازيين لا يلتقيان أبداً، ولا يوجد أي منفذ للجمع أو التوفيق بينهما؛ فأساس العقيدة في الإسلام هو الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله والإيمان باليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

والإسلام له نظامه الذي تفرد به وهو وحىٌ من عند الله تعالى... بينما تتناقض الشيوخية مع الإسلام في العقيدة والشريعة والأخلاق وفي نظام الأسرة والمعاملات وفي المنهج والمبدأ وفي الوسائل والغايات وفي التفاصيل والجزئيات وفي كل شيء.

والإسلام يقرُّ الملكية الخاصة في حدود المشروع، ويراعي معاني الأخلاق الفاضلة في جميع جوانب أنشطة الإنسان الاقتصادية، ويبحث على العمل، ويبارك جهد العامل ويحرّم ظلمه، ويكره البطالة والكسل، ويقرّر التكافل الاجتماعي بين أتباعه، والإسلام يقوم على أساس التوفيق والموازنة بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع، إلى غير ذلك من المبادئ السامية التي لا توجد في غير الإسلام.

١٥ - إنَّ الْبَاطِلَ مَهْمَا طَالَ أَمْدُهُ، وَكَثُرَ دُعَاتُهُ وَأَنْصَارُهُ، فَإِنَّهُ لَا بَدَّ لَهُ مِنْ نِهَايَةٍ ﴿فَمَا زَيَّدَ فَيَذَهَّبُ جُهَّاً وَمَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾^(١).

(١) الرعد: ١٧.

١٦ - إنَّ أَيَّ نظامٍ يكون بعيداً عن شرع الله تعالى فإنَّ مصيره إلى السقوط والزوال.

١٧ - إنَّ الإسلام هو السبيلُ الوحيدُ لإنقاذِ البشرية من كُلِّ ما تعانيه من مشكلاتٍ وأزماتٍ.

وأخيراً، لقد انتهت الشيوعية حيث تساقطت جميع مبادئها وأسسها التي قامت عليها، أمام الواقع والعلم الحديث.

سقطت الشيوعية لأنها مُحادة لله ولرسله ومضادة للفطرة الإنسانية، وفي سقوطها عبرةٌ وعظةٌ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

هذا وأسأل الله - تعالى - أن يعزَّ دينه ويُعلي كلمته وأن يحمي بلادنا وسائر بلاد المسلمين من كيد الأعداء الحاقدين. وصلَّى الله وسلام وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين. وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية والآثار.
- فهرس الكلمات الغريبة.
- قائمة بأهم المصادر والمراجع.
- فهرس المحتويات.

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
٢٠٤	٣٦	﴿فَأَرْلَهُمَا الشَّيْطَنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِنْهَا كَانَا فِيهَا﴾
٦٣	٩٦	﴿وَلَنُعِذِّبَهُمْ أَخْرَصَ النَّاسَ عَلَى حَيَاةٍ﴾
٢٠٥	١٣٤	﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَقْنَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾
١٠٠	١٦٤	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
٢٥٨	١٨٠	﴿كُتُبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَاضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ﴾
٢٥٣	١٨٤	﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدَيَةٌ﴾
٢٠٢	١٨٧	﴿هُنَّ لِيَاشُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاشُ لَهُنَّ﴾
١٧٠	١٩٥	﴿وَأَخْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
٢٥٤	١٩٦	﴿وَلَا تُحَلِّقُوا رُؤُسَكُ حَتَّىٰ بَلَغَ الْمَذْبُولَ﴾
١٠٥	١٩٧	﴿وَلَا جُدَالَ فِي الْعِجْلَةِ﴾
٢٦١	٢١٩	﴿وَسَأَلُوكُمْ مَاذَا يُنْفِعُونَ﴾
٢٦١	٢٤٥	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾
١٤٧	٢٥١	﴿وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بِعَصْمَهُ بِبَعْضِهِ﴾
٢٥٢	٢٧٠	﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ تَذَرَّثُمْ مِنْ شَذِيرٍ﴾
٢٦١	٢٧٤	﴿الَّذِينَ يُنْفِعُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْيَمْلِ وَأَنْهَارِ﴾

الصفحة	رقمها	الأية
٢٤٥ - ٢٣٣	٢٧٥	﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَمَ الرِّبَا﴾
٢٣٣	٢٧٨	﴿يَنَاهَا الَّذِينَ مَاءَمُوا أَتَقْوَ اللَّهَ وَذَرُوا مَا يَقْنُونَ﴾
سورة آل عمران		
٢٣٠	١٤	﴿رُمِّنَ لِلثَّالِثِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ الْإِكْلَامِ﴾
٧	١٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِيمَانُ﴾
٩٩	٤٩	﴿وَأَنْجَى الْمَوْقَى بِلِادِنَ اللَّهِ﴾
٧	٨٥	﴿وَمَنْ يَتَبَعْ عَبِيرَ الْإِسْلَامِ وَيَسْأَلْ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾
٥	١٠٢	﴿يَنَاهَا الَّذِينَ مَاءَمُوا أَتَقْوَ اللَّهَ حَقَّ تَعَالَى﴾
١٨٩	١٩١ - ١٩٠	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
٢٠٥	١٩٥	﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَقِي لَا أُخْبِي عَمَلَ عَدِيلَ مِنْكُمْ﴾
سورة النساء		
٢٠٤ - ٥	١	﴿يَنَاهَا النَّاسُ أَتَقْوَ رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَارٍ وَجَدَرَ﴾
٢٣٨ - ٥٤	٢٩	﴿يَنَاهَا الَّذِينَ مَاءَمُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ يَتَسْعَمُ بِالْبَطْلَمِ﴾
٢٥٥	٣٦	﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا شَرِيكَ لَهُ شَيْئًا﴾
٥٧	٥٤	﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَنَاهُمُ اللَّهُ﴾
٢٢٦	٥٩	﴿يَنَاهَا الَّذِينَ مَاءَمُوا أَطْبَعُوا اللَّهَ وَأَطْبَعُوا الرَّسُولَ﴾
٢٢٦	٦٥	﴿فَلَا وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَقَّ يُحَكِّمُوكَ﴾
٢٥٥	٩٢	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتَلَ مُؤْمِنًا إِلَّا حَطَّا﴾
سورة العنكبوت		
٢٥٩	٣	﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْرِ وَالنَّقْوَى﴾
١٨٩	٢٣	﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾
٢٣٥	٣٨	﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقةُ فَاقْطَعُوهَا أَيْدِيهِمَا﴾

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَنْ لَدُنْ يَعْلَمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾	٤٤	٢٧٧
﴿وَمَنْ لَدُنْ يَعْلَمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	٤٥	٢٢٧
﴿وَمَنْ لَدُنْ يَعْلَمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	٤٧	٢٢٧
﴿أَفَحُكْمُ الْجَنَاحِيَّةِ يَعْلَمُونَ﴾	٥٠	٢٢٧
﴿لَا يُوَاجِدُكُمُ اللَّهُ بِالْغُرُبِ فِي آيَتِنَاكُمْ﴾	٨٩	٢٥٤
﴿إِنَّمَا الْخَسْرُ وَالْبَيْسِرُ وَالْأَصَابُ وَالْأَرْلُمُ يَجْعَلُونَ﴾	٩٠	٢٣٥
﴿يَنَاهَا الَّذِينَ مَاءَمُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾	٩٥	٢٥٤

سورة الأنعام

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِئِي الْحُكْمِ وَالنَّوْىٰ﴾	٩٥	٨٣
﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾	١٣٢	٢٨
﴿وَمَا تُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَسَادِهِ﴾	١٤١	٢٤٨
﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلِيفَ الْأَرْضِ﴾	١٦٥	١٤٧ - ٥٧
﴿فَقَدْ حَسِرَ الَّذِينَ قَاتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	١٤٠	٢٠٥

سورة الأعراف

﴿وَلَقَدْ سَكَنَتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾	١٠	٢٤٤
﴿فَالَا رَبُّنَا طَلَّبَنَا أَنْفُسَنَا﴾	٢٣	٢٠٥
﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ السَّرْفِينَ﴾	٣١	٢٥٠
﴿فَقُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾	٣٢	١٨٦
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾	٥٤	٩٠
﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾	٥٤	٢٠٨ - ٩٠
﴿فَقُلْ يَنَاهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾	١٥٨	٧
﴿وَلَذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾	١٧٢	١٨٠ - ٩١

الصفحة	رقمها	الأية
سورة التوبة		
١٨٩	٥١	﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَسْتَوْكِلُ الْمُؤْمِنُونَ﴾
٢٤٨	٦٠	﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾
٢٣١	١٠٣	﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾
سورة هود		
١٨٢	٢٧	﴿فَقَالَ الْمَلَائِكَةُ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِيْهِ﴾
سورة الرعد		
٢٦٨ - ٦	١٧	﴿فَأَمَّا الْزَّيْدُ فَيَذَهَّبُ جُمَاهِرًا﴾
سورة إبراهيم		
٩٥	١٠	﴿أَفَ الَّهُ شَكِّ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
٦	٢٦	﴿كَشْجَرَةٌ حَيَّشَةٌ أَجْتَثَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾
سورة الحجر		
١٨٨	٩	﴿إِنَّا نَخْنُ نَرَنَا الْذِكْرَ﴾
١٣١	٢٢	﴿وَأَرْسَلَنَا الْيَنْحَ لِوَقْعَ﴾
سورة النحل		
٨٧	١٧	﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾
١٢١	٤٠	﴿إِنَّا قَوْلَنَا لِشَفَتِهِ إِذَا أَرَدَنَهُ﴾
١٤٧ - ٥٧	٧١	﴿وَاللَّهُ فَضَلَّ بَعْضَكُوْنَ عَلَى بَعْضٍ﴾
٢٠٢	٧٢	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾
١٠٥	١٢٥	﴿وَجَدَلَهُمْ بِأَلْيَهِ هِيَ أَحْسَنُ﴾
١٧٠	١٢٨	﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ أَنْقَوْا﴾

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَهْدُمْ بِالأنْقَاضِ طَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾	٥٨	٢٠٥
سورة الإسراء		
﴿وَلَا تَزُرُ وَازِرَةً وَنَذَ أَخْرَى﴾	١٥	٦٤
﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾	٢٧	٢٥٠
﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَقْتُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾	٢٩	٢٥٠
﴿وَلَا تَنْقُضْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾	٣٦	٨٩
﴿وَقُلْ جَاهَ الْحَقُّ وَرَهْقَ الْبَطْلِ﴾	٨١	٥٥
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾	٨٥	١٣٧ - ٨٩
سورة الكهف		
﴿كَبَرَتْ كَلِمَةٌ خَرُجَ مِنْ أَفْرَاهِمِ﴾	٥	٥٧
سورة طه		
﴿وَرَبِّنَا الَّذِي أَعْطَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾	٥٠	١٥٦
﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ بِمَنِي هُدَى﴾	١٢٣	١٨٤
سورة الأنبياء		
﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾	٢٢	٣٦
﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾	١٠٦ - ١٠٥	٢٢١
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	١٠٧	٢٢١ - ٧
سورة العج		
﴿يَتَأْلِمُهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَأَسْتَعِمُوا إِلَيْهِ﴾	٧٤ - ٧٣	٨٧
٢٧٥		

الآية	رقمها	الصفحة
سورة المؤمنون		
﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَأَهُ دَلِيلًا فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾	٧	٢٠٢
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَطَنَرْ قِنْ طِينٍ ﴾	١٤ - ١٢	٩٧
سورة الفرقان		
﴿وَالَّذِينَ إِذَا آتَفُوا لَمْ يُشْرِفُوا﴾	٦٧	٢٥٠
سورة الشعراء		
﴿فَأَرْجِعْنَا إِلَى مُوْسَى أَنْ أَضْرِبَ يَعْصَاكَ الْحَرَرَ﴾	٦٣	٩٨
سورة النمل		
﴿أَمْنَ يُحِبُّ الْمُضْطَرَ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْتِشُ﴾	٦٢	٩٨
سورة القصص		
﴿وَابْتَغْ فِيمَا مَاتَنَاكَ اللَّهُ أَنَّا لَنَا الْآخِرَةُ﴾	٧٧	١٨٦
سورة الروم		
﴿وَمَنْ مَا يَنْتَهِي أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾	٢١	٢٠٢
﴿فَأَقْدَرَ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَسِيبُوا﴾	٣٠	١٣٨ - ٩١
﴿وَمَاتَ ذَا الْفَرِيقَ حَقَّهُ﴾	٣٨	٢٤٨
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾	٥٤	٨٣
سورة الأحزاب		
﴿يَكَبِيْهَا الَّذِينَ مَا مُؤْمِنُو أَتَعْوَرُ اللَّهَ﴾	٧١ - ٧٠	٥
سورة سبا		
﴿وَلَقَدْ مَأْتَنَا دَأْوِدَ مِنَ فَضْلَهِ﴾	١١ - ١٠	٢٤٦
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافِةً لِلنَّاسِ﴾	٢٨	٧

الآية	رقمها	الصفحة
سورة فاطر		
﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾	١٢	٢٤٦
﴿وَلَنِّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَّ فِيهَا نَدِيرٌ﴾	٢٤	١٨٤
سورة يس		
﴿أَوَلَمْ يَرَوا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلْتُمْ أَيْدِيهِنَا﴾	٧١	٢٣١
سورة الزمر		
﴿أَلَا يَهُوَ الَّذِي نَخَالِصُ﴾	٣	١٨١
﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾	٦٦ - ٦٥	٢٢٠
سورة الشورى		
﴿وَمَا أَخْلَقْنَاهُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ وَفَحَكَمْنَا إِلَى اللَّهِ﴾	١٠	٢٢٦
سورة الزخرف		
﴿أَمْرٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾	٣٢	١٤٧ - ٥٧ - ٥٢
﴿لَقَدْ يَحْشُكُرُ بِالْمُلْقِي﴾	٧٨	١٢٠
سورة الجاثية		
﴿أَللَّهُ الَّذِي سَرَّ لَكُمُ الْبَرَّ﴾	١٣ - ١٢	٢٤٦ - ٢٤٤
سورة محمد		
﴿هَمَّأْسَرَ هَؤُلَاءِ تَذَعَّرُكُمْ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ أَنْفُسِهِمْ﴾	٣٨	٢٨
سورة الحجرات		
﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ إِنَّمَا أَنْفَقُكُمْ﴾	١٣	١٤٧
سورة الذاريات		
﴿وَقَ أَنْفِسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾	٢١	٩٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَنَا رَوَّجَتِين﴾	٤٩	١١٢
سورة الطور		
﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾	٣٧ - ٣٥	٩٣
سورة القمر		
﴿أَفَتَرَبَّى السَّاعَةُ وَأَنْشَقَ الْقَمَرُ﴾ (١)	٢ - ١	٩٩
﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِشَدَّةٍ﴾ (٢)	٤٩	١٢٠
سورة الرحمن		
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَان﴾ (٣)	٢٧ - ٢٦	١١٦ - ٨٤
سورة الواقعة		
﴿أَفَرَءَيْتُمْ مَا تُمْثِنُونَ﴾ (٤)	٥٩ - ٥٨	٩٧
سورة الحديد		
﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ﴾	٣	٨٤
﴿وَأَرَلَنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾	٢٥	٢٤٦
سورة المجادلة		
﴿فَمَنْ لَرَبِّ يَسْطَعُ فَإِلَّا عَامٌ سِتِّينَ مِسْكِنًا﴾	٤ - ٣	٢٥٤
سورة الحشر		
﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُونَ الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾	٩	٢٦٠ - ٢٧
سورة الجمعة		
﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَأَنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾	١٠	٢٣٩
سورة الصلك		
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾	١٥	٢٤٥ - ٢٣٩

الصفحة	رقمها	الأية
		سورة المعارج
٢٤٨	٢٥ - ٢٤	﴿وَالَّذِينَ فِي أَنْوَافِهِمْ حَتَّىٰ تَعْلَمُونَ﴾ (٦٩)
٢٠٢	٣١	﴿فَمَنْ أَبْتَغَىٰ وَرَأَهُ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمَادُونَ﴾ (٧)
		سورة العزمل
٢٤٧	٢٠	﴿وَأَقْبَلُوا أَصْلَوَةً وَءَاثُوا أَرْكَوَةً﴾
		سورة القيامة
١٩٣	١٥ - ١٤	﴿بِكِ الْإِنْسُنُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، بَصِيرَةٌ﴾ (١٤)
		سورة الإنسان
٢٥٢	٧	﴿يُؤْفَنُ بِالنَّارِ﴾
		سورة المطففين
٢٣٥	٥ - ١	﴿وَلَلِلْمُطَفَّفِينَ﴾ (١)
		سورة الغاشية
١٠٠	٢١ - ١٧	﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَيَّلِ حَتَّىٰ خُلِقَتْ﴾ (١٧)
		سورة التكوير
٢٠٥	٩ - ٨	﴿وَلَا أَمْوَادُهُ سُلْطَنَتْ﴾ (٨) إِنَّ ذَلِكَ قُنْتَ (١)
		سورة الفجر
٢٣١	٢٠	﴿وَتَحْبَثُونَ الْأَيَّالَ حَمَّا جَمَّا﴾ (٢٠)
		سورة الشمس
١٩٣	١٠ - ٧	﴿وَنَقْشِنَ وَمَا سَوَّنَهَا﴾ (٧)
		سورة الزلزلة
٢٨	٨ - ٧	﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَسْرُهُ﴾ (٧)

سورة العاديات

﴿وَإِنَّمَا لِحْيَتِ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (٨)

سورة الماعون

﴿فَوَبِلْ لِلْمُصَلِّينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ مَلَائِكَتِهِمْ سَاهُونَ﴾

٢٦٠ ٥ - ٤ (٩)

سورة الكوثر

﴿فَسَلِّمْ لِرَبِّكَ وَأَخْرِزْ﴾ (١٠)

سورة الإخلاص

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ

يَكُنْ لَّهُ كُفُواً وَلَمْ يُوْلَدْ ﴿٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ إِلَهًا

أَحَدٌ﴾ (١١)



فهرس الأحاديث النبوية والآثار

الصفحة	طرف الحديث
٥٥	اتقوا الظلم
٢٤١	إذا قامت الساعة
٢٥٧	إذا مات الإنسان
٢٦٢	أربعون خصلة
٢٢٥	الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله
١٨٢	فأشراف الناس يتبعونه أم ضعافاً لهم؟
٢٣٨ - ١٧٠	أعطوا الأجير أجره
٢٦١	ألا رجل يمنع أهل بيت ناقة
١٨٩	اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن
١٨٩	اللهم متزل الكتاب ومجري السحاب
٢٤٠	أما في بيتك شيء؟
٥	إن الحمد لله نحمده ونسعيه
٢٣٢ - ٥٤	إن أموالكم ودماءكم حرام عليكم
٥٥	إن الأشعرين إذا أرملوا
٢٣٦	إن رسول الله ﷺ نهى عن تلقي الجلب
٢٥٠	إنك إن تركت ولدك أغنياء خير من أن تتركهم عالة
١١٤	إن لربك عليك حقاً

٢٥٩ إن النبي ﷺ استعار فرساً من أبي طلحة
١٩٤ البر حسن الخلق
٢٣٤ البیان بالخیار ما لم یتفرقا
٢٥٣ بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ
٢٦٢ تهادوا تحابوا
٢٦٣ تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدور
٢٥٧ إن شئت حبست أصلها
٢٥٨ إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه
٢٦١ خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى
٢٣٨ الراشي والمرتشي في النار
٢٦٣ العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيه
٢٤٧ فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة
٢٥٦ فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعاً من تمر
٢٣٧ فقام رسول الله ﷺ فحمد الله ثم أثني عليه
٢٣٨ - ١٧٠ قال الله عز وجل: ثلاثة أنا خصمهم
٢٦٢ كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية
٢٣١ كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه
٢٥٦ كنا نخرج في عهد رسول الله ﷺ يوم الفطر صاعاً من طعام
١٣٤ لقد جتنا لنخرج من شاء منكم من عبادة العباد
٢٣١ لو كان لابن آدم واد من ذهب
١١٣ لو لم تفعلوا لصلح
٢٣٦ لا يبع بعضكم على بيع بعض
٢٣٩ ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده
٢٥٨ ما حق أمرىء مسلم له شيء يوصي فيه بيت ليلتين

٢٥٦	ما عمل آدمي من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم
٢٤٤	ما من مسلم يغرس غرساً
١٨١ - ٩١	ما من مولود إلا يولد على الفطرة
٢٣٦	من ابتاع طعاماً فلا يبعه حتى يستوفيه
٢٣٤	من احتكر فهو خاطيء
٢٤٥	من أحيا أرضاً ميتة فهي له
٢٣٧	من استعملناه على عمل فرزقاه رزقاً
٢٣٥	من اقطع مال امرئ مسلم بغير حق
٢٣٤	من غش فليس مني
٢٣٥	من ظلم قيد شبر من الأرض
١٤٨	من قُتل دون ماله فهو شهيد
٢٤٤	من كانت له أرض فليزرعها
٢٥٥ - ٥٦	من كان عنده فضل ظهر
٢٥٩	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
٢٤٢	من ولّى لنا عملاً وليس له منزل
٢٠٣	النکاح من سنتي
٨	وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة
٨	والذى نفس محمد بيده
٢٤٨	والله لو منعوني عقالاً
٥٤	يا أيها الناس أي يوم هذا
١٨٧	يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله
٢٠٢	يا معاشر الشباب من استطاع منكم الباءة
٢٤١	اليد العليا خير من اليد السفلية

فهرس الكلمات الغريبة

فضل ظهر: ٢٥٥	الإمبريالية: ١٦٨
قرارات الحرمان: ٣٧	البرجوازية: ١٣٣
كرسي الاعتراف: ٣٧	بروليتاريا: ٧٤
ليس في داره بيضاء ولا صفراء: ١٣٦	بيضة القوم: ٢٤٣
المثالية: ٣٨	البلشفزم: ٢٤
المنشفيكي: ٢٤	بمرقعته: ١٣٤
المنهج التجريبي: ٨٢	بيروقراطية: ١٦٩
النبلاء: ١٤٤	البيولوجية: ٢٣
نشب الدنيا: ١٣٦	التأمين: ٤٨
وحر الصدر: ٢٦٣	شكوك الغفران: ٣٧
	الطوباوية: ٢٦
	عرق: ٢٥٣

قائمة بأهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ١ - الاتجاهات الفكرية المعاصرة و موقف الإسلام منها، د. جمعة الخولي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، مطبع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- ٢ - الاتجاهات الفكرية المعاصرة، د. علي جريشة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الوفاء للطباعة، المنصورة.
- ٣ - الأحكام السلطانية للماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٤ - أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي، د. صابر طعيمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، عالم الكتب، بيروت.
- ٥ - الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين، للشيخ عبدالرحمن بن سعدي، تحقيق: إبراهيم الحازمي، دار الشريف للنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٦ - أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، محمد شريف الزبيق وزميله، دار الاعتصام، القاهرة.
- ٧ - الأسرة والمجتمع، د. علي عبدالواحد وافي، ط٦، نهضة مصر.
- ٨ - أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة لأبي الأعلى المودودي، الدار السعودية للنشر، جدة، ط١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٩ - أسس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، سيركين وباختوت، ت/ محمد الجندي، دار التقدم، موسكو.

- ١٠ - الإسلام في وجه الزحف الأحمر، محمد الغزالى، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.
- ١١ - الإسلام والدعوات الهدامة، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٢ م.
- ١٢ - الإسلام والشيوخية، عبدالحكيم محمود، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.
- ١٣ - الإسلام ومشكلات العصر، د. مصطفى الرافعى، بيروت ١٩٨١ م.
- ١٤ - الإسلام يتصدى لأباطيل المستشرقين والملحدين، لسامي شهاب، نشر المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة.
- ١٥ - أصول الدعوة، لعبدالكريم زيدان، الطبعة الثالثة، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.
- ١٦ - أصول الفلسفة الماركسية، لجورج بولتىزير وزميلاه، تعریف شعبان برکات، المكتبة العصرية، بيروت.
- ١٧ - أضواء على طريق الدعوة إلى الإسلام، د. محمد أمان الجامي، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤٠٤ هـ.
- ١٨ - أفيون الشعوب، عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.
- ١٩ - الإيمان بالله والجدل الشيوعي، فتح الرحمن الجعلى، الدار السعودية للنشر، جدة، ط١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- ٢٠ - الإيمان، لعبدالمجيد الزنداني، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٠٣ هـ.
- ٢١ - الله يتجلى في عصر العلم، لمجموعة من العلماء الأمريكيين، ت/ الدمرداش سرحان، مؤسسة الحلبي للنشر، القاهرة.
- ٢٢ - انهيار الشيوعية أمام الإسلام، د. سعد الدين صالح، دار الأرقم للطباعة، الزقازيق، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
- ٢٣ - البداية والنهاية، لأبي الفداء الحافظ عماد الدين ابن كثير (ت ٧٧٤) مكتبة المعارف، بيروت.

- ٢٤ - الإنسان ذلك المجهول، القيس كاريل، ط٢، تعریب شفیق
أسعد فرید، مؤسسة المعارف، بيروت ١٩٧٧ م.
- ٢٥ - البيان والتبيين، لعمرو بن بحر الجاحظ، الشركة اللبنانية
للكتاب، بيروت.
- ٢٦ - البيان الشيوعي، كاريل ماركس، فریدریک إنجلز، الشركة اللبنانية
للكتاب، بيروت.
- ٢٧ - البيریسترویکا من منظور إسلامی، فتحی يكن و منی حداد، دار
الإیمان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م، مؤسسة الرسالة.
بيروت.
- ٢٨ - تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، محمد عبدالله عنان،
مؤسسة مختار، ط ١٩٩١م، القاهرة.
- ٢٩ - تاريخ الرسل والملوك، لأبی جعفر محمد بن جریر الطبری،
ط٢، دار المعارف بمصر.
- ٣٠ - تاريخ الفلسفة الحدیثة، یوسف کرم، دار المعارف بالقاهرة.
- ٣١ - تفسیر القرآن العظیم، للحافظ ابن کثیر، مطبعة الفجالة
الجديدة، القاهرة ط١، ١٣٨٤هـ، نشر: مکتبة النهضة الحدیثة.
- ٣٢ - التفسیر الإسلامي للتاريخ، د. عماد الدين خليل، دار العلم
للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٣م.
- ٣٣ - التضليل الاشتراکي، د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب
الجديد، ط١، ١٩٦٥م.
- ٣٤ - التكافل الاجتماعي في الإسلام، لعبد الله علوان، الدار السعودية
للنشر والتوزيع.
- ٣٥ - الجامع الصحيح، للحافظ الترمذی، دار إحياء التراث العربي.
- ٣٦ - جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي،
د. محمود عبدالحليم عثمان، مکتبة المعارف، الرياض،
ط١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

- ٣٧ - جذور البلاء، لعبدالله التل، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٥هـ.
- ٣٨ - جواهر الأدب، للسيد أحمد الهاشمي، مؤسسة المعارف، بيروت.
- ٣٩ - حاشية الأصول الثلاثة، لمحمد بن عبدالوهاب، بقلم عبد الرحمن بن قاسم، ط٥، ١٤٠٧هـ.
- ٤٠ - حقائق الشيوعية، نهاد الغادري، ط١، ١٩٦٩م، مطبع دار الغد.
- ٤١ - حكم الإسلام في الاشتراكية، عبدالعزيز البدرى، المدينة المنورة ١٩٦٦م.
- ٤٢ - الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، لسعيد بن علي القحطاني، ط١٢، ١٤١٢هـ.
- ٤٣ - الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٤٤ - حلبة الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) نشر: مكتبة الخانجي بمصر.
- ٤٥ - حوار مع الشيوعيين في أقبية السجون، عبدالحليم خفاجي، دار الدعوة، الإسكندرية.
- ٤٦ - درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط١٤٠٠هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ٤٧ - الدين، د. محمد عبدالله دراز، دار القلم، الكويت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٤٨ - السرطان الأحمر، د. عبدالله عزام، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٠م، ط١.
- ٤٩ - سقوط الماركسية، وحيد الدين خان، ترجمة: ظفر الإسلام خان، دار الهجرة للنشر، ط١ بالعربية ١٤٠٨هـ.
- ٥٠ - سنن أبي داود، دار الحديث للطباعة، ط١، ١٣٨٨هـ، تعليق: الدعايس.

- ٥١ - سنن ابن ماجة، دار الفكر، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.
- ٥٢ - سنن النسائي، المكتبة العلمية، بيروت.
- ٥٣ - السياسة العمالية في الإسلام، للخطيب، دار الفكر العربي، ط٢، القاهرة.
- ٥٤ - شرح النووي لصحيح مسلم، دار الفكر، بيروت.
- ٥٥ - الشيوعية منشأً وسلكاً، دندل جبر، مكتبة المنار، الزرقاء الأردن، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٥٦ - الشيوعية والإنسانية في شريعة الإسلام للعقاد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.
- ٥٧ - الشيوعية وليدة الصهيونية، أحمد عبدالغفور عطار، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- ٥٨ - صحيح الإمام البخاري مع الفتح، طبع المكتبة السلفية.
- ٥٩ - صحيح الإمام مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.
- ٦٠ - الصنم الذي هوى، آرثر كاستلر وأخرون، ترجمة: فؤاد حمودة، المكتب الإسلامي، ١٣٨٠هـ.
- ٦١ - عقائد المفكرين في القرن العشرين، عباس العقاد، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩م.
- ٦٢ - العقيدة في الله، لعمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٥، ١٩٨٤م.
- ٦٣ - عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين، لصالح البليهي، ط٢، ١٤٠٤هـ.
- ٦٤ - عقيدة المؤمن، للشيخ أبي بكر الجزائري، مطبعة النهضة الجديدة، ط١، ١٣٩٧هـ.
- ٦٥ - العلم يدعو للإيمان، ترجمة: محمود صالح الفلكي، ط٥، سنة ١٩٦٥م، مكتبة النهضة المصرية.

- ٦٦ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) طبع: المكتبة السلفية.
- ٦٧ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٥هـ.
- ٦٨ - الفقه على المذاهب الأربعة، لعبدالرحمن الجزييري، ط ١، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة.
- ٦٩ - الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهبي، دار الفكر، ط ٦، ١٩٧٣م.
- ٧٠ - الفكر العادي في ميزان الإسلام، صابر طعيمة، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٧١ - الفكر العادي الحديث و موقف الإسلام منه، د. محمود عثمان، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة.
- ٧٢ - فوق أطلال الماركسية والإلحاد، محمد الخطيب، دار المنار الحديثة، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، مصر.
- ٧٣ - كتاب الإيمان، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط ٣، ١٤١٢هـ، دار الكتب العلمية.
- ٧٤ - كتاب توحيد الخالق، لعبدالمجيد الزنداني، ط ١، ١٤٠٨هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- ٧٥ - الكامل في التاريخ، لابن الأثير الشيباني، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٧٦ - كواشف زيف، عبد الرحمن الميداني، دار القلم، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٧٧ - الكيد الأحمر، لعبد الرحمن الميداني، دار القلم، ط ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٧٨ - لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت.
- ٧٩ - لود فيغ فوريماخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية، فريدريك إنجلز، دار التقدم، موسكو.

- ٨٠ - الماركسية والإسلام، د. مصطفى محمود، دار المعارف، القاهرة.
- ٨١ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، الطبعة السعودية.
- ٨٢ - مختصر منهاج القاصدين، للإمام أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت ٧٤٢هـ) تقديم: د. وهبة الزحيلي، ط١، دار الخير، بيروت، توزيع مكتبة الوزان، الرياض.
- ٨٣ - المذاهب الاجتماعية الحديثة، لمحمد عبدالله عنان، دار الشروق، بيروت.
- ٨٤ - المذاهب الاشتراكية، د. أحمد جامع، ط٢، ١٩٦٩م.
- ٨٥ - مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.
- ٨٦ - مستند الإمام أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت.
- ٨٧ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين، مكتبة بريل، ليدن، ١٩٣٦م.
- ٨٨ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبدالباقي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٤هـ.
- ٨٩ - معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، دار الكتب العلمية، إيران.
- ٩٠ - المغني لابن قدامة، مكتبة الجمهورية، بمصر.
- ٩١ - المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، ستالين، دار دمشق للطباعة والنشر.
- ٩٢ - مفتاح دار السعادة، للإمام ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٩٣ - الملل والنحل للشهرستاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ، تحقيق: محمد سيد كيلاني.
- ٩٤ - مناجي الجدل في القرآن الكريم، د. زاهر الألمني، مطابع الفرزدق التجارية، ط٢، ١٤٠٠هـ.

- ٩٥ - منهاج المسلم، لأبي بكر جابر الجزائري، دار الفكر، ط٨، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- ٩٦ - الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ناصر القفاري وناصر العقل، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، دار الصميغي للنشر والتوزيع، الرياض.
- ٩٧ - الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف محمد شفيق غريال، دار نهضة لبنان للطبع والنشر، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٩٨ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٩٩ - الموطأ، للإمام مالك بن أنس، دار إحياء الكتب العربية، تصحح وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي.
- ١٠٠ - موقف الإسلام من نظرية ماركس، أحمد العوايشة، دار مكة للطباعة، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ١٠١ - النظام الاقتصادي في الإسلام، د. أحمد العسال وزميله، مكتبة وهرة، ط٣، ١٤٠٠هـ.
- ١٠٢ - النظام الاقتصادي في الإسلام، لمحمد الخطيب، مكتبة الحرمين، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.
- ١٠٣ - النظرية الماركسية في ميزان الإسلام، د. أمير عبدالعزيز، مكتبة الأقصى، عمان ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ١٠٤ - النظم الإسلامية والمذاهب المعاصرة، حسن عبدالحميد، دار الرشيد، الرياض، ١٤٠١هـ.
- ١٠٥ - النظم الاشتراكية، د. محمد أبو ريان، المصور.
- ١٠٦ - نقد أصول الشيوعية، صالح اللحيدان، مكتبة الحرمين، الرياض، ط٢، ١٤٠٤هـ.
- ١٠٧ - نقض الاشتراكية الماركسية، غانم عبده، دار الإيمان، بيروت ١٣٨٣هـ.

- ١٠٨ - نقض أوهام المادية الجدلية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ١٠٩ - نيل الأوطار، لمحمد بن علي الشوكاني، دار الجيل، بيروت.
- ١١٠ - هذه هي الاشتراكية، عبدالرحمن حماد آل الشيخ، السعودية.
- ١١١ - اليهود في المعسكر الشرقي، داود عبدالغفور ستقرط، دار الفرقان، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، عمان - الأردن.



فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة:
١٧	الفصل الأول: التعريف بالنظم الاشتراكية ونشأتها
١٩	المبحث الأول: تعريف الاشتراكية
٢٢	المبحث الثاني: الفرق بين الاشتراكية والشيوعية
٢٩	المبحث الثالث: حقيقة الشيوعية وأهدافها
٣٢	المبحث الرابع: نشأة المذاهب الاشتراكية وتطورها
٤٦	المبحث الخامس: أهم المبادئ والتطبيقات الاشتراكية
٥٠	المبحث السادس: أنواع المذاهب الاشتراكية ونقدتها
٥٩	الفصل الثاني: التعريف بالماركسية ومصادرها
٦١	المبحث الأول: التعريف بالماركسية
٦٢	المبحث الثاني: نبذة عن حياة مؤسسها
٦٦	المبحث الثالث: الماركسية والشيوعية
٦٨	المبحث الرابع: مصادر الفكر الماركسي
٧٢	المبحث الخامس: أسس المذهب الماركسي
٧٥	الفصل الثالث: القول بالمادة ونقده
٧٧	المبحث الأول: تعريف المادة
٨٢	المبحث الثاني: نقد القول بالمادة

الصفحة	الموضوع
	المبحث الثالث: أدلة المؤمنين بالله تعالى على وجوده ووحدانيته تدحص أوهام الملحدين ٩٠
	الفصل الرابع: الجدل «الديالكتيكي» ونقده ١٠٣
	المبحث الأول: تعريف الجدل الديالكتيكي ١٠٥
	المبحث الثاني: قوانين الجدل ١٠٧
	المبحث الثالث: نقد قوانين الجدل «الديالكتيكي» ١١٢
	الفصل الخامس: المادية التاريخية ونقدها ١٢٥
	المبحث الأول: التعريف بالمادية التاريخية ١٢٧
	المبحث الثاني: العصور التي مر بها التاريخ البشري في رأي المادية التاريخية ١٢٩
	المبحث الثالث: نقد المادية التاريخية ١٣٢
	الفصل السادس: الصراع بين الطبقات ونقده ١٣٩
	المبحث الأول: تعريف الصراع بين الطبقات عند كارل ماركس ١٤١
	المبحث الثاني: نقد الصراع بين الطبقات ١٤٤
	الفصل السابع: النظام الاقتصادي الشيوعي ونقده ١٤٩
	تمهيد ١٥١
	المبحث الأول: أهم مبادئ الاقتصاد الشيوعي ١٥٢
	المبحث الثاني: النظريات الاقتصادية الشيوعية الماركسيّة ونقدها ١٥٤
	الفصل الثامن: موقف الشيوعية من الدين والأخلاق والأسرة والحرية ونقده ١٧٣
	المبحث الأول: موقف الشيوعية الماركسيّة من الدين ١٧٥
	المبحث الثاني: بعض مفتريات الشيوعية على الدين والرذ عليها ١٧٩